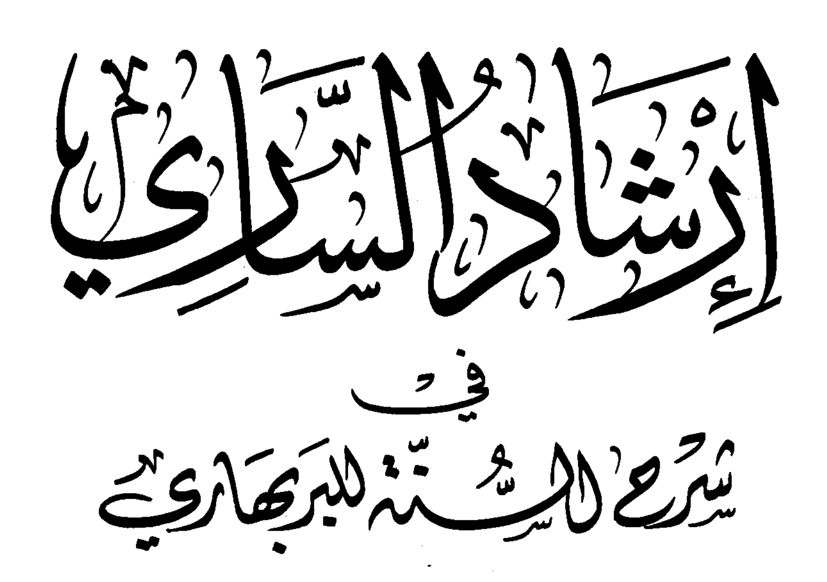


شرح
الشيخ أحمد بن يحيى النجمي



مكتبة الفرقان


بسم الله الرحمن الرحيم

إرشاد الساري

في

شرح السنة للبربهاري

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م



مكتبة الفرقان

الفرع الرئيسي

الإمارات العربية المتحدة - عجمان - ص ب: ٢٠٢٨٨
هاتف: ٠٩٧١٦٧٤٤٤٤٣٥.. فاكس: ٠٠٩٧١٦٧٤٢٤٠٩٤

- فرع الشارقة: هاتف وفاكس: ٠٠٩٧١٦٥٦٢٦٣٣٦
- فرع المدينة المنورة: شارع الملك عبد العزيز النازل
الجوال: ٠٥٢٥٩١٤٦٧
- فرع مصر: القاهرة - عين شمس - هاتف: ٠١٠٥٦١٨١٧٩
- فرع باكستان: كراتشي - منطقة مترورول - تلفاكس: ٠٠٩٢٢١ ٨١٤٣٩٨٤

موقع المكتبة على شبكة الإنترنت: www.furqanalsalafia.com
E-mail : furqan1@emirates.net.ae

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي يسر وأعان، وهيأ لهذا الدّين رجالاً وهبوا أنفسهم وأوقاتهم لخدمة دين الله جلَّ وعلا، تعلماً وتعليماً، وهذا من فضل ربي وعنايته بأمّة القرآن، أن يسر لها من يبصرها بدينها الذي بعثت من أجله الرسل، وأنزلت من أجله الكتب ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: من الآية١٦٥]، فعلى العباد الشكر لله بما هو أهله، والثناء عليه بما يستحقه من المحامد والآلاء، ونصلِّي ونسلِّم على نبيِّنا، وحبيبنا وقدوتنا محمد بن عبدالله خير داعٍ إلى الله بالهدى والبينات وعلى صحبه الأطهار، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم المآب، *ثمّ أمّا بعد:*

إنَّه يجب على الأمَّة المحمدية أفراداً وشعوباً أن يوقروا علماءهم، ويعرفوا لأهل الفضل فضلهم بما قدموا لهم من العلم الشرعي النافع الصافي الأصيل المنبثق من كتاب ربنا وصحيح سنة نبينا محمدٍ ﷺ وعلى رأس العلماء الموثوق بعلمهم وعدالتهم أصحاب رسول الله ﷺ الذين عايشوا التنزيل والذين رضعوا من معين النبوة القرآن والسنَّة منذ دخلوا في الإسلام فهم أفضل الأمة ديناً، وأشدُّهم به تمسكاً وأغزرهم علماً، وأقلُّهم تكلفاً، لذا زكاهم المولى جلَّ وعلا في كتابه العزيز في أكثر من آية إشادةً بهم، ورفعاً لمكانتهم فاستحقوا من الله الرضا، لما قدَّموا من جهادٍ في سبيله ونصرةٍ لدينه، حيث اختارهم الله لصحبة رسوله، فأعطاهم الله فضل الصحبة والقربى، فرضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم وجاء من بعدهم التابعون وتابعو

التابعين، فسلكوا سبيلهم، وأمُّوا منارهم، فعلينا أن نجلَّهم، فهم خير القرون بعد قرن الصحابة، كما قال ذلك النبي المصطفى ﷺ: «خير الناس قرني، ثمَّ الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[١] متفقٌ عليه.

وهكذا كلُ من أتى من بعدهم من العلماء الربَّانيين الذين جعلوا من كتاب الله نوراً مبيناً ومن صحيح سنة رسول الله ﷺ هدياً قويماً، ومن نهج السلف الصالحين أسوةً وقدوةً لهم في الخير متبعين بذلك من سلف من هذه الأمَّة ومن العلماء الذين لا بدَّ أن نعترف لهم بسابقتهم إلى الخير في هذا الزمن ومن الدعاة إلى الكتاب والسنَّة، ومن المرغبين في اتباع من سلف من الصحابة وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين، ومن المحذِّرين من الشرك والبدع والفجور والسيئات في بلادنا المملكة العربية السعودية، وبالأخص في المنطقة الجنوبية منها، وفي جازان أرض العلم والعلماء، وهم كثرٌ ولله الحمد، ومنهم فضيلة شيخنا ووالدنا الشيخ أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي السنِّي السلفي حفظه الله ورعاه، وأمثاله من علماء هذه البلاد الطيبة المباركة وأنا في هذا المقام لا يسعني أن أذكر عن حياة شيخنا في هذه العجالة شيئاً سِوى أنني سأذكر نبذةً يسيرة عن حياة شيخنا العلمية وذلك بعد ذكر ترجمة الإمام البربهاري رحمه الله وسأحيل القراء الكرام في ذكر شيءٍ عن ترجمة شيخنا النَّجمي حفظه الله إلى من هو أعرف به منِّي ألا وهو تلميذه النجيب الدكتور الشيخ محمد بن هادي المدخلي المدرس بالجامعة الإسلامية حالياً، والذي ترجم لشيخنا بترجمةٍ جيدة في كتاب شيخنا الموقر أحمد النجمي والمسمَّى باسم (المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال) والذي قام بتحقيقه والتعليق عليه بعد أن عزى الآيات المذكورة في كتاب شيخنا النَّجمي إلى مظانها من سور القرآن وخرَّج الأحاديث والآثار إلى مصادرها من كتب

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه في كتاب الشهادات باب لا يشهد على جور إذا شهد.
وأخرجه أيضاً الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة باب فضل الصحابة ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

السنة والأثر فجزاه الله خيراً على هذا الجهد المبارك، وعلى ذلك فمن أراد أن يعرف شيئاً عن حياة شيخنا فليرجع إلى هذا الكتاب ففيه ما يشفي ويكفي، ومن أحيل إلى مليءٍ فليحتل.

وإنَّني في هذه المقدمة أود أن أبيِّن أن للشيخ أحمد النَّجمي جهوداً مشكورة في سبيل بذل العلم لذويه ومبتغيه فلفضيلته دروسٌ مقامة في مسجده منذ فترةٍ طويلة في جميع فنون العلم الشرعي الشريف، من تفسيرٍ، وحديثٍ وفقهٍ، وعقيدةٍ، وأدواتها من أصول فقهٍ ومصطلحٍ وغيرهما من الوسائل المساعدة لفقه وفهم نصوص الكتاب والسنة، وقد اعتنى شيخنا غاية الاعتناء وفقه الله بشرح كتب السنَّة، منذ زمنٍ ليس بالقصير، فله دروسٌ في ذلك منها دروسه المقامة إلى يومنا هذا في صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وشرح أحاديث بلوغ المرام، وعمدة الأحكام، إلى غير ذلك من الكتب التي عُنِيَ أصحابها فيها بتبصير العباد بسنة نبيهم محمد ﷺ وبمنهج السلف الصالح رحمة الله عليهم جميعاً، ولا أنسى أن أذكر للشيخ أحمد بن يحيى النجمي جهوداً دعويةً أخرى موفَّقة غير التأليف، من إلقاءٍ للمحاضرات، ومن المشاركة في الندوات واللقاءات، وهو أيضاً من الدعاة المشاركين سنوياً للدعوة في موسم الحج، التي تُنظِّمها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وقد نُصِّبَ في السنوات الأخيرة للإفتاء في منطقة جازان فهو الذي يقوم بالفتوى من زمن لا يقل عن خمسٍ وعشرين سنة حفظه الله ورعاه، ويتميز شيخنا الفاضل في طريقة تدريسه بطريقته الجيدة، التي تجعل المتعلم على يديه لا يضيِّع ما تعلمه منه، وهي طريقة بعض السلف رحمهم الله ألا وهي طريقة الإملاء على طلاَّبه، وذلك في أغلب دروسه، ومن ضمن الدروس التي ألقاها على طلاَّبه بهذه الصفة درسه الجديد المسمَّى بإرشاد الساري إلى توضيح شرح السنة للإمام **أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري** إمام أهل السنَّة والجماعة في عصره رحمة الله عليه، فقد بدأ شيخنا في شرحه في أول يوم من أيام الدورة الصيفية، والمسماة بدورة الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي العلمية الرابعة لعام ١٤١٩هـ المقامة في محافظة صامطة بجازان، وكنت من ضمن

الطلاَّب المشاركين في هذه الدورة، ولم يتمكن فضيلته من إنهائه في هذه الدورة، وقد وعدني فضيلته أن يكمل شرح هذا الكتاب فيما بعد إن يسر الله له ذلك، وقد وفَّى فضيلته بالوعد، وحرص أشدَّ الحرص على مواصلة السير، وبذل جهده وطاقته، وضحَّى بوقته في سبيل أن يتم شرح هذا الكتاب الجليل ليجني أبناءه الطلبة فيها ثمرة جهده واجتهاده ويظفروا بما بذله لهم فيه من العلم النَّافع المأخوذ من كتاب ربِّهم، ومن صحيح سنَّة نبيِّهم ﷺ ومن نهج سلفهم الصالح ﵃ أجمعين، فجزاه الله خيراً، وبارك في علمه وعمره لنصرة الحقِّ وأهله، وقد تم شرح هذا الكتاب المبارك في ١٤٢٢/٧/٢٢هـ.

وقد وعدْت الشيخَ أحمد بأن أبذل قصارى جهدي في طباعته، وإخراجه للناس في أجمل صورة، وأبهى حلَّة، ليستفيد منه طلبة العلم، فقمت في هذا الشرح الطيب المبارك بعزو الآيات إلى مظانِّها من السور وبتخريج أحاديث هذا الشرح بشيءٍ من الإيجاز والاختصار إلى مصادره من كتب السنة وذلك بعد أن نقلت الحديث من أصله فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بتخريجه من ذلك وإن كان الحديث يوجد في غير الصحيحين خرَّجته من غيرهما من أمهات السنة كالسنن الأربع وغيرها من كتب السنة.

وبينت أقوال المحدثين في صحة الحديث وضعفه، وقد اعتمدت كثيراً بعد الله عز وجل إلى تصحيح وتضعيف الإمام الشيخ محمد بن ناصر الدين الألباني رحمه الله، وذلك لغزارة علمه، وسعة اطلاعه، ولكثرة تأليفاته في هذا المجال، وكتاباه سلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة بمجلداتها المتابعة خير شاهد على ذلك، وقد قمت كذلك بتخريج الآثار الواردة عن السلف مما ذكره شيخنا في ثنايا شرحه لهذا الكتاب بشيءٍ من الإيجاز والاختصار فأذكر من قال هذا الأثر من الأئمة وأحيل إلى المصدر الذي ذكر فيه هذا الأثر بقدر الجهد والاستطاعة ولا أنسى هنا أن أبين بأني قد أرجع في تخريج الآحاديث والآثار عن السلف إلى ما قاله محققا شرح السنة أعني بهما الشيخ القحطاني، والشيخ الردادي وفقهما الله لكل خير وخاصةً في

تخريجهما لأحاديث وآثار المتن، وأحياناً احتاج إلى مساعدة بعض إخواني طلبة العلم ممن أعرفهم من طلبة شيخنا النَّجمي في تخريج بعض هذه الأحاديث والآثار وقد أشرت إلى ذكر أسمائهم في الحاشية، فمهما يكن فالعبد قوي بإخوانه؛ ضعيف بنفسه وإنِّي لأقول لمن شاركني في هذا البحث على التحقيق والتدقيق أسأل الله لكم الأجر والثواب، ولكم مني ومن شيخي الشكر والثناء والدعاء وأسأل الله أن يكتب ذلك في موازين حسناتكم. وقد اعتمد شيخنا في شرح هذا المتن على النسخة التي قام بتحقيقها الشيخ محمد بن سعيد بن سالم القحطاني ثمَّ لما أوشك شيخنا النجمي على الانتهاء من شرح هذا المتن المبارك، وجدت طبعةً أخرى بتحقيق الشيخ أبي ياسر خالد بن قاسم الردادي، وقد قارنت بين النسختين فوجدت اختلافاً كثيراً بينهما ولصعوبة التغيير والتبديل أشرت في بعض المواضع إلى النسخة الجديدة بقولي: وفي نسخة الردادي كذا.. أو في طبعةٍ أخرى كذا..

وأخيراً أسأل الله أن يجزي شيخنا النَّجمي خير الجزاء، وأن يجمعنا به وبالصالحين من عباد الله في جنات عدنٍ على سررٍ متقابلين وأن يعيذنا جميعاً من النار، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سطرها: تلميذه الفقير إلى رحمة ربه

حسن بن محمد بن منصور دغريري

ترجمة الماتن الإمام البربهاري رحمه الله

بناءً على طلب شيخنا أحمد بن يحيى النَّجمي حفظه الله أن أكتب ترجمةً لصاحب المتن الإمام البربهاري لبَّينا الطلب، واستعنَّا بالله في ذلك واعتمدنا على ما ترجم به محققا هذا الكتاب الدكتور الشيخ محمد بن سعيد القحطاني، والشيخ خالد بن قاسم الردادي حفظهما الله، وهداهما للحق والصواب، وما كتباه فيه غنيةٌ إن شاء الله عن البحث والتحقيق، وفي الميسور بركة، والله المستعان:

اسمه، وكنيته، ونسبه:

هو الإمام الحافظ المتقن الثقة الفقيه المجاهد شيخ الحنابلة وكبيرهم في عصره أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري بفتح الباء الموحدة وسكون الراء المهملة أيضاً، وفتح الباء الثانية أيضاً، والراء المهملة أيضاً بعد الهاء والألف، وهذه نسبةٌ[(١)] إلى بربهار، وهي الأدوية التي تجلب من الهند.

موطنه، ونشأته:

قال الشيخ الردادي: (لم تذكر المصادر المتوفرة بين أيدينا شيئاً عن

(١) قال الشيخ الردادي: (انظر في نسبته الأنساب للسمعاني (١/٣٠٧) واللباب لابن كثير (١/١٣٣)) اهـ.

مولده ونشأته؛ لكن يبدو لي أنَّه بغدادي المولد والنشأة، وذلك لذيع صيته وشهرته فيها بين عامَّة الناس، فضلاً عن خاصَّتهم، وقد صحب البربهاري جماعةٌ من أصحاب إمام أهل السنة والجماعة أحمد بن حنبل رحمه الله وأخذ العلم عنهم، وجلُّهم بغداديون كما يأتي بيانه، وهذا مما يدل على أنَّه نشأ في وسطٍ علمي سنِّي مما كان له كبير الأثر على شخصيته)[١] انتهى، وقال الشيخ القحطاني: (فقد صحب جماعة من أصحاب الإمام أحمد منهم الإمام أحمد بن محمد أبو بكر المروزي صاحب الإمام أحمد، وأحد نجباء تلاميذه، وصحب أيضاً سهل بن عبدالله التستري، وروى عنه قوله: إنَّ الله خلق الدنيا، وجعل فيها جهَّالاً، وعلماء، وأفضل العلم ما عمل به والعلم كله حجة إلاَّ ما عمل به، والعمل به بهاء إلاَّ ما صحَّ، وما صحَّ فلست أقطع به إلاَّ باستثناء ما شاء الله)[٢] انتهى.

هيبته ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه:

قال الشيخ الردادي: (لقد كان الإمام البربهاري رحمه الله إماماً مهيباً قوَّالاً بالحق، داعيةً للسنة واتباع الأثر، له صيتٌ عند السلطان وجلالة وكان مجلسه عامراً بحلق الحديث والأثر والفقه يحضره كثيرٌ من أئمة الحديث والفقه، قال أبو عبدالله الفقيه: إذا رأيت البغدادي يحب أبا الحسن بن بشار، وأبا محمد البربهاري، فاعلم أنَّه صاحب سنة)[٣] انتهى قال الشيخ القحطاني: (لقد ذكر المؤرخون قصةً تبيِّن عظم مكانة هذا الإمام فقد سرق القرامطة الحُجَّاج، فقام فقال: يا قوم من كان يحتاج إلى معاونة بمائة ألف دينار، ومائة ألف دينار ومائة ألف دينار خمس مرات عاونته. قال ابن بطة: لو أرادها معاونة لحصَّلها من الناس) انتهى.

قال الشيخ الردادي: (وأمَّا عن ثناء العلماء عليه فكثير: قال ابن أبي

(١) قال الشيخ الردادي: (انظر طبقات الحنابلة (٢/٦٤)) اهـ.
(٢) قال الشيخ القحطاني: (طبقات الحنابلة (٢/٤٣)) اهـ.
(٣) قال الشيخ الردادي: (انظر طبقات الحنابلة (٢/٥٨)) اهـ.

يعلى: شيخ الطائفة في وقته ومتقدمها في الإنكار على أهل البدع والمباينة لهم باليد، واللسان، وكان له صيتٌ عند السلطان، وقدم عند الأصحاب، وكان أحد الأئمة العارفين، والحفاظ للأصول المتقنين والثقات المؤمنين. وقال الذهبي في العبر: الفقيه القدوة شيخ الحنابلة بالعراق قالاً، وحالاً، وحلالاً، وكان له صيتٌ عظيم، وحرمة تامة. وقال ابن الجوزي: جمع العلم، والزهد، وكان شديداً على أهل البدع. وقال ابن كثير: العالم الزاهد الفقيه الحنبلي الواعظ وكان شديداً على أهل البدع والمعاصي، وكان كبير القدر تعظّمه الخاصة والعامة) انتهى.

وقال الشيخ القحطاني: (ومما يدل على مكانته أنَّ أبا عبدالله بن عرفة المعروف بِنَفْطَوَيه لما مات في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة حضر جنازته أماثل أبناء الدنيا والدين، وقدم البربهاري لإمامة الناس، وفي هذه السنة ازدادت حشمة البربهاري، وعلت كلمته، وظهر أصحابه وانتشروا في الإنكار على المبتدعة، فبلغنا أنَّ البربهاري اجتاز بالجانب الغربي فعطس فشمَّته أصحابه، فارتفعت ضجتهم حتى سمعها الخليفة وهو في روشنه[١] فسأل عن الحال، فأخبر بها، فاستهولها)[٢] انتهى.

زهده وورعه:

قال الشيخ القحطاني: (اشتهر البربهاري بالزهد في متاع الدنيا، زهد الذي يملك الدنيا ولكن يضعها في كفه. أمَّا حبُّ الله ورسوله وإعلاء الحق، ففي قلبه، ولذا ذكر المترجمون له أنَّه رحمه الله تنزه من ميراث أبيه عن سبعين ألف درهم)[٣] انتهى.

تلاميذه:

قال الشيخ الردادي: (لقد أخذ العلم عن هذا الإمام عددٌ كبيرٌ من

---

(١) أي في بيته أو قصره.
(٢) قال الشيخ القحطاني: (انظر طبقات الحنابلة (٢/٤٤)) اهـ
(٣) قال الشيخ القحطاني: (انظر طبقات الحنابلة (٢/٤٣)) اهـ.

طلاب العلم واستفادوا منه، فقد كان رحمه الله قدوةً في حاله، ومقاله، ومن هؤلاء التلاميذ:

١ ـ الإمام القدوة الفقيه أبو عبدالله بن عبيد الله بن محمد العكبري الشهير بابن بطة توفي في المحرم من سنة سبع وثمانين وثلاثمائة[١].

٢ ـ والإمام القدوة الناطق بالحكمة محمد بن أحمد بن إسماعيل البغدادي أبو الحسين بن سمعون الواعظ صاحب الأحوال والمقامات توفي في نصف ذي القعدة من سنة سبع وثمانين وثلاثمائة[٢].

٣ ـ أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة أبو بكر راوي هذا الكتاب عن المؤلف.

٤ ـ محمد بن خلف بن عثمان أبو بكر قال الخطيب: وكان فيما بلغني يظهر التقشف وحسن المذهب إلاً أنّه روى مناكير وأباطيل[٣]) انتهى.

بعض أقواله:

قال الشيخ القحطاني: يقول البربهاري مثل أصحاب البدع مثل العقارب يدفنون رؤوسهم وأيديهم في التراب، ويخرجون أذنابهم فإذا تمكنوا لدغوا، وكذلك أهل البدع هم مختفون بين الناس فإذا تمكنوا بلغوا ما أرادوا[٤].

ومن أقواله النافعة قوله: المجالسة للمناصحة فتح باب الفائدة، والمجالسة للمناظرة غلق باب الفائدة[٥]، ومن شعره قوله:

من قنعت نفسه ببلغتها أضحى غنياً وظلَّ ممتنعاً
لله درُّ القنوع من خلقٍ كم من وضيعٍ به قد ارتفعا

(١) قال الشيخ الردادي انظر: انظر ترجمته في العبر (١٧١/٢) والسير (٥٢٩/١٦) اهـ.
(٢) قال الشيخ الردادي انظر: (ترجمته في العبر (١٧٢/٢) والسير (٥٠٥/١٦) اهـ.
(٣) قال الشيخ الردادي انظر: (ترجمته في تاريخ بغداد (٢٢٥/٣) والميزان (٢٨/٤)) اهـ.
(٤) قال الشيخ القحطاني انظر: المنهج الأحمد ٣٧/٣ اهـ.
(٥) قال الشيخ القحطاني انظر: (سير أعلام النبلاء ٩١/١٥ والطبقات ٤٣/٢) اهـ

تضيق نفس الفتى إذا افتقرت ولو تعزَّى بربه اتسعا[١]

مصنفاته:

قال الشيخ الردادي: (ذكر المترجمون له أنَّ له مصنفات عديدة بيد أنِّي لم أظفر له بكتابٍ سوى هذا الكتاب) انتهى.

محنته ووفاته:

قال الشيخ القحطاني: (امتحن هذا الإمام كما امتحن الصالحون من قبله، فقد كانت المبتدعة تغيظ قلب السلطان عليه، ففي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة في خلافة القاهر ووزيره بن مقلة تقدَّم بالقبض على البربهاري، فاستتر، وقبض على جماعةٍ من كبار أصحابه وحملوا إلى البصرة، فعاقب الله ابن مقلة على فعله ذلك بأن أسخط الله عليه القاهر بالله وهرب ابن مقلة، وعزله القاهر عن وزارته، وطرح في داره النار، ثمَّ قبض على القاهر بالله سنة ٣٢٢هـ وحبس، وخلع من الخلافة، وسمرة عيناه حتى سالتا جميعاً فعمي[٢].

ثم جاء الخليفة الراضي، فلم تزل المبتدعة توحش قلب الراضي حتى نودي في بغداد ألاَّ يجتمع من أصحاب البربهاري نفسان، فاستتروا، وكان ينزل بالجانب الغربي بباب محول فانتقل إلى الجانب الشرقي مستتراً فتوفي في الاستتار في رجب سنة ٣٢٩هـ وله ستٌّ وتسعون سنة، وقيل بل عاش سبعاً وسبعين سنة، وكان في آخر عمره قد تزوج بجارية)[٣] انتهى.

قال الشيخ الردادي حفظه الله نقلاً عن ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة قال: (حدثني محمد بن الحسن المقري قال: حكى لي جدي

---

(١) قال الشيخ القحطاني انظر: (الوافي بالوفيات ١٢/١٤٦) اهـ.

(٢) قال الشيخ القحطاني انظر: (الطبقات ٢/٣٨) اهـ.

(٣) قال الشيخ القحطاني انظر: (طبقات الحنابلة ٢/٤٤ وسير أعلام النبلاء ١٥/٩٣ والنهج الأحمد ٢/٣٨) اهـ.

وجدتي قالا: كان أبو محمد البربهاري قد اختبأ عند أخت توزون بالجانب الشرقي في درب الحمام في شارع درب السلسلة فبقي نحواً من شهر فلحقه قيام الدم فقالت أخت توزون لخادمها: مات البربهاري عندها مستتراً انظر من يغسله؟ فجاء بالغاسل فغسله، وغلَّق الباب حتى لا يعلم أحد، ووقف يصلي عليه وحده فطالعت صاحبة المنزل فرأت الدار ملىء رجالاً عليهم ثياب بيضٌ وخضر، فلَّما سلَّم لم تر أحداً، فاستدعت الخادم، وقالت يا حجام: أهلكتني مع أخي فقال يا ستي ما رأيت؟ فقالت: نعم، فقال: هذه مفاتيح الباب وهو مغلق فقالت: ادفنوه في بيتي فإذا مت فادفنوني عنده) انتهى.

وبذلك أيها الإخوة القراء انتهت ترجمة هذا الإمام الجهبذ رحمه الله والتي ما هي إلا إشاراتٌ واضحة على جلالة قدره، وعلو شأنه بين أهل العلم ولمزيدٍ من التقصي عن سيرته رحمه الله كما أشار إلى ذلك الشيخ الردادي حفظه الله، فليرجع في ذلك إلى المصادر التالية علَّ النفس تتأسى بما كان عليه الإمام البربهاري من العلم والعمل الصالح، وما حباه الله من الزهد في الدنيا، وتقديم ما يبقى على ما يفنى، فنسأل الله أن يتغمده بواسع فضله ورحمته وسائر علماء المسلمين الأحياء منهم والميتين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين:

١ ـ طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١٨/٢ - ٤٥).

٢ ـ المنتظم لابن الجوزي (١٤/١٤ - ١٥).

٣ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير (٣٧٨/٨).

٤ ـ العبر في خبر من غبر للذهبي (٣٣/٢).

٥ ـ سير أعلام النبلاء للذهبي (٩٠/١٥ - ٩٣).

٦ ـ تاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ٣٢١ ـ ٣٣٠هـ ص٢٥٨ - ٢٦٠).

٧ ـ البداية والنهاية لابن كثير (٢١٣/١١ - ٢١٤).

٨ ـ الوافي بالوفيات للصفدي (١٤٦/١٢ - ١٤٧).

٩ ـ مرآة الجنان لليافعي (٢/٢٨٦ - ٢٨٧).

١٠ ـ شذرات الذهب لابن العماد (٢/٣١٩ - ٣٢٣).

١١ ـ المنهج الأحمد للعليمي (٢/٢٦ - ٣٩).

١٢ ـ المقصد الأرشد لابن مفلح (١/٢٨٨ - ٢٣٠).

١٣ ـ مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (ص٥١٢ - ٥١٣).

١٤ ـ جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر ليوسف ابن عبدالهادي (ل/٨١ ب).

١٥ ـ الأعلام للزركلي: (٢/٢٠١).

١٦ ـ معجم المؤلفين لرضا كحالة (٣/٢٥٣).

١٧ ـ تاريخ التراث العربي لسزكين (١/٣/٣٣٤ - ٢٣٥) انتهى.



ترجمة لشارح المتن
الشيخ أحمد بن يحيى النجمي حفظه الله

وأمَّا شيخنا أحمد بن يحيى النَّجمي حفظه الله ورعاه، فقد ذكرت ترجمته في كتابيه المُهمَّين وهما المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال، حيث ترجم له تلميذه النجيب الشيخ محمد بن هادي المدخلي بما يغني اللبيب، ويكفي الطالب الحبيب عن مزيدٍ عن التقصي عن سيرة شيخنا أحمد النَّجمي.

وأمَّا الكتاب الآخر فهو كتاب الفتاوى الجلية عن أسئلة المناهج الدعوية، والذي قام بتحقيقه وإخراجه كاتب هذه الأسطر عفا الله عنه، وأرشده للحق والصواب وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا ويوم المآب وسائر شيوخه، وزملائه، وجميع المسلمين، وسأذكر هنا في هذا المقام تلك الترجمة الوجيزة عن شيخنا النَّجمي، والتي وردت في كتابه الفتاوى الجلية علَّ فيها نفعاً للجميع مع اختصارها ولكن فيها كفايةٌ إن شاء الله، فقد سئل شيخنا النَّجمي في ذلك الكتاب وفي أول سؤالٍ فيه بقول السائل: (نرجو من فضيلتكم التكرم بالتعريف ببطاقتكم الشخصية؟ وأجاب حفظه الله بقوله: الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً وبعد: أخوكم: أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي، من مواليد قرية النجامية[1] وكانت ولادتي في

(١) النجامية: وهي قرية من قرى جازان؛ تبعد عن مدينة صامطة جنوباً بحوالي أربعة كيلومترات يحول بينهما الوادي.

آخر عام ١٣٤٦هـ دَرستُ القرآن في الكتاتيب[1] ثلاث مرات قبل مجيء شيخنا عبدالله بن محمد القرعاوي[2].

وبعد مجيء الشيخ رحمه الله، وتأسيس المدرسة السلفية[3] في صامطة

---

(١) الكتاتيب: هي جمع كُتَّاب، وهو مكان صغير لتعليم الصبيان القراءة، والكتابة، وتحفيظهم القرآن. انظر المعجم الوسيط ص٧٧٤ طبعة دار الدعوة.

(٢) هو الشيخ عبدالله بن محمد بن حمد القرعاوي، وهذا لقبٌ لجده نسبةً إلى قريةٍ سكنها يقال لها القرعاء تابعة لمدينة بريدة، ولد رحمه الله في ١٣١٥/١٢/١١هـ كان رحمه الله من حملة السنَّة، والدعاة إليها في ذلك الوقت؛ درس على أيدي علماء أجلَّاء في بلاده نجدٍ وفي غيرها، ورغب بأن يكون من الدعاة إلى الله، ومن المجددين لدين الله نصرة للحق، ومن الدَّالين على طرق الهدى من الضلال والشرك من التوحيد، ومن المحذِرين من السيئات التي تكون سبباً في غضب الكبير المتعال جلَّ جلاله، وشاء الله سبحانه وتعالى أن يكون رحمه الله من الدعاة إلى سبيله في المنطقة الجنوبية، وذلك بمشورةٍ من شيخه آنذاك مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم وذلك بعدما قصَّ عليه رؤياه التي رآها في منامه، أشار عليه الشيخ بأن يذهب إلى المنطقة الجنوبية، فوصل إليها وأناخ رحاله في مدينة جازان في عام ١٣٥٨هـ ومن ثمَّ أدلف بعد ذلك إلى مدينة صامطة، فنفع الله به أهالي هذه الديار، فتعلَّموا منه الكتاب والسنَّة، وتفقهوا في دين الله على يديه، وعلى رأسهم: فضيلة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي، والشيخ أحمد بن يحيى النجمي، والشيخ عمر جردي المدخلي، ومحمد بن أحمد الحكمي، وغيرهم من العلماء الذين أعزَّ الله بهم السنَّة، وقمع الله على أيديهم البدعة، فرحم الله من قد مات منهم وغفر الله لمن هو باقٍ على قيد الحياة وأحسن لنا ولهم العاقبة والمآل آمين؛ مات فضيلة الشيخ عبدالله القرعاوي رحمه الله وأسكنه فسيح جنَّاته في مدينة الرياض يوم الثلاثاء الموافق: ١٣٨٩/٥/٨هـ لمزيدٍ من التحري والاستقصاء عن حياته رحمه الله. انظر كتاب تلميذه حفظه الله الشيخ عمر بن أحمد جردي بعنوان (النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية) طبعة عام ١٤١٦هـ.

(٣) المدرسة السلفية هي التي أقامها الشيخ عبدالله القرعاوي في أول مجيئه إلى صامطة في دار الشيخ ناصر بن خلوفة رحمه الله وذلك في أول شهر شعبان عام ١٣٥٨هـ والتي بدأ التدريس فيها في ذلك التاريخ تقريباً - انظر المصدر السابق ص١٨٨ وما بعدها وبمناسبة ذكرنا للمدرسة السلفية التي تأسست في عهد الشيخ عبدالله القرعاوي آنذاك نود أن نشيد بالمكتبة السلفية الخيرية والتي أكملت ما بدأه الشيخان الفاضلان: فضيلة الشيخ عبدالله ابن محمد القرعاوي: وفضيلة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي. رحمهما الله من تزويد مرتاديها بالعلم النافع الصافي من كلِّ شائبةٍ والخالي من كلِّ بدعةٍ واردة بمشيئة ربنا وفضله، وهي جديرةٌ بأن تذكر ويعلو صوتها ويبث صداها في العالمين كيف لا؟ =

عام ١٣٥٩هـ ترددت إلى المدرسة ولم أستمر، ثمَّ من أول عام ١٣٦٠هـ.

وفي شهر صفر بالتحديد دخلت المدرسة السلفية بصامطة التي أسسها فضيلة شيخنا الداعية المشهور الذي أنقذ الله به أمَّةً في منطقة جازان ورحمهم به، بأن أخرجهم من الشرك إلى التوحيد، ومن الجهل إلى العلم، ومن الفسق والبدع إلى البر والإيمان، والحمد لله واصلت الدراسة في مدرسة الشيخ وفي عام ١٣٦٥هـ عُيِّنت من قبل الشيخ، في مدرسة النجامية، وفي هذا المسجد الذي بجانب بيتي، فكنت أدرِّس فيه، وأدرس في المدرسة السلفية ثمَّ في عام ١٣٦٧هـ عُيِّنت أيضاً بصفةٍ رسمية في نفس المدرسة، وفي عام ١٣٧٢هـ عُينت إماماً ومعلِّماً بمسجد أبي سبيله جهة العارضة[1] وجلست سنتين في تلك المنطقة أذهب وأجيء، وبعدها فتح المعهد العلمي بصامطة في مستهل عام ١٣٧٤هـ وعُينت فيه مدرِّساً، مع الشيخ حافظ[2] وناصر

= وهي مؤسَّسةٌ على أصلٍ متين ومنهج قويم من كتاب ربنا ومن سنَّة نبينا محمدٍ ﷺ، وقد أشرف على انتقاء كتبها واختيار المراجع السلفية لها، فضيلة الشيخ زيد بن محمد المدخلي. أمدَّه الله بالعافية لخدمة السنَّة وأهلها وقد تم تأسيسها في محافظة صامطة بمنطقة جازان في ١٤١٦/٣/١٧هـ وقد فسحت من قبل وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد برقم ٢٠٤٨/١٠ وهي تضم على ما يزيد عن أربعة آلاف كتاب وهي مفتَّحةٌ أبوابها لكلِّ راغبٍ في الاستفادة والتزود من العلم الشرعي الذي ملئت كتبها به وذلك بدءاً من الساعة التاسعة صباحاً إلى صلاة الظهر ومن بعد صلاة عصر كلِّ يوم إلى صلاة العشاء بخلاف يوم الخميس فبابها مفتوح من صباحه إلى صلاة عشاء ذلك اليوم وهي ترحبُ بكلِّ من أراد أن يمدَّ لها يد العون من إخواننا السلفين الموسرين الذين يريدون فعل الخير والإسهام في تزويدها بأكبر قدرٍ ممكن من الكتب فهي ما قامت إلَّا على أيدي بعض المحسنين غفر الله لنا ولهم ولمن سعى ويسعى دوماً في خدمة السنَّة وأهلها وإحياء لتراث السلف رحم الله الجميع برحمته قال الله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل آية ٩٦].

(١) العارضة: مدينةٌ صغيرة شبه جبلية تبعد عن مدينة أبي عريش شرقاً بحوالي ٣٠ كيلو متراً تقريباً.

(٢) الشيخ حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، والحكمي نسبة إلى الحكم بن سعد العشيرة من مِذحج أشهر وأعظم قبيلة من شَعب كهلان بن سبأ بن يعرب بن قحطان، والله أعلم؛ ولد رحمه الله في قرية السلام عام ١٣٤٢ التابعة لمدينة المضايا وهي إحدى قرى منطقة جازان نشأ في أسرةٍ مشهورةٍ بالصلاح فختم القرآن صغيراً وهو راعٍ للغنم؛ =

خلوفه[(١)]، وجماعةٍ معهم[(٢)]، ودرَّست في ذلك المعهد عشر سنوات ثمَّ استقلت في ١٣٨٤/٣/١١هـ. كانت نفسي توَّاقة إلى أن ألتحق بالجامعة الإسلامية مدرِّساً لا سيما وأنَّ فيها في ذلك الوقت الشيخ محمد بن ناصر الدِّين الألباني المحدِّث المعروف والشيخ عبدالعزيز بن باز الذي هو رئيس الجامعة الإسلامية بالنِّيابة كنت أرغب الاتصال بهما والأخذ عنهما رغبت هذا

= حبِّب إليه العلم من الصغر، ولمَّا جاء الشيخ عبدالله القرعاوي وبدأ يدرس في عام ١٣٥٩هـ اتصل به الشيخ حافظ عن طريق الكتابة وهو في قرية الجاضع إحدى القرى التابعة لمحافظة صامطة بواسطة أخيه الأكبر محمد رحمه الله، فلمَّا وصل إليه خطابه أعجب بخطِّه وذهب إليه، ومكث في قريته بضعة أيام فأعجب به الشيخ عبدالله القرعاوي غاية الإعجاب، وطلب من والديه الذهاب به إلى صامطة مقر المدرسة السلفية فالتحق بعد ذلك بالمدرسة السلفية بصامطة عام ١٣٦٠هـ وتفرغ للدراسة وفي خلال سنتين تقريباً من دراسته حوى علماً كثيراً، وحفظ متوناً ومنظومات عديدة في فنون العلم المختلفة، وبدأ في التأليف في عام ١٣٦٢هـ بلغت حوالي ٢٣ مؤلَّفاً منها ما هو مطبوع، ومنها ما لم يطبع.له أعمالٌ جليلة لا يتسع المقام لذكرها في هذا السفر الصغير؛ مات رحمه الله في يوم السبت: ١٣٧٧/١٢/١٨هـ ولمزيدٍ من التقصي عن حياة الشيخ حافظ الحكمي نحيل القراء الكرام إلى كتاب (النهضة الإصلاحية في جنوب المملكة العربية السعودية) تأليف الشيخ عمر بن أحمد جردي. حفظه الله. ص ١٨٦ وما بعدها، وإلى رسائل مستقلة عن حياة الشيخ حافظ الحكمي العلمية لفضيلة الشيخين الجليلين الشيخ زيد بن محمد بن هادي المدخلي، وفضيلة الشيخ أحمد بن علي علوش المدخلي؛ اللذان ما زالا على قيد الحياة متَّعنا الله بحياتهما لنصرة الحق، وقمع أهل الزيغ، والبدع.

(١) الشيخ ناصر بن خلوفة الملقب بطياش بن محمد بن علي المباركي، ولد بمدينة صامطة عام ١٣٢٢هـ وهو أحد طلَّاب الشيخ عبدالله القرعاوي رحمة الله عليهم جميعاً، وله الفضل بعد الله عزَّ وجل في نشر العلم، وفتح أبوابه لمبتغيه إذ قد ساعد على تأسيس أوَّل مدرسة سلفية تقام في صامطة عام ١٣٥٨هـ والتي كان مقرَّها في بيته ومات رحمه الله في ١٣٩٣/١١/٦هـ لمزيدٍ من الإيضاح والتبيان عن ترجمة هذا العلم راجع المصدر السابق ص ١٨٨ وما بعدها.

(٢) أمثال الشيخ: محمد بن عثمان نجار المباركي رحمه الله المتوفي عام ١٣٧٧ راجع ترجمته في الكتاب السابق ص١٩٣، والشيخ محمد بن أحمد الحكمي رحمه الله. انظر ترجمته في المصدر السابق أيضاً ص٢٠٥ وغيرهم من الفضلاء الذين لا يتسع المقام لذكرهم في هذه العجالة رحم الله من قد مات منهم، وغفر الله لمن بقي.

ولم يرد الله ذلك، ثمَّ بعد ذلك حاولت أن ألتحق بالجامعة[١]، فلم يُقدّر لي، والتحقت بالدعوة والإرشاد[٢] فعينت واعظاً، ومرشداً، في جهة صامطة، والموسم، والمسارحة، وأبي عريش فجلست ثلاث سنوات تقريباً متجوّلاً في المنطقة للوعظ والإرشاد إلاَّ أنَّ الأسفار[٣] أتعبتني وأرهقتني فطلبت الرجوع إلى المعاهد مرَّةً أخرى، ونقلت مدرِّساً، والحمد لله صدر قرارٌ بإرجاعي إلى المعاهد مدرِّساً، وفي أول سنةٍ لم أتحصَّل على صامطة، فعُينت في معهد جازان فبقيت فيه العام الدراسي ١٣٨٧ـ ١٣٨٨هـ وبعد نهاية العام الدِّراسي نقلت إلى معهد صامطة العلمي مرَّةً أخرى، ولبثت به إلى أن أُحلت للتقاعد في عام ١٤١٠هـ وبعد ذلك، والحمد لله لم أنقطع عن التدريس فقد واصلت فيه على طريقة الحلقات في المساجد، وأسأل الله أن يختم لي ولكم بخير) انتهى كلام شيخنا حفظه الله. وبالمناسبة يسرني أن أُذَكِّرَ بأنَّ للشيخ أحمد ـ حفظه الله ـ بعض المؤلفات التي قد طبع بعضها وبعضها لم يطبع، فمن المطبوعات (المورد العذب الزلال فيما انتقد على

---

(١) المقصود بها الجامعة الإسلامية.

(٢) الواقعة بمدينة جازان (لم يكن في جازان ذلك الحين مركز للدعوة، وإدارة مستقلة، وأنا عُيِّنتُ في الرياض أوَّل إنشائه ومرجعي محكمة جازان، ومرجع الجميع المفتي السابق محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله) الشيخ أحمد النجمي.

(٣) المقصود بذلك والله أعلم، أنَّ الشيخ أحمد النجمي حفظه الله يرى أنَّ ما فوق مسافة بريدين يعتبر سفراً، والبريد يقدر بحوالي ٢٠ كيلًا تقريباً، استند في ذلك إلى بعض الأدلة كقوله: ﷺ: «لايحل لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم إلَّا مع ذي محرم» أخرجها الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حجٍّ أو غيرِه رقم الحديث ١٣٣٩ بترقيم عبدالباقي. وفي روايةٍ: «لايحل لامرأةٍ مسلمة تسافر مسيرة ليلة إلَّا معها رجلٌ ذو حرمة منها» أيضاً أخرجه مسلم بمثل التخريج السابق، واليوم وحده أو الليلة وحدها تقدر بمسافة ٤٠ كيلًا تقريباً، والعبرة بما كان يسافر عليه الأولون من المركوبات لا بما أنعم الله به علينا به في هذا الزمن من الطائرات ونحوها وإلَّا لم يسمَّ ذلك سفراً لكون المسافة الطويلة تقطع في وقتٍ وجيز، ولو كانت مسافة السفر تقدر بوسائل النقل الحديثة لضاعت كثيراً من السنن الواردة في السفر، ولكنَّ الحق في اتباع النصوص الشرعية لا بما تمليه علينا عقولنا القاصرة.

بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال) وهناك سفرٌ صغير طبع وردَّ فيه الشيخ أحمد على من رأى عدم طبع هذا الكتاب والذي سمَّاه فضيلته بـ (ردُّ الجواب على من طلب منِّي عدم طبع الكتاب) ومن الكتب التي طبعت حول هذا الموضوع (الرد الشرعي المعقول على المتصل المجهول) وللشيخ - وفَّقه الله - كتبٌ أخرى مطبوعة أمثال: الجزء الأول من (تأسيس الأحكام على ما صحَّ عن خير الأنام بشرح أحاديث عمدة الأحكام) وستعاد طباعة هذا الجزء مرَّةً أخرى مع الجزء الثاني والثالث بحول الله وقوته وبقية أجزاءه الأخرى لم يكتمل شرحها بعد، ومن الكتب المطبوعة لفضيلته كتابه (أوضح الإشارة في الرد على من أباح الممنوع من الزيارة، وتنزيه الشريعة عن إباحة الأغاني الخليعة، ورسالة الإرشاد إلى بيان الحق في حكم الجهاد، وفتح الرب الودود في الفتاوى والرسائل والردود) وهناك فتاوًى غيرها ستطبع قريباً إن شاء الله، وللشيخ أحمد ـ حفظه الله ـ خلاصات نافعة على بعض الكتب وشروحاتها، أملاها علينا فضيلته منذ زمنٍ بل على تلامذته من قبلي فبعضها قد اكتمل شرحه، كشرح السنة للإمام أحمد وشرح السنَّة للإمام البربهاري والذي تمَّ بحمد الله تحقيقه وتخريجه بأبهى حلة وأحسن صورة ولله الحمد على ذلك والذي قد أسماه شيخنا (بإرشاد الساري إلى توضيح شرح السنة للإمام البربهاري) وبعض الكتب لم يتم إكمال شرحها بعد كإملاءاته على فتح الباري بشرح أحاديث صحيح البخاري، وعلى صحيح الإمام مسلم للنووي رحمهما الله، ونيل الأوطار بشرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار وعلى عون المعبود بشرح أحاديث سنن أبي داود وتحفة الأحوذي بشرح أحاديث جامع الترمذي والروضة الندية شرح الدرر البهية، وعلى سبل السلام بشرح أحاديث بلوغ المرام، وأغلب هذه الكتب التي سبرناها لك أخي القارئ الكريم ما زالت تدرَّس في مسجده وفي غيره من المساجد في المنطقة وكلُّها تحتاج من أهل الفضل والإحسان ومحبِّي العلم والإيمان إلى عناية ومتابعة ومساعدةٍ، لإحيائها ونشرها بين الناس، فلن تخرج إلى حيِّز الوجود حتَّى يهيأ الله لها من يقوم بطبعها وتحقيقها وإخراجها بثوبٍ جديد، فجزى الله خيراً، من أراد أن يتسبب في نشر هذا العلم إلى ذويه ومبتغيه، وجزى الله

شيخنا الفاضل خيراً على ما قدَّمه وما يقدمه لطلبة العلم من العلم الجم الغزير الطيب النافع المبارك، فقد قضى فضيلته جميع أوقاته ما بين كاتبٍ، وناشر ومعلِّم ومفسر، ومرشدٍ ومبصِّر إلى جانب جلوسه للفتوى، واستقباله للناس دون ضَجرٍ ولا ملل مبتغياً بذلك وجه الله الكريم، أطال الله في عمر شيخنا وجميع شيوخ أهل السنَّة في كل قطرٍ ومصر والسائرين على منهاج النبوة والتابعين لآثار السلف في جميع أبواب العلم والعمل، زاده الله تقًى وعلماً ونفع بعلمه أبناء المسلمين وهدانا الله وإيَّاه، وسائر المسلمين؛ لكل ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة، والباطنة إنَّه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

كتبها:
حسن بن محمد بن منصور دغريري

أما الآن فإلى نص كتاب شرح السنة للإمام البربهاري، وما أملاه علينا الشيخ حفظه الله من تعليقات نافعة ومفيدة فجزاه الله عنَّا خير الجزاء: قال المصنف ـ علينا وعليه رحمة الله تعالى ـ في بداية كتابه هذا: (الحمد لله الذي هدانا للإسلام، ومنَّ علينا به، وأخرجنا في خير أُمَّةٍ فنسأله التوفيق لما يحب ويرضى والحفظ مما يكره ويسخط).



اعلم أن الإسلام هو السنَّة، والسنَّة هي الإسلام ولا يقوم أحدهما إلاَّ بالآخر، فمن السنة لزوم الجماعة، ومن رغب غير الجماعة وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكان ضالاً مضلاً [١].

---

[١] إنَّ الإسلام هو السنَّة، والسنَّة هي الإسلام كيف ذلك؟ يعني أنَّ الإسلام الحقيقي هو السنَّة، فمن استقام على السنَّة وأقامها، فقد أقام الإسلام، ومن اعوجَّ عنها ومال يمنةً أو يسرة فإنَّه قد أخل بالإسلام الحقيقي بانحرافه ذلك لكن اعلم أنَّ الميل ينقسم إلى قسمين:

١ ـ ميل كلِّي يكفر صاحبه، ويحكم عليه بأنَّه قد خرج من الإسلام بالكلية.

٢ ـ ميل جزئي لا يكفر صاحبه، ولا يحكم عليه بالارتداد، والخروج عن الإسلام ولكنَّه قد انتقص من إسلامه بقدر ميله ذلك قلَّ ذلك الميل أو كثر ما هو الدليل على ما قلناه؟ الدليل حديث الافتراق وهو قول النبي ﷺ «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقة كلها في النار إلاَّ واحدة قالوا من هم يا رسول الله؟» أي من هي تلك الواحدة ومن هم أهلها الذين ينجون من النار؟ قال النبي ﷺ: «هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي»(١). ثم اعلموا أنَّ

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في كتاب السنَّة باب شرح السنَّة وقال عنه الألباني حديثٌ حسنٌ صحيح وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في كتاب مسند الشاميين باب حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ وأخرجه الإمام الدارمي في كتاب السِّير باب في افتراق هذه الأمة وكل هذه الروايات مروية عن الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان وأخرجه الإمام ابن ماجة في سننه في كتاب الفتن باب افتراق الأمم. وذكر الألباني بأنَّ هذا الحديث صحيح انظر صحيح ابن ماجة وأخرجه الإمام أحمد كذلك في مسنده في كتاب مسند المكثرين عن الصحابي الجليل أنس بن مالكٍ ﷺ وكلُّ هذه الروايات وردت فيها بلفظ (الجماعة) أمَّا الروايات التي وردت بلفظ (ما أنا عليه وأصحابي) فقد وردت عن الصحابي الجليل عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في المستدرك على الصحيح للإمام الحاكم رحمه الله في كتاب العلم رقم الحديث ٨١٢٧ ج١/٢١٨ طبعة دار الكتب العلمية طبعة ١٤١١؛ وأخرجه كذلك الإمام الترمذي رحمه الله في كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلَّا الله.

الوعيد بالنَّار على سائر الفرق ليس معنى ذلك أنَّهم كلهم مخلدون في النَّار ولكن من خالف عمَّا جاء به الرسول ﷺ وعمَّا كان عليه هو وأصحابه فإمَّا أن يكون خلافه موجبٌ للردة، والخروج من الإسلام، فهذا يكون مخلداً في النَّار، ومن كانت مخالفته جزئية، وكان باقياً على الإسلام، فهو متوعد بالنَّار، ويرجو ما يرجوه الموحدون من الخروج من النَّار، لما ثبت في أحاديث الشَّفاعة أنَّ الله عز وجل يخرج من النَّار من مات على التوحيد، وكان معه من الإيمان ولو كان شيئاً قليلاً[١].

لكن ما الزمن الذي سيبقاه هذا الشخص في النَّار؟ الله سبحانه وتعالى أعلم به، وإذا كان قد ورد أنَّ الذين يدخلون الجنَّة يؤخر بعضهم عن بعض بمقدار أربعين خريفاً[٢]، وبمقدار خمسمائة عام[٣]، فهؤلاء الذين ينجون من النَّار، ويجوزون الصراط، فما ظنَّك بعد هذا بمن يدخل النار؛ لهذا فمن كان يرجو النَّجاة لنفسه، ويرغب أن يكون ناجياً مع النَّاجين، وداخلاً إلى الجنَّة مع الداخلين الذين يقال لهم: ادخلوا الجنَّة بسلامٍ آمنين، من كان يريد

---

(١) لمزيدٍ من الإطلاع على شيٍ من تلك الأحاديث التي ورد فيها إخراج الله للموحدين من النار برحمته تعالى أولًا ثمَّ بشفاعة الشافعين فليرجع إلى ما جاء في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ فانظر صحيح البخاري كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال ومسلمٌ في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية وتأمل كذلك ما أورده الترمذي رحمه الله في كتاب صفة جهنم باب ما جاء أنَّ للنار نفسين وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه باب زيادة الإيمان وابن ماجة في المقدمة باب في الإيمان وفي مسند الإمام أحمد في باقي مسند المكثرين بترقيم إحياء التراث ١١٤٨٨ و١٢٣٦١ و١٢٤٨٦ و١٣٥١٦.

(٢) الحديث أورده الإمام مسلمٌ في صحيحه من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ في أول كتاب الزهد والرقائق وأحمد في مسند المكثرين من الصحابة برقم ٦٥٤٢.

(٣) كما ورد ذلك في سنن الإمام ابن ماجة في كتاب الزهد باب في منزلة الفقراء من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ: «إنَّ فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار خمس مائة سنة» وأورد مثله الإمام أحمد في مسند المكثرين برقم ٧٨٨٦ و ٢٧٧٩ و١٠٢٧٦ و ١٠٣٥٢ بترقيم إحياء التراث يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بمقدار خمس مائة سنة. وأورد مثله الإمام أحمد في مسند المكثرين برقم ٧٨٨٦ و ٢٧٧٩ و١٠٢٧٦ و ١٠٣٥٢ بترقيم إحياء التراث.

ذلك، فعليه بعقيدة أهل السنَّة والجماعة، ليأخذ بها عقيدةً ونهجاً، فلا يميل عنها يمنةً ولا يسرة، وهذا معنى قول المؤلف: (الإسلام هو السنَّة والسنَّة هي الإسلام) وقد عرفنا من خلال ما مضى أنَّ الإسلام الحقيقي هو السنَّة، وأنَّ السنَّة هي الإسلام الحقيقي، وأنَّه لا يقوم أحدهما إلاَّ بالآخر ثمَّ قال: (فمن السنَّة لزوم الجماعة، ومن رغب غير الجماعة) والمعنى رغب عن الجماعة إلى غيرها (وفارقها فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه وكان ضالاً مضلاً) ما الذي يدل عليه قوله: (فمن السنَّة لزوم الجماعة) يشير المؤلف رحمه الله بهذا إلى أنَّ من اعتقد الخروج على ولاة الأمر والمقصود بالجماعة هي جماعة المسلمين، الذين يكونون تحت ولايةٍ واحدة فإنَّه إذا رأى جواز الخروج على ولاة الأمر المسلمين، فإنَّه يعتبر قد فارق السنَّة، وفارق الجماعة، وخلع ربقة الإسلام من عنقه، وكان ضالاً مضلاً وما هي الرِّبقة؟ الربقة هي حبلٌ تجعل فيه حبالٌ فرعية في كلِّ حبل فلَكَة يربط بها الغنم مع بعض. إذاً فعقيدة الإسلام، ووَحْدَة الأمة هي بمنزلة الرِّبقة للمسلمين، فمن خلعها أي خلع الربقة من عنقه خلع الطاعة، ومن خلع الطاعة فارق الجماعة، وكان ضالاً مضلاً فعليك يا عبدالله أن تفهم أن الخروج من الطاعة عن ولاية الأمير المسلم، الذي قد أجمع المسلمون على بيعته، ودانوا له إمَّا بالبيعة الاختيارية أو بما شَهَرَ عليهم من السيف حتى خضعوا له جميعاً فإنَّه حينئذٍ يحرم الخروج عليه، وتحرم منازعته.

ما الأدلة على ذلك؟ الأدلة على ذلك متوافرةٌ من كتاب الله، ومن سنَّة رسول الله ﷺ ومن إجماع علماء المسلمين على ذلك: -

فمن الكتاب: قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: من الآية٥٩] فلمَّا قرن أولي الأمر وأوجب طاعتهم مع طاعته وطاعة رسوله فيما لم يكن معصية، دلَّ ذلك على وجوب الطاعة لهم وعدم جواز الخروج عليهم، وعدم جواز المنازعة لهم أو الإثارة عليهم، فهذه الآية صريحة وهناك آياتٌ تدخل فيها هذه العقيدة ضِمْناً كقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: من الآية١٠٣]، وكقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا

﴿فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣] ففي هاتين الآيتين أمر الله عز وجل بالاعتصام بحبله، واتباع سبيله ونهى عن التفرق، فقال في الآية الأولى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وقال في الآية الثانية: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ فدلَّ ذلك على عدم جواز التفرق، وعلى حرمته، وأنَّه شيءٌ لا يجوز.

أمَّا الأدلة من السنَّة فهي كثيرةٌ جداً: من ذلك حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنَّه من خرج من الجماعة شبراً فمات إلاَّ مات ميتةً جاهلية»(١) وفي رواية: «فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»(٢) وكذلك ما رواه البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت ﷺ قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وألاَّ ننازع الأمر أهله إلاَّ أن تروا كفراً بواحاً معكم من الله فيه برهان»(٣) وفي صحيح مسلم من حديث عرفجة الكِلابي: «من أتاكم وأمركم جميعٌ على رجلٍ واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق كلمتكم فاضربوا عنقه كائناً من كان»(٤) ومن حديث أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه بمعناه. وفي حديث الحارث الأشعري رضي الله عنه الذي رواه الإمام أحمد في المسند عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمسٍ كلمات أن يعمل

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أموراً تنكرونها» واللفظ الوارد في الشرح له وأخرجه مسلمٌ في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه في كتاب الأمثال باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة وهو الباب الثالث من أبواب هذا الكتاب وقد صحح حديثه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي. وأخرجه الإمام أحمد في كتاب مسند الشاميين برقم ١٦٧١٨ و١٧٣٤٤ وكذلك أخرجه أحمد في باقي مسند الأنصار برقم ٢١٨٣٥ عن الصحابي الجليل أبي مالكٍ الحارث الأشعري رضي الله عنه وكذلك أخرجه في مسند الأنصار برقم ٢١٠٥٠ و ٢١٠٥١ بترقيم العالمية عن الصحابي الجليل أبي ذرٍّ رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه في الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة.

(٤) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع بلفظ: «إنه ستكون هنَّاتٌ وهنَّات فمن أراد أن يفرق هذه الأمة وهي جميعٌ فاضربوه بالسيف كائناً من كان».

بهنَّ وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهنَّ»[١] وذكر الحديث، وفي آخره قال رسول الله ﷺ: «وأنا آمركم بخمسٍ الله أمرني بهنَّ آمركم بالجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة والجهاد في سبيل الله، فإنَّه من خرج من الجماعة قيد شبرٍ فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه إلاَّ أن يراجع»[٢].

وأخرج أحمد في المسند عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من فارق الجماعة شبراً خلع ربقة الإسلام من عنقه» وفي الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يداً من طاعة لقيَ الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتةً جاهلية» وفي حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذي في الصحيحين قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنَّا في جاهليةٍ وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم قال: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن قلت: وما دخنه؟ قال: أقوامٌ يستنُّون بغير سنَّتي ويهتدون بغير هَدْيِ تعرف منهم وتنكر قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة على أبواب جهنَّم من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعةٌ ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلَّها ولو أن تعضَّ بأصل شجرةٍ حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[٣].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح[٤] وزاد في رواية الأسود «تسمع

---

(١) الحديثان قد سبق تخريجهما.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٤) انظر شرح حديث حذيفة رضي الله عنه في فتح الباري لابن حجر رحمه الله في كتاب الفتن باب كيف إذا لم تكن جماعة.

وتطيع وإن ضرب ظهرك وأُخذ مالك[١] » قال: وكذا في رواية خالد بن سبيع عند الطبراني: «فإن رأيت لله خليفة فالزمه وإن ضرب ظهرك وإن لم يكن لله خليفة فالهرب!!!»[٢] إلى غير ذلك من الأدلة على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور إذا كانوا مسلمين، وأنه لا يجوز الخروج على إمام يقيم الصلاة ولا يجوز الخروج إلا على من وجد عنده كفر بواح مع الخارج فيه من الله برهان، وأيضاً أنّه لا ينبغي الخروج إلاّ إذا كان للمسلمين قوةً يستطيعون بها مناوأة الحاكم هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد أجمع أهل العلم من أهل السنَّة والجماعة، ومتبعي الأثر على أنّه لا يجوز الخروج على ولاة الأمر المسلمين سواءً كانوا أهل عدلٍ أو جَوْر، وقد حكى بعض العلماء إجماع أهل السنة على ذلك. قال الحافظ ابن حجر في الفتح ج١٣ص٣٧ في شرح حديث حذيفة بن اليمان ﷺ طبعة محب الدِّين الخطيب، وقال ابن بطال فيه حجةٌ أي في حديث حذيفة حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين، وترك الخروج على أئمة الجَوْر، لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنّهم دعاة على أبواب جهنّم ولم يقل فيهم تعرف منهم وتنكر كما قال للأولين، وهم لا يكونون كذلك إلاّ وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة، قال الطبري: اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة. فقال قومٌ: هو للوجوب والجماعة السواد الأعظم.

قلت: ومن قال خلاف ذلك فإنَّه قد أخذ بقول المبتدعة لأنه لم يقل بالخروج على أهل الجور إلاّ الخوارج والمعتزلة، أمَّا أهل السنَّة والجماعة فكلُّهم يأخذون بهذه الأدلة وكلُّهم يرون تحريم الخروج سواءً كان بالفعل أو الكلمة، لأن الكلمة تسبب الخروج الفعلي وقال في شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي الدِّمشقي على العقيدة الطحاوية: ولا نرى الخروج على أئمتنا،

(١) هذه الرواية أخرجها الإمام مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الفتن والملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها، وكذلك أخرجه الإمام أحمد في كتاب باقي مسند الأنصار بلفظِ «فالزمه وإن نهك جسمك، وأخذ مالك» برقم ٢٢٩١٦ وبرقم ٢٢٩١٧ بترقيم إحياء التراث.

وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعو عليهم ولا ننزع يداً من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعة الله عزَّ وجل فريضةً ما لم يأمروا بمعصية، وندعوا لهم بالصلاح والمعافاة، هذا قول صاحب الطحاوية وأورد الشارح الأدلة على ذلك، وقال: (وأمّا لزوم طاعتهم وإن جاروا، فلأنّه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفاسد أضعاف ما يحصل من جورهم بل في الصبر على جورهم تكفير للسيئات، ومضاعفة للأجور فإنَّ الله عزَّ وجل ما سلطهم علينا إلاّ لفساد أعمالنا والجزاء من جنس العمل فعلينا الاجتهاد والاستغفار والتوبة، وإصلاح العمل قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى:٣٠] انتهى كلامه رحمه الله.

وقال في كتاب الحجة في بيان المحجة للإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الملقب قوام السنَّة المتوفى سنة ٥٣٥هـ فصل في بيان منع الخروج على أولي الأمر، ثم أورد في هذا الفصل أحاديث تدل على منع الخروج منها: حديث أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال: «سيليكم بعدي ولاة فيليكم البَرُّ ببره، ويليكم الفاجر بفجوره فاسمعوا لهم وأطيعوا في كلِّ ما وافق الحق، وصلُّوا وراءهم، فإن أحسنوا فلكم ولهم وإن أساءوا فلكم وعليهم»[1] وهذا الحديث ضعَّفَ المحقق سنده، ونقل تضعيفه عن محقق الكنز.

قلت: لكن معنى المتن صحيحٌ ومعروف من أحاديث أخرى صحيحة أعني أنَّ الأحاديث المشار إليها تدل على صحة معنى المتن ولفظه قد صحَّ في أئمة الصلاة بلفظ: «يصلُّون لكم فإن أصابوا فلكم ولهم وإن أخطأوا فلكم وعليهم»[2] عزاه في تخريج الجامع الصغير إلى البخاري[3] قال المحقق محمد محمود أبو رحيم في تعليقه على الترجمة السابقة الذكر والتي

---

(١) الحديث أخرجه الدارقطني في سننه في كتاب العيدين باب التشديد في ترك الصلاة وكفر من تركها، والنهي عن قتل فاعلها.

(٢) طبعة المكتب الإسلامي ج٢ ص١٣٤٦ برقم ٨٠٩٩.

(٣) انظر كتاب الأذان باب إذا لم يتمّ الإمام وأتمّ من خلفه.

عنونها بفصل لبيان منع الخروج على أولي الأمر ج٣٩١/٢ قال: (وهذا هو مذهب أهل الحديث، ولم يخالف في ذلك إلاَّ المعتزلة والخوارج والزيدية) انتهى.

قلت: الزيدية هم يأخذون بأقوال المعتزلة في العقائد، وفي كتاب الإبانة الكبرى لابن بطة في باب ذكر ما أمر به النبي ﷺ من لزوم الجماعة والتحذير من الفرقة بعد أن ذكر الأحاديث الواردة في الأمر بلزوم الجماعة وذم الفرقة، فروى بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنَّه قال: «إنَّها ستكون أمورٌ مشتبهات، فعليكم بالتؤدة، فإنَّك أن تكن تابعاً في الخير خيراً من أن تكون رأساً في الشر»[١] وعن عمرو بن مرة قال: قال: عبدالله» الحديث، وفي آخره: «ثم إيَّاكم وتصرف الأخلاق، اجعلوا الوجه وجهاً واحداً، والدعوة دعوةً واحدة، فإنَّه بلغنا أنَّه من كان ذا وجهين وذا لسانين كان له يوم القيامة لسانان من نار»[٢] وعن ابن عبَّاس رضي الله عنه قال له رجلٌ أوصني قال: «عليك بالاستقامة، واتباع الأثر وإيَّاك والتبدع»[٣] وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «الاقتصاد في السنة خيرٌ من الاجتهاد في البدعة»[٤] وعن ابن عمر رضي الله عنه

(١) انظر الإبانة الكبرى لإبن بطَّة ج٣٢٨/١ رقم الأثر ١٧٦ تحقيق رضا نعسان ـ طبعة دار الراية.

(٢) هذا الحديث أخرجه الدارمي في سننه في كتاب الرقاق باب ما قيل في ذي الوجهين عن عمار بن ياسر بلفظ: «من كان ذا وجهين في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار» وأخرجه أبو داود في كتاب الأدب باب ما جاء في ذي الوجهين والحديث ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة برقم الحديث ٨٩٢ ج٥٥٤/٢ طبعة دار المعارف وذكر رحمه الله بأنَّه أخرجه غير واحدٍ من أهل العلم، فمن شاء الاستزادة فليرجع إليها.

(٣) الحديث أخرجه الإمام الدارمي في المقدمة باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع بلفظ: (عن عثمان بن حاضر الأزدي قال دخلت على ابن عبَّاس فقلت: أوصني فقال نعم عليك بتقوى الله والإستقامة اتبع ولا تبتدع) وكذلك رواه الهروي في ذمِّ الكلام (ق ٤٢/٢) وابن وضاح في البدع والنهي عنها من طريق سفيان عن زمعة به، ص٢٥؛ بواسطة كتاب الإبانة الكبرى لإبن بطَّة بتحقيق رضا بن نعسان معطي الكتاب الأول الإيمان ج٣١٨/١.

(٤) هذا الحديث رواه الحاكم بسندٍ آخر عن الأعمش وقال صحيحٌ على شرطهما ووافقه الذهبي والمستدرك/١: ١٠٣/والمروزي في السنة/٢٥, ورواه الدارمي في السنن ح: ٢٢٣ =

قال: «كلُّ بدعةٍ ضلالة، وإن رآها الناس حسنة»[١] وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: «إيَّاكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة»[٢] وعن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الجماعة رحمة، والفرقة عذاب»[٣] وعن ابن عمر ﷺ قال خطبنا عمر ﷺ بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا، فقال: «أوصيكم بأصحابي ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة من سرته حسنته، وساءته سيئته فذلكم المؤمن»[٤] وفي كتاب شعار أصحاب الحديث للإمام أبي أحمد بن

= ورواه الطبراني في الكبير قال الهيثمي وفيه محمد بن بشير الكندي قال يحيى ليس بثقة مجمع الزوائد/١: ١٧٣ وهذا طريقٌ غير طريق المؤلف هنا. وأمَّا في المطالب العالية فقد عزاه إلى مسدد مرفوعاً/ح: ٢٩٦٣ نقلًا من كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام أبي الحسن بن منصور الطبري اللالكائي بتحقيق الدكتور أحمد بن سعد ابن حمدان الغامدي ج١ الجزء الثاني ص٦٢ طبعة دار طيبة.

(١) رواه المروزي في السنة ص٢٤ وابن بطة في الإبانة الكبرى ج١/٣٣٩ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ج١/١٠٤.

(٢) رواه الحاكم عن معاذ بن جبل من طريق الزهري حدثنا شعيبٌ به ولفظه أتم وصححه ووافقه الذهبي ج٤/٤٦٠ نقلًا من كتاب الإبانة الكبرى للإمام أبو عبدالله بن محمد بن بطة العكبري الحنبلي في الكتاب الأول ج١/٣٣٩ برقم الحديث ٢٠٤.

(٣) الحديث رواه أحمد عن منصور بن أبي مزاحم به ٢٧٨/٤ وابن أبي عاصم في السنة من طريق يونس بن محمد رقم ٩٣ ورواه البزار والطبراني من حديث النعمان بن بشير ورجالهم ثقات كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢١٧/٥ وعزاه السيوطي في الجامع الكبير إلى القضاعي ٤٠٣/١ وحسنه الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم رقم ٩٣ وفي صحيح الجامع الصغير ٨٤/٢ وسلسلة الأحاديث الصحيحة رقم ٦٧٧ نقلًا من كتاب الإبانة الكبرى عن شريعة الفرقة الناجية الكتاب الأول الإيمان ج٢٨٧/١.

(٤) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الفتن باب في لزوم الجماعة وقال عنه الترمذي رحمه الله حديثٌ حسنٌ صحيح غريب وأخرجه الإمام أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة حديث رقم ١٧٣ بلفظ: «أحسنوا إلى أصحابي» وابن ماجة في كتاب الأحكام =

محمد بن أحمد بن إسحاق المعروف بأبي أحمد الحاكم في عقيدة أصحاب الحديث المأخوذة عن أبي رجاء قتيبة بن سعيد ص٣١ حيث قال رحمه الله: (والجهاد مع كلِّ خليفة جهاد للكفار لك جهاده وعليه شرُّه، والجماعة مع كلِّ برٍّ وفاجر) يعني صلاة الجمعة والجماعة، والعيدين إلى أن قال: (ولا نكفر أحداً بذنبٍ إلَّا ترك الصلاة وإن عمل بالكبائر ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن جاروا، ونبرأ من كلِّ من يرى السيف على المسلمين كائناً من كان) انتهى كلامه رحمه الله.

وهنا يجب أن نقف وقفةً، وهو أنَّ جماعة الإخوان من أصولهم التربية على الخروج، فإذا تهيأت الثمرة، وأصبحوا مستعدين للخروج خرجوا إذاً فهل يجوز لنا أن نتولَّى هذه الجماعة أو نكون معهم؟ الجواب لا. ولهم كتابٌ أعدَّه واحدٌ منهم في طريقتهم، وسماه الطريق إلى جماعة المسلمين انظروا في ص٣٩٢ و٣٩٣ ترون أن ما قرَّروه من الخروج قد تفوَّهوا به وكتبوه على هذه الصفحات، وفي كتاب أصول السنَّة للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله رواية عبدوس بن مالك العطَّار قال في ص٦٤: (والسمع والطاعة للأئمة، وأمير المؤمنين البَرُّ والفاجر، ومن ولِّيَ الخلافة، واجتمع الناس عليه، ورضوا به، ومنْ عَلِيَهُمْ بالسيف حتى صار خليفةً، وسمِّي أمير المؤمنين، والغزو ماضٍ مع الأمراء إلى يوم القيامة البَرُّ والفاجر لا يترك وقسمة الفيء، وإقامة الحدود إلى الأئمة ماضٍ ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا أن ينازعهم ودفع الصدقات إليهم جائزةٌ نافذة، ومن دفعها إليهم أجزأت عنه بَرّاً كان أو فاجراً وصلاة الجمعة خلفه، وخلف من ولاَّه الله جائزةٌ، باقيةٌ، تامَّة، ركعتين من أعادهما فهو مبتدع تاركٌ للآثار، مخالفٌ للسنَّة،

= باب كراهة الشهادة لمن لم يستشهد بلفظ: «احفظوني في أصحابي» وقد صحح حديث الترمذي الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج٤٩٨/١ برقم الحديث ٢٥٤٦ وقال انظر الصحيحة برقم ١١١٦ والسنة برقم ٨٧ و ٨٨ وانظر إلى تصحيحه أيضاً للفظة: «احفظوني في أصحابي ثمَّ الذين يلونهم ثمَّ الذين يلونهم ثمَّ يفشو الكذب حتى يشهد الرجل وما يستشهد ويحلف وما يستحلف» في صحيح الجامع برقم ٢٠٦ في ج١٠١/١.

ليس له من فضل الجمعة شيءٌ إذا لم ير الصلاة خلف الأئمَّة من كانوا بَرَّهم وفاجرهم، فالسنَّة بأن يصلي معهم ركعتين، ويدين بأنَّها تامَّة لا يكن في صدرك من ذلك شك، ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقرُّوا له بالخلافة بأي وجهٍ كان بالرضى أو الغلبة فقد شقَّ هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ فإن مات الخارج عليه مات ميتةً جاهلية ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحدٍ من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدعٌ على غير السنَّة والطريق.) انتهى كلامه رحمه الله.

وقد تبين بالأدلة من كتاب الله، ومن سنة رسول الله ﷺ ومن إجماع الأمة الذي حكاه كثير من العلماء أن الخروج على ولاة الأمر لا يجوز إذا كانوا مسلمين يقيمون الصلاة، سواء كانوا أبراراً أم فجاراً، وهذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة لم يخالف في ذلك إلاّ المعتزلة، ومن تبعهم في هذا الاعتقاد، والمعتزلة والخوارج هم الذين يرون الخروج على ولاة الأمر ويبيحون إنكار المنكر بالسيف، وبالله التوفيق.



والأساس الذي تبنى عليه الجماعة هم أصحاب محمد ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين وهم أهل السنة والجماعة فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع وكل بدعة ضلالة والضلال وأهله في النار، قال عمر بن الخطاب ﷺ: (لا عذر لأحد في ضلالة ركبها حسبها هدًى ولا في هدًى تركه حسبه ضلالة فقد بينت الأمور وثبتت الحجة، وانقطع العذر وذلك أن السنة والجماعة قد أحكما أمر الدين كله، وتبين للناس فعلى الناس الاتباع)(١) [١].

---

[١] *قلت:* أصحاب محمد ﷺ هم أساس النهج السلفي، الذي يسير عليه أهل السنة والجماعة.

ومن هم أصحاب محمد ﷺ؟ والجواب: أصحاب محمد ﷺ كل من صحبه ولو ساعة أو لقيه ولو مرة، هذا تعريف الصحابة.

وقد قال أهل المصطلح، الصحابي هو: من لقي النبي ﷺ مؤمناً به، ومات على ذلك، وإن تخللت رِدَّةٌ في الأصح، وهذا التعريف يشمل من عقل النبي ﷺ ورآه في حال تمييزه.

إذن فلا بد أن يكون الصحابي الذي يقال له صحابي أن يكون عند لقائه للنبي ﷺ مؤمناً بأنه رسول الله، فيخرج بهذا القيد الذين أتي بهم إلى النبي ﷺ فحنكهم وهم صغار بعد الولادة كابن أبي طلحة، ومحمد بن أبي بكر وأمثالهم، فإنهم لا يعدون صحابة.

وأما القول بأنه لو تخللت ردة فإنها لا تخرجه عن كونه صحابي كالأشعث بن قيس وطليحة الأسدي، وعمرو بن معد يكرب، وعيينة بن حصن وأمثالهم فإن هؤلاء قد كانت لهم جفلة بعد موت النبي ﷺ ثم عادوا

(١) الأثر أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى برقم ١٦٢ وإسناده منقطع وأخرجه المروزي في السنة برقم ٩٥ عن عمر بن عبدالعزيز قال: «لاعذر لأحدٍ بعد السنة في ضلالة ركبها يحسب أنّها هدى» نقلًا عن محقق شرح السنة للإمام البربهاري الشيخ أبي ياسر بن خالد ابن قاسم الردادي وفقه الله ص٦٨ طبعة مكتبة الغرباء الأثرية.

إلى الإسلام بعد ذلك، ونفع الله بهم في الفتوح وعلى هذا فلم يزلْ عن أحد منهم اسم الصحابي وإنما يزول عمَّن ارتد ومات على الردة كالرجَّال بن عنفوه الحنفي الذي شهد لمسيلمة بأنَّه نبي.

أمّا فضل الصحابة: ففيه آيات، وأحاديث: فمن الآيات قول الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ﴾ [الفتح:٢٩]، وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١١٧﴾ [التوبة:١١٧]، وكقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٩٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة:٩٩، ١٠٠]. وقوله تعالى في سورة الحشر: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر:٨، ٩، ١٠] وقد أمر النبي ﷺ بإكرام أصحابه واتباع آثارهم، وسننهم، فقال في حديث الافتراق في وصف الفرقة النَّاجية «هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي»(١) وفي حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه: «... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الرَّاشدين المهديين عضُّوا عليها بالنواجذ وإيَّاكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعة، وكلُّ بدعةٍ

(١) الحديث سبق تخريجه في ص ٢٦.

ضلالة»(١) وروى ابن بطة في الإبانة الكبرى من عدة طرق أنَّ عمر بن الخطاب ﷺ خطب في الجابية فقال: قام فينا رسول الله ﷺ كمقامي فيكم فقال: «أحسنوا إلى أصحابي» وفي رواية: «أوصيكم بأصحابي ثمَّ الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»(٢) الحديث، وفي قصة بني جذيمة عندما أمر خالد بن الوليد باستمرار القتل فيهم، وهم يقولون صبأنا يعنون أسلمنا، فنهاه عبدالرحمن بن عوف وحصلت بينهما مقاولة، فقال خالد بن الوليد لعبدالرحمن بن عوف: ما تفخرون علينا إلاَّ بأيامٍ سبقتمونا بها، فشكا عبدالرحمن خالد بن الوليد إلى النبي ﷺ فقال النبيِّ ﷺ: «لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحدٍ ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»(٣) وفي رواية: «لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» وإذا كان هذا قد قاله النبي ﷺ لصحابي متأخر في حقِّ صحابي متقدم، فما بالك بغيرهم. وقد تبين من هذا العرض أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم هم أساس أهل السنَّة والجماعة فمن لم يأخذ عنهم فإنَّه يعتبر قد ضلَّ، ويستدل على ذلك بالخوارج الذين كفَّروهم، ولم يأخذوا السنَّة عنهم، فمن أجل ذلك ضلُّوا وأخبر النبي ﷺ أنَّ فرقة الخوارج يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية وأنَّهم شرُّ

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، وأبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة، وابن ماجة في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وأحمد في مسند الشاميين برقم الحديث ١٦٦٩٢ والدارمي في المقدمة باب اتباع السنة، والحديث قد صححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج١/٤٩٩ برقم ٢٥٤٩ وأحال إلى الإرواء برقم ٢٤٥٥ وشرح الطحاوية ٥٠١ و ٧١٥ والسنة ٣١ و ٥٤ وقال محقق الإبانة الكبرى الشيخ رضا بن نعسان معطي الكتاب الأول الإيمان ج١/٣٠٥ الحديث صحيح صححه كما تبين جماعةٌ من أكابر المحدثين، وحسنه بعضهم، ولم يطعن فيه طاعن، وإن حصل ذلك في بعض طرقه.

(٢) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المناقب باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلًا» من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ وأخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة ﷺ من حديث أبي سعيدٍ وأبي هريرة ﷺ.

الخلق والخليقة، وأنَّهم كلاب النَّار، وما ذلك إلاً لأنَّهم تركوا السنَّة التي حملها أصحاب رسول الله ﷺ فلم تنفعهم قراءتهم للقرآن ولا كثرة صلاتهم وعبادتهم بل كانوا كلاب النَّار وقال عنهم النبي ﷺ: «لئن أدركتهم لأقتلنَّهم قتل عاد»(١) وفي رواية: «قتل ثمود» الحديث. ما هو السبب الذي جعل الخوارج يضلُّون؟ السبب الذي جعلهم يضلُّون أنَّهم تركوا المصدر الثاني من مصادر الشريعة وكفَّرُوا حملته، وأنكروا فضل أصحاب رسول الله ﷺ وحَكَمُوا عليهم بالرِّدة والخلود في النَّار ورأوا الخروج على الولاة، فخرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقاتلهم حتى قتل فيهم مقتلةً عظيمة وعلى هذا فمن ابتغى الهدى من غير مصادره أضلَّه الله. ومصادر

---

(١) الأحاديث التي ذكرت في وصف الخوارج كثيرة وقد قام بتخريجها أخونا الشيخ أحمد بن عبدالله الحكمي حفظه الله منها ما أورده الإمام البخاري في صحيحه في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ برقم الحديث (٣٣٤٤) وما أورده في كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع برقم الحديث (٤٣٥١) وفي كتاب تفسير القرآن باب قول الله تعالى: ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ برقم الحديث (٤٦٦٧) وفي كتاب التوحيد باب قوله تعالى﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ برقم الحديث (٧٤٣٢) بترقيم فتح الباري. وما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم الحديث (١٠٦٤) بترقيم عبدالباقي. لفظة: «طوبى لمن قتلهم أو قتلوه» فقد أخرجها الإمام أبو داود في كتاب السنَّة باب في قتال الخوارج برقم الحديث ٤٧٦٥ من حديث أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك رضي الله عنهما وقد أورده الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود؛ وأخرجها الإمام أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم الحديث ١٣٠٥, وفي مسند المكثرين من حديث أبي سعيد الخدري برقم ١٢٩٢٥، وفي مسند الكوفيين برقم ١٨٦٦٨ و١٨٩٢٢ من حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه. ولفظة: «كلاب النار» أخرجها ابن ماجة في سننه في المقدمة برقم ١٧٣وقال عنها الألباني حديثها حسنٌ صحيح في صحيح سنن ابن ماجة ص ٧٦ طبعة مكتبة المعارف، وأحال إلى المشكاة برقم (٣٥٥٤) والروض النضير (٢٠٨/١) عن أبي أمامة رضي الله عنه وأخرجها الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب من سورة آل عمران برقم الحديث برقم ٣٠٠٠ بترقيم أحمد شاكر وأخرجه أحمد في مسند المكثرين برقم ١٨٦٥١ و ١٨٩٢٣وفي باقي مسند الأنصار برقم ٢١٦٧٩ و ٢١٧٠٥ و ٢١٨١١ بترقيم إحياء التراث.

الشريعة، كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لا يغني أحدهما عن الآخر فالقرآن لا يعرف معناه ومقاصده إلاَّ بالسنَّة وبعمل الصحابة رضوان الله عليهم، وقد أنكر عمران بن حصين ﷺ على من قال له: لا تتحدثوا إلاَّ بما في القرآن، فقال له عمران بن حصين: (إنَّك لأحمق أوجدت في القرآن صلاة الظهر أربع ركعات، والعصر أربعاً لا تجهر في شيءٍ منها والمغرب ثلاثاً تجهر بالقراءة في ركعتين ولا تجهر في ركعة، والعشاء أربع ركعات تجهر بالقراءة في ركعتين ولا تجهر بالقراءة في ركعتين والفجر ركعتين تجهر فيهما بالقراءة؟)(١) يعني أنَّ السنَّة مبينة للقرآن والذين بلَّغوا السنَّة هم أصحاب رسول الله ﷺ فعليهم مدار السنَّة وبهم الاقتداء وفيهم القدوة، وعلينا الاتباع لطريقتهم، ونهجهم، وما كانوا عليه، ومن لم يفعل ذلك فقد ضلَّ وابتدع.

قال الإمام البربهاري رحمه الله: (وكلُّ بدعةٍ ضلالة) أي كل ما ابتدع في الدين فهو ضلالة، لأن المبتدع يلزمه بابتداعه أمران:

١ ـ إمَّا أن يقول: أن الإسلام قد كمل، وليس بحاجةٍ إلى زيادة ولا إلى تكميل وحينئذٍ يعتبر قد شهد على نفسه بالضلالة؛ لأنه أدخل في الدين ما ليس منه.

٢ ـ وإمَّا أن يقول: أنَّ الدِّين ليس بكامل، وهذا يلزم كلَّ مبتدع، فكأنَّه يقول بلسان حاله أنَّ الدِّين ناقص، فهو يحتاج إلى إكمال، وهذا فيه استدراكٌ على القرآن، واتهامٌ لمبلِّغ الشريعة صلوات الله وسلامه عليه بأنَّه قد انتقص من الشرع أو جهل شيئاً منه، وهذا المبتدع يدَّعي أنَّه علم ما لم يعلمه رسول الله ﷺ ولهذا قال مالكٌ رحمه الله: (من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنة فقد زعم أنَّ محمداً خان الرسالة لأنَّ الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: من الآية ٣] فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا

(١) هذا الأثر أخرجه الإمام ابن بطة العكبري رحمه الله في الإبانة الكبرى في الكتاب الأول الإيمان ج ٢٣٢/١ وأشار المحقق إلى أنَّه أثرٌ سنده ضعيف لأنَّ فيه علي بن زيد بن جدعان قال البخاري وأبو حاتم لا يحتج به.

يكون اليوم ديناً[١]) ومن هنا يتبين أنَّ كلَّ بدعةٍ في الإسلام فهي تسمَّى ضلالة لاستلزامها هذه الأمور وقد جاء في حديث العرباض بن سارية ﷺ: «فعليكم بسنتي وسنَّة الخلفاء الرَّاشدين المهديين عضُوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كلَّ محدثةٍ بدعة وكلَّ بدعةٍ ضلالة»[٢] وفي بعض الرِّوايات «وكلَّ ضلالةٍ في النَّار» ولهذا جاء هنا (والضلال وأهله في النَّار).

قول المؤلف رحمه الله: (قال عمر بن الخطاب ﷺ: لا عذر لأحدٍ في ضلالة ركبها حسبها هدىً، ولا في هدىً تركه حسبه ضلالة، فقد بينت الأمور وثبتت الحجة وانقطع العذر)[٣] هذا كلامٌ عظيم خرج من رجلٍ عظيم ذلكم الرجل هو الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ وهذا يستلزم أنَّ من ركب ضلالة حسبها هدىً أو ترك هدىً حسبه ضلالة، فإنَّه لا عذر له عند الله، لأنَّه لا يفعل ذلك إلا من قصَّر في البحث عن الحق في الكتاب والسنَّة، فلذلك لا عذر له، ولهذا قال: (فقد بينت الأمور) أي وضحت من كتاب الله ومن سنَّة رسول الله ﷺ ومن عمل الصحابة ﷺ وثبتت الحجة على النَّاس لقوله سبحانه وتعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: من الآية ١٦٥] فانقطع العذر، فلا عذر لمن ابتدع في الدِّين أو ضلَّ وجهِلَ أحكاماً بعد أن بينها الله، وأوضحها على لسان رسوله ﷺ بما أوحاه إليه من كتابٍ وسنَّة.

قوله رحمه الله: (وذلك أنَّ السنَّة والجماعة قد أحكما أمر الدِّين كلِّه وتبيَّن للنَّاس فعلى النَّاس الاتباع).

أقول: عقيدة أهل السنَّة والجماعة بينةٌ في مصادرها ومرتبطة بالسنَةِ وأهلها، فمن يرد الله به خيراً يوفقه لتلك المصادر، وييسر له صحبة حملة

(١) أورده الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي في كتابه الاعتصام بتحقيق سليم بن عيد الهلالي ج١/٦٤ طبعة ابن عفان.
(٢) سبق تخريجه.
(٣) سبق تخريجه.

هذه العقيدة وأقصد به حملة مذهب أهل السنة والجماعة، ومن أراد الله به شراً فإنَّه سَيُيسر لما خلق له، فمن نشأ على أيدي أهل الصوفية والتصوُّف حسب أنَّ ذلك هو الهدى فضلَّ وأضل، ومن نشأ على أيدي أصحاب العقيدة الجهمية، وعاش عليها، وصحب أهلها حسب أن تلك هي السنَّة فضلَّ وأضلَّ ومن نشأ على أيدي أصحاب الفكر الاعتزالي حسب أنَّ ذلك هو السنَّة فضلَّ وأضلَّ، ومن نشأ على أيدي أصحاب العقيدة الأشعرية حسب أن تلك هي السنَّة فضلَّ وأضلَّ، ومن نشأ على أيدي أهل الرفض والتشيُّع الشتَّامين لأصحاب النبي ﷺ والمنتقصين لهم حسب أن هذا هو الحق فضلَّ وأضلَّ، ومن نشأ على أيدي الخوارج التكفيريين حسب أنَّ ذلك هو الحق فضلَّ وأضل، لكن أهل هذه الأهواء لا بد أن يجدوا ثغرات في عقيدتهم تُبيِّن لهم خلل المنهج الذي هم عليه في الاعتقاد، وهكذا أصحاب الإرجاء، وهكذا أصحاب الدعوات المعاصرة التي تعتني بالفضائل وتستهين بالعقائد حتى يحسب النَّاس أنَّهم على حق لما يرون من التمسك الظَّاهر عليهم، وهم مع ذلك قد زهدوا في أصل العقيدة، وزهَّدُوا فيه وهو التوحيد توحيد الألوهية، واستهانوا بما يقدح فيه وينقصه.

والمهم أنَّ من يريد النجاة، فعليه بكتاب الله، ثمَّ بكتب السنَّة المعروفة وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، والسنن الأربع، ومسند الإمام أحمد، وما يتبع ذلك من كتب الحديث، وما يجمع آثار السلف كمصنف ابن أبي شيبة ومصنف عبدالرزَّاق، ومصنف سعيد بن منصور، وكتب العقائد كتوحيد ابن خزيمة، والرَّد على الجهمية للإمام أحمد وكتاب السنَّة لعبدالله بن أحمد، والرَّدُ على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي، وشرح أصول اعتقاد أهل السنَّة للالكائي، وكتاب الإبانة الكبرى لابن بطة وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، ومحمد بن عبدالوهَّاب، وغير ذلك من الكتب. هذه هي الكتب التي تبين الحق، وإيَّاك أن تنزلق مع الحزبيين، فتأخذ كتبهم وتسلك طريقهم الضيق، وتمشي على نهجهم المعوج أحذر يا أخي المسلم أن تأخذ كتب هؤلاء، فإنَّ حقَّها مخلوطٌ بالباطل، وسنَّتها مشوبةٌ بالبدعة، فإذا أردت المشرب الصافي الذي لا كدر فيه،

فعليك بكتاب الله، وبكتب السنَّة وبكتب الآثار، واسلك طريقة أهل الأثر؛ الذين يأخذون العلم بالسند عن أصحاب رسول الله ﷺ عن نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، وما قالوه فإنَّه لا يخالف الحق الذي هم عليه، ومن هنا تعلم أنَّ قول المؤلف: (وذلك أنَّ السنَّة والجماعة قد أحكما أمر الدِّين كلِّه وتبيَّن الحقُّ للنَّاس، فعلى النَّاس الاتباع، وترك الابتداع) أنَّه كلامٌ في محله، ويلزمك أيضاً ترك كتب أهل البدع إن أردت النَّجاة لنفسك، وفقني الله وإيَّاك إلى الأخذ بالحقِّ، ونبذ كلِّ باطل، وبالله التوفيق.



واعلم رحمك الله أنَّ الدِّين إنَّما جاء من قبل الله تبارك وتعالى لم يوضع على عقول الرِّجال، وآرائهم، وعلمه عند الله، وعند رسوله ﷺ فلا تتبع شيئاً بهواك، فتمرق من الدِّين، فتخرج من الإسلام، فإنَّه لا حجة لك، فقد بيَّن رسول الله ﷺ لأمته السنَّة وأوضحها لأصحابه وهم الجماعة، وهم السَّواد الأعظم والسَّواد الأعظم الحقُّ وأهله، فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيءٍ من أمر الدِّين فقد كفر [١].

---

[١] تتردد مثل هذه العبارة في كلام المؤلف رحمه الله، ومثل هذا يحمل على واحدٍ من ثلاثة أمور:

١ ـ إمَّا أن يحمل على أنَّه يريد من جحد شيئاً من عقائد الدِّين الأساسية فقد كفر.

٢ ـ وإمَّا أن يريد بأنَّ عمله ربما أدَّى إلى الكفر.

٣ ـ وإمَّا أن يريد أنَّ المقصود به كفرٌ دون كفر. أي كفر النِّعمة، وليس كلَّ من خالف شيئاً ممَّا عليه أصحاب رسول الله ﷺ يكفر كفراً يخرج من الإسلام فهذا ليس من عقيدة أهل السنَّة والجماعة، فقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه عند ما قدم المدينة في آخر عمره: (لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وهذه الصلاة قد ضيعت)(١) وفي رواية: (أليس ضيعتم ما ضيعتم فيها) يعني أخرجتموها عن أوقاتها، ولم يكفرهم، ولم يحمل قوله هذا أحدٌ من أهل السنَّة على كفر من كانوا في زمنه.

إذن فَقولُه: (من خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيءٍ من أمر الدِّين فقد كفر) يحمل على المحامل التي سبق أن قلناها، لأن من عقيدة أهل السنَّة والجماعة أنَّهم لا يكفرون أحداً من المسلمين بذنب إلاَّ أن يكون شركاً أكبر أو يجحد حكماً مجمعاً عليه أو يستهزئ بالدِّين وأهله وما أشبه

---

(١) هذا الأثر أورده الإمام البخاري رحمه الله عن أنس رضي الله عنه بجميع روايتيه في كتاب مواقيت الصلاة باب تضييع الصلاة عن وقتها.

ذلك ممَّا هو مذكورٌ في نواقض الإسلام، وأنَّهم لا يكفرون أحداً بذنب وإن كان من الكبائر، وإن أصرَّ عليه ومات عليه، لأن نصوص الكتاب والسنَّة تدل على هذه العقيدة.

أمَّا قوله: (اعلم رحمك الله أنَّ الدِّين إنَّما جاء من قبل الله تبارك وتعالى لم يوضع على عقول الرِّجال وآرائهم) فهذا بيِّنٌ واضح، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأعراف:٣٥]، يقول تبارك وتعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف:٣]، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران:من الآية ١٠٣ ـ ١٠٥] إذن ما هو حبل الله؟ وما هو الصراط المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه؟ إنَّه ما جاء عن الله مُبلَّغاً من رسول الله ﷺ من الكتاب والسنَّة.

ولنعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى لم يجعل الحقَّ على عقول الرِّجال، ولا على أهواء النَّاس، لأن عقول الرِّجال مختلفة، وأهوائهم متضادة، ومتباينة فلو كان الحقُّ على أهواء النَّاس لكان مختلفاً كاختلاف ألوانهم، ووجوههم وطبائعهم، ولكنَّ الحق هو ما جاء من الله على لسان رسوله ﷺ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: من الآية٧١]. إذا عقلت ذلك أيُّها الطالب فعليك أن تبحث عن الحق في كتاب الله، وفي سنَّة رسول الله ﷺ لا في زبالة الأذهان، ولا في حثالات العقول، فالحقُّ غير ذلك كلِّه، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: من الآية٢١] فيا من يريد الإنصاف، ويا من يريد السلامة لنفسه عليك بما جاء من الله،

فقد ضمِنَ الله حفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر:٩] فحفظ الله القرآن من إفك المنجمين والعرَّافين والكهنة ومنع الشَّياطين من استراق السمع حين إنزاله، لئلاً تختطف شيئاً منه فتلقيه على ألسنة بعض الكُهَّان، فيأتي بعضهم بشيءٍ منه فيلتبس الحقَّ مع الباطل ولكن الله صفَّاه من ذلك حين إنزاله، وحفظه فيما بعد من زيغ الزَّائغين، وكيد الكائدين وإفك المؤتفكين حتى وصل إلينا حقّاً واضحاً سليماً من الدَّخائل، وحفظ الله السنَّة برجالٍ هيأهم الله لحفظها فميزوها من كلِّ دخيل، وصانوها من كلِّ ما أدخله الزَّائغون فيها حتَّى أصبحت واضحةً كوضوح الشمس بينةً كفلق الفجر وهكذا هيأ الله علماء الحديث في كلِّ زمن ليميِّزوه من كلِّ ضعيف ومن كلِّ موضوع، ومكذوب.

وبهذا تعلم أنَّ الحجة قد قامت، وما عليك إلاَّ أن تتبع الحقَّ، وتبحث عنه في مصادره لتعلمه، وتعمل به، وتدل عليه من استرشدك.

ثمَّ اعلم أنَّ الحقَّ ما جاء من عند الله ومن عند رسوله ﷺ من كتاب وسنَّة وإن قلَّ أهله، ومعتنقوه.

فما جاء من الشرع فهو الحق المأمور باتباعه وإن خالفه أكثر الناس وقلَّ متَّبعوه فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝١٩﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

فاحرص يا عبدالله على اتباع الحق، وسلوك الصراط المستقيم والاقتداء بالسلف الأُوَل أصحاب رسول الله ﷺ ولا تستوحش من قلة السالكين وكثرة المخالفين، فقد كان إبراهيم عليه السلام أمَّةً وحْدَه وبالله التوفيق.



واعلم أنَّ النَّاس لم يبتدعوا بدعةً حتى تركوا من السنَّة مثلها، فاحذروا المحدثات من الأمور، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعةٍ ضلالة والضلالة وأهلها في النَّار [١].

---

[١] *أقول:* قصد المؤلف أنَّ من ترك السنَّة وابتدع البدعة، فإنَّه قد أتى بأمرين محذورين: أحدهما ترك السنَّة، الآخر ابتداع البدعة، فإحداث البدع ملازمٌ لترك السنن فما ابتدع عبْدٌ بدعةً إلاَّ وقد ترك سنَّة، فإيَّاك أن تدخل في هذا المحذور الذي خالفت به المأمور، وإنَّ الله عزَّ وجل لا يثيب إلاَّ على اتباع سنَّة رسوله ﷺ ومن ترك شيئاً من السنن، فقد ترك شيئاً من القرآن، لأن الله قد أمر في كتابه باتباع رسوله ﷺ في آياتٍ كثيرة منها: قولُه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٤ و٢٥] فأخبر أن ترك الاستجابة له سبحانه وتعالى ولرسوله ﷺ موجبٌ للفتنة التي لا تصيب الظَّالم خاصَّة، بل أنَّها تعمُّ، وقال في آية ٣١ من آل عمران: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾.

فالوعيد على من ترك السنن، وأحدث البدع وعيدٌ عظيم قد رصدته آياتٌ من القرآن كما في آيات الأنفال التي سبق ذكرها، وكما في آيات سورة النُّور: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٤٨ - ٥٠].

وكما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥] وكما في قول النبي ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا يا رسول الله: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة،

ومن عصاني فقد أبى»[١] وإنَّ المبتدع عاصٍ لله ولرسوله متَّبعٍ لهواه معظِّمٌ لنفسه مدَّعٍ بلسان حاله أنَّ رأيه وهواه خيرٌ ممَّا جاء به الرسول ﷺ فاحذر أن تكون من أولئك، فتكون متوعداً بالنَّار، والعياذ بالله وبالله التوفيق.

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وأحمد في مسند باقي المكثرين من الصحابة من حديث أبي هريرة ﷺ والأحاديث في اتباع سنة النبي ﷺ كثيرة، وإليك بعضها زادك الله حرصاً لاتباع سنة رسولنا محمدٍ ﷺ فمن الأدلة التي حثَّ فيها المصطفى ﷺ على وجوب متابعته في العبادة، وتقديم طاعته ﷺ على طاعة كل أحد ما جاء في صحيح الإمام مسلم رحمه الله من حديث جابر بن عبدالله ﷺ الطويل، والذي بين فيه صفة حجة النبي ﷺ قد ذكر فيه قوله ﷺ «وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؛ قالوا نشهد أنَّك قد بلغت، وأديت ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء، وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد اللهم اشهد» وعند أصحاب السنن بسندٍ صحيح من حديث العرباض بن سارية ﷺ قال: «وعظنا رسول الله ﷺ عظة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقلنا يا رسول الله: إن هذه لموعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك؛ من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ عضوا عليها بالنواجذ» وأخرج الترمذي، وابن ماجة، والدارمي بسندٍ حسن حديث المقدام بن معدي كرب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني، وهو متكئ على أريكته فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه وإنَّ ما حرم رسول الله كما حرم الله» وفي الحديث المتفق عليه عند البخاري، ومسلم من حديث أبي موسى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «إنَّما مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجلٍ أتى قوماً، فقال: يا قوم إنِّي رأيت الجيش بعيني، وإنِّي أنا النذير العريان فالنجاء فأطاعه طائفةٌ من قومه، فأدلجوا «يعني ساروا في آخر الليل» فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفةٌ منهم، فأصبحوا مكانهم فصبَّحهم الجيش، فأهلكهم واجتاحهم «أي استأصلهم بالقتل والأسر» فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق» وعن عبدالله بن مسعود ﷺ بسندٍ حسن قال خطَّ لنا رسول الله ﷺ يوماً خطًّا ثمَّ قال: «هذا سبيل الله، ثمَّ خط خطوطاً عن يمينه وشماله ثمَّ قال: هذه سبل على كلِّ سبيل منها شيطان يدعو إليه ثمَّ تلا: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

واحذَر صغار المحدثات من الأمور فإنَّ صغار البدع تعود حتَّى تصير كباراً، وكذلك كلُّ بدعة أحدثت في هذه الأمَّة كان أولها صغيراً يشبه الحق فاعتبر بذلك من دخل فيها ثمَّ لم يستطع المخرج منها، وصارت ديناً يدان بها مخالفاً للصراط المستقيم، فخرج من الإسلام فانظر رحمك الله كلَّ من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصَّةً، فلا تعجلنَّ ولا تدخلن في شيءٍ منه حتى تسأل وتنظر هل تكلَّم فيه أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ و أحدٌ من العلماء، فإن أصبت فيه أثراً عنهم فتمسَّك به، ولا تجاوزه لشيء ولا تختار عليه شيئاً فتسقط في النَّار [١].

[١] ***وأقول:*** إنَّ المؤلف قال هنا قول مجرّب في هذا في كون صغار المحدثات تنقلب كباراً وقد يغتر بها الإنسان لأن فيها شبهٌ من الحق، فمثلاً عقيدة الخوارج ما هو أولها؟ أولها أنَّه في موقعة النهروان، كاد أصحاب علي أن يتغلَّبُوا على أهل الشَّام أصحاب معاوية، وذلك بعدما قتل عمَّار بن ياسر رضي الله عنه وقد روى كثيرٌ من الصحابة أنَّ النبي ﷺ قال: «ويْحَ عمَّار تقتله الفئة الباغية»(١) فرأى أصحاب معاوية أن يرفعوا المصاحف على الرِّماح ويقولوا بيننا وبينكم كتاب الله، فعند ذلك توقف أصحاب علي، وقالوا: لا نقاتل قوماً يدعوننا إلى كتاب الله فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه (كلمة حقٍّ أريد بها باطل) استمرّوا في القتال، فأبوا وعند ذلك سعى السَّاعون، وذهبوا وجاءوا بين عليٍّ ومعاوية، واتفق رأي الصحابيين الجليلين رضي الله عنهما على أن يحكِّما بينهما حكمين، وخرجت فئة من أصحاب علي وقالوا: لا حكم إلاَّ لله فناظرهم علي بن أبي طالب، وقال لهم: (إن الله قد أمر بالحكمين فيما بين امرأةٍ وزوجها، وأمر بالحكمين في شيءٍ من

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.

الصيد) فأبوا أن يقبلوا، فلمَّا رجعوا خرجوا إلى موضع يقال له حروراء، فكان مبدأ نحلة الخوارج قولهم: لا حكم إلاَّ لله، وهذا كلامٌ ظهر منه لأول مرة أنَّه حق، ولكنَّهم بعد ذلك قالوا أنَّ علياً حكَّم الرِّجال في دين الله وبنوا على ذلك أنَّه قد كفر، ثمَّ كفَّروا سائر الصحابة ما عدا أبي بكرٍ وعمر[1].

فهذا مثال لما ذكره المؤلف أنَّ البدعة تظهر صغيرة، وتكون في أوَّل أمرها شبيهةً بالحقِّ ثمَّ لا يزال الشَّيطان بصاحب البدعة يرغِّبه فيها حتَّى تكبر، ولهذا قال: (ثمَّ لم يستطع المخرج منها، وعظمت، وصارت ديناً يدان به مخالفاً للصراط المستقيم) أي تَرَكَه يستحسن هذه البدعة.

أمَّا قوله: (فخرج من الإسلام) فهذا أيضاً مثل ما سبق في قوله:

(فمن خالف أصحاب رسول الله ﷺ في شيءٍ من أمر الدِّين فقد كفر) فهذا لا نوافقه عليه، ولا يوافقه عليه أهل السنَّة والجماعة إلاَّ أن يكون ذلك لتأويل، ولو قال: فخرج من الإيمان إلى الإسلام لكان أفضل وهو رحمه الله يبالغ في كثيرٍ من الأحيان بمثل هذه المبالغة التي تستلزم إكفار المسلم ببدعةٍ قد لا تخرج من الإسلام لأول مرَّة، فالبدع منها مكفِّرة، ومفسقة وإطلاق الكلام بالكفر في كلِّ بدعة خطأ يجب أن يحذر طالب العلم منه.

قوله: (فانظر رحمك الله كلَّ من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصَّةً فلا تعجلنَ ولا تَدْخُلَنَّ في شيءٍ منه حتى تسأل وتنظر؛ هل تكلَّم فيه أحدٌ من أصحاب النبي ﷺ أو أحدٌ من العلماء..) إلى آخر ما قال في هذا المقطع. ***وأقول:*** رحم الله المؤلف، فقد دلَّ على الخير بهذا الكلام، وأمر بالتأنِّي في دخول شيءٍ من الأمور المستجدة، فإن سمعت أحداً يدعو إلى

(١) لمزيدٍ من الاستقصاء حول هذا المثال الذي ذكره شيخنا النجمي حول نشأة نحلة الخوارج راجع أخي طالب العلم والهدى حوادث سنة ٣٧ في تاريخ الطبري ٣/١٠٩ - ١٢٥ (طبعة دار الباز) والبداية والنهاية لابن كثير في نفس السنة ٧/٢٥٨ - ٢٩٤ أفاد بذلك أخونا السلفي أحمد بن عبدالله الحكمي جزاه الله خيراً.

منهج الإخوان المسلمين، فلا تتعجَّل بالموافقة، ولا تأخذ بثنائه على هذا المنهج، وإذا سمعت أحداً يدعو إلى السرورية أو القطبية أو إلى جماعة التبليغ فلا تتعجَّل بالموافقة ولا تلقي بنفسك في هذا الميدان قبل أن تسأل وتنظر وتبحث وتفكِّر، تبحث مع من يعرفون هذا المنهج ممَّن لم يدخلوا فيه أو مع من دخلوا فيه وتركوه أو مع من قرأوا عنه حتَّى تتبيَّن لك الحقيقة فإنَّك بالتعجل تقع في ورطة وفي شبكة الحزبية التي تريد أن تستولي عليك وتريد أن تضمَّك إلى صفوفها، فتكون مبتدعاً ومدافعاً عن المبتدعين، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون فكم من ضحايا لهذه المناهج وبالتعجل إليها كم من ضحايا وقعوا في فخاخها قبل أن يتعرَّفوا على عيوبها!! ولهذا وقعوا فيها ولذلك فإنِّي أحذرك كما حذَّرك صاحب هذا المتن أي صاحب كتاب شرح السنَّة أحذِّرك من التعجُّل إلى هذه الحزبيات، وأدعوك إلى التَّأنِّي والبحث، فخذ من الكتب المؤلَّفَة في نقد هذه الحزبيات خذ منها أي من هذه الكتب واقرأ عن هذه الحزبيات قبل أن تدخل فيها فإذا وجدت الحقَّ فلا تختر عليه شيئاً فإنَّك لا تُسأل إذا وضعت في قبرك إلاَّ عن رسول الله ﷺ الذي لا تصح ولا يصح أذانك، وقبل ذلك لا يصح إسلامك إلاَّ بالشهادة له بالرسالة مضافةً إلى الشهادة لله بالوحدانية، ولست مسئولاً عن فلانٍ ولا فلتان فاتق الله في نفسك وأحذر من الوقوع في مغبة الحزبيات فإنَّك ستندم إن وقعت فيها إمَّا عاجلاً، وإمَّا آجلاً وليس لنفسك عِوضٌ تعتاض عنها إن هلكت وخسرت لا والله، والله تعالى يقول: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر: ١، ٢، ٣]. وبالله التوفيق.



واعلم أنَّ الخروج عن الطريق على وجهين، أمَّا أحدهما فرجلٌ قد زلَّ عن الطريق وهو لا يريد إلاَّ الخير فلا يقتدى بزلله، فإنَّه هالك. ورجلٌ عاند الحق، وخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضالٌّ مضلٌ شيطان مريد حقيقٌ على من عرفه أن يحذِّر الناس منه ويبين لهم قصته لئلا يقع في بدعته أحد فيهلك [١].

[١] *أقول:* لو قيد المؤلف رحمه الله الهلكة، والحكم بها، فقال: فإنَّه هالك إن مات ولم يتب، وأقول أيضاً: إنَّ إرادة الخير لا تنفع الإنسان إذا كان يريد الخير، ولكنَّه لم يلتزم بالطريق المستقيم الذي جاء عن الله، وعن رسوله ﷺ فمثال ذلك: (ما أخبر به عمرو بن يحيى قال سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: كنا نجلس على باب عبدالله بن مسعود قبل صلاة الغداة فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقال: أخرج إليكم أبو عبدالرحمن بعد، قلنا: لا فجلس معنا حتى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقال له أبو موسى: يا أبا عبدالرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمراً أنكرته، ولم أر والحمد لله إلا خيراً، قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: رأيت في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصًى فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة فيقول: هللوا مائة، فيهللون مائة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة، قال: فماذا قلت لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك، وانتظار أمرك، قال أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم، ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبدالرحمن حصًى نعد به التكبير، والتهليل، والتسبيح؛ قال: فعدوا سيئاتكم فأنا ضامنٌ أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي

أهدى من ملة محمد أو مفتتحو باب ضلالة قالوا: والله يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وأيم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولَّى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامة أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج)[1] رواه الدارمي رحمه الله.

فدلَّ هذا على أنَّه لا يكفي إرادة الخير، لأن كلَّ عمل لا بد أن يشترط له شرطان: الشرط الأول: أن يكون خالصاً لله.

الشرط الثاني: أن يكون صواباً على ما شرع رسول الله ﷺ.

أصحاب البدع دائماً هم يقصدون التقرب إلى الله، ولكنَّهم لم يعرفوا الطريق التي يتقربون بها إلى الله، وليس عندهم من العلم ما يمنعهم من الدخول في البدع، فإن كان هذا الذي يريد الخير يسَّر الله له من يدعوه ويبيِّن له، وصرف عنه شر أصحاب البدع الذين يحذِّرونه من طاعة الناصحين، فإنَّه إن تاب تاب الله عليه، وإن بقي على بدعته حتى يلقى الله بها كان ذلك نقصاً في إسلامه، وأمره إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذَّبه ثمَّ قال رحمه الله: (ورجلٌ عاند الحق، وخالف من كان قبله من المتقين، فهو ضالٌ مضل شيطان مريد في هذه الأمة حقيقٌ على من عرفه أن يحذِّر الناس منه، ويبين لهم قصته؛ لئلا يقع في بدعته أحد فيهلك).

وأقول: إنَّ الواجب على كلِّ من عرف الحق أن ينصره، ومن عرف الحق من المبتدعة، وبيِّنت له تلك البدعة لكنَّه أبى أن يتركها، وتمسك بها ودافع عنها فهو ضالٌ مضلٌ شيطانٌ مريد كما قال المؤلف رحمه الله تعالى وينبغي بيان حاله لمن يجهله، وأن يحذِّر منه لأنه سيغُرُّ أقواماً من طلاَّب العلم فيدعوهم إلى بدعته ويغريهم بها ويضلُّهم، ولا عذر لمن عرف حاله أن يبيِّنه للناس حتى تبرأ ذمته وأن يحذِّر منه حتى يجتنبه الآخرون الذين لم يعلموا بدعته.

---

(١) رواه الإمام الدارمي في المقدمة باب كراهة أخذ الرأي برقم الحديث ٢٠٦.

ومن زعم أنَّ الإنكار على أصحاب البدع تفريقٌ للأمة، وتشتيتٌ لها فهو ضالٌ أيضاً لأنه يريد اجتماع الأمَّة على باطل، وهذا أمرٌ لا يقره الإسلام فالإسلام لا يقر مثل هذا الأمر، فإنَّ ترك البيان إبطالٌ للجهاد الذي أمر الله به سبحانه في قوله جلَّ وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣)﴾ [التوبة:٧٣]، وفي الحديث: «لايمنعنَّ أحدكم هيبة الناس أن يقول بحقٍ إن رآه أو شهده»(١) سنده صحيح

(١) ورواه أيضاً الإمام الترمذي في سننه رحمه الله في كتاب الفتن باب ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، ورواه ابن ماجة في سننه رحمه الله في كتاب الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد أشار الإمام الألباني رحمه الله إلى صحة إسناده في السلسلة الصحيحة بلفظ: «لا يمنعنَّ رجلًا هيبة الناس أن يقول بحقٍّ إذا علمه [أو شهده أو سمعه]» انظر ج١/القسم الأول ص٣٢٢ برقم الحديث ١٦٨ وانظر إلى الروض النضير برقم ١٠٠١ ومن لازم البيان والتوضيح لما في هذا الحديث الشريف عن النبي ﷺ أن نقول أنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب كفائي على كل مسلم ومسلمة، ولكنَّ ذلك يقيد بضوابط شرعية منها ١ـ أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مخلصاً فيه لله تعالى لا يقصد من وراء ذلك مدحاً من الناس ولا شيئاً من أمور الدنيا الزائل ٢ـ أن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر عالماً بما يأمر به وما ينهى عنه بدليل واضح من الكتاب والسنة فلا يأمر بشيءٍ وينهى عن آخر من عند نفسه وهواه أو بشيءٍ مخالفاً لما جاء ذكره في النصوص الشرعية ٣ـ ألَّا يترتب على الإنكار باليد أو اللسان على شخصٍ ما أو جماعةٍ من الناس جلب ضررٍ أعظم أو مفسدةٌ كبرى فالشريعة دعت إلى جلب المصالح وتكثيرها، وإلى درء المفاسد وتقليلها، فمثلًا ما يقوم به بعض الجهلة بأصول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من التشهير الواضح لبعض ولاة أمور المسلمين في بلدٍ ما بذكر الخطأ الذي وقع فيه أمام الناس وفي مجامعهم بأنَّ الوالي الفلاني صنع كذا أو قال كذا من المنكرات، فهذا خلاف هدي السلف رحمهم الله تعالى في النصيحة لولاة الأمور؛ مما يسبب إثارة النفوس الضعيفة للوقوف والخروج على هذا الوالي فتحصل من وراء ذلك المفاسد التي كان المسلمون في غنًى عنها وإنَّ المتتبع للنصوص النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ليرى فيها بوضوح أنَّ الشريعة المحمدية قيدت النصيحة المذكورة في حديث:
«لا يمنعنَّ أحدكم هيبة الناس أن يقول بحقٍ إن رآه أو شهده» بأن تكون النصيحة لولاة الأمر على سبيل السرية والكتمان، وعلى ذلك يحمل معنى هذا الحديث دلَّ على ما قلته ما جاء في الحديث: أنَّ رسول قال: «من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يبدي له علانية ولكن ليأخذ بيده فيخلو به، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدى الذي عليه له» رواه أحمد، =

عن أبي سعيد ﷺ ومسند أحمد ج٣/٤٧، ٥٠، ٥٣، ٨٤ وبالله التوفيق.

ومن ناحيةٍ أخرى، فإنَّ هذا الصنيع يشجع أهل البدع، ويجعلهم يسرحون ويمرحون ويفعلون ما يشاءون من الضلال، ويدعون إليه الشباب، ويغرون به طلاَّب العلم فيستفحل أمرهم ويصعب علاجهم بسبب التقصير في الواجب وعدم الإنكار عليهم والتحذير منهم، فكأنَّ من يقول هذا القول يقصد تشجيع المبتدعين، ونصرهم، ومن فعل ذلك فقد شجَّع البدعة وأعان على ترك السنَّة، وسعى في وأد الحقِّ وإبطاله، فكان بذلك مستحقاً لغضب الله عزَّ وجل؛ لأنه آوى المحدثين، وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «لعن الله من آوى محدثاً»[1] فيجب عدم السماع لمن يقول مثل هذا القول، بل ويجب إسكاته لأنَّه أعان على فشو المنكر، وعلى انتشار البدع، ووأد السنن، وخالف أمر الله عزَّ وجل لعباده المؤمنين حين أمرهم أن يأمروا بالمعروف، وينهوا عن المنكر وأن يجاهدوا في الله حقَّ جهاده وما أكثر هؤلاء في مجتمعنا، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وبالله التوفيق.



= ولما جاء في الصحيحين عن أسامة بن زيد قال: «قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه، فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمراً لا أحب أن أكون أول من فتحه، ولا أقول لأحد يكون علي أميراً إنه خير الناس بعد ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان ما لك ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر فيقول: بلى قد كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه» والله أعلم بالحق والصواب.

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الأضاحي باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله بلفظ: «لعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من لعن والديه، ولعن الله من غير المنار» وفي لفظٍ له: «لعن الله من غير منار الأرض» أي حدودها.

واعلم رحمك الله أنَّه لا يتم إسلام عبدٍ حتى يكون متَّبِعاً مصدقاً مسلماً، فمن زعم أنَّه قد بقي شيءٌ من أمر الإسلام لم يكفيناه أصحاب رسول الله ﷺ فقد كذَّبهم وكفى بهذا فُرْقةً وطعناً عليهم، فهو مبتدع ضالٌّ مضل محدثٌ في الإسلام ما ليس منه(١) [١].

اعلم رحمك الله أنَّه ليس في السنَّة قياسٌ ولا تضرب لها الأمثال، ولا تتبع فيها الأهواء بل هو التصديق بآثار رسول الله ﷺ بلا كيفٍ ولا شرحٍ ولا يقال: لمَ، ولا كيف؟ فالكلام والخصومة والجدال، والمراء محدثٌ يَقدح الشك في القلب، وإن أصاب صاحبه السنَّة(٢) [٢].

---

[١] ***وأقول:*** إنَّ من لوازم الإيمان أن يعتقد المسلم أنَّ الدِّين كاملٌ لم يبقَ فيه نقص فإن اعتقد فيه نقصاً فقد كذَّب الله في خبره حيث يقول جلَّ وعلا: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣] فمن اعتقد فيه النقص فقد كذَّب الله في الإخبار بكماله وادَّعى خلاف ما دلَّت عليه هذه الآية، وهذا لا شكَّ أنَّه ضلال وطعنٌ في الرسالة وتكذيبٌ لخبر الله عزَّ وجل وإحداثٌ في الإسلام فليحذر المسلم من الوقوع في هذه الطَّائلة، وبالله التوفيق.

[٢] ***أقول:*** إنَّ هذا الكلام ينطبق على السنن الواردة في العقائد، أمَّا غير

---

(١) إنَّ ما قاله المؤلف هنا من أنَّ: (من زعم أنَّه قد بقي شيءٌ من أمر الإسلام لم يكفيناه أصحاب رسول الله ﷺ فقد كذَّبهم وكفى بهذا فُرْقةً، وطعناً عليهم.. الخ) فيه بيان أنَّ الصحابة رضوان الله عليهم هم الواسطة بيننا وبين نقل وحي الله عز وجل إلينا من خلال ما جاء في كتاب الله، و سنة نبينا محمدٍ ﷺ فالطعن فيهم، وتنقصهم طعنٌ فيما جاءوا به من هذه الشريعة الغراء على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وإنَّ هذه لفريةٌ عظيمة تسبب الفرقة والتحزب بين المسلمين، وقد ذمَّ الله من فعل ذلك في كتابه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام: من الآية ١٥٩] فليحذر كلَّ الحذر من التكلم بسوء في أحدٍ من صحابة رسول الله ﷺ مع علمنا بأنَّهم ليسوا بمعصومين من الخطأ والمعصية ولكن حسبنا أن نقول أنَّ الله زكاهم في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ وكفى بذلك شرفاً وفخراً.

(٢) أي ما جاء به الإمام البربهاري رحمه الله في هذا المتن.

العقائد من الأحكام الفرعية، فهذه قد حصل فيها الاختلاف، وبنيت عليها الأقيسة، وهذا مدوَّنٌ في كتب الفقه، وأصول الفقه.

ولكنَّ المراد بهذا الكلام ما ورد في العقائد من آيات الصفات، وأحاديثها الصحيحة، فهذه يجب الأخذ بها، وإمرارها كما جاءت مع اعتقاد معناها الذي تقتضيه في اللغة العربية ولا يقال لِمَ كان كذا وكذا؟

وكيف كان كذا وكذا؟ وقد أنكر الإمام مالكٌ رحمه الله على من قال: (أرأيت قول الله تعالى الرحمن على العرش استوى كيف استوى؟ فأطرق الإمام مالك وعلته الرُّحُضاء ـ أي العرق ـ ثمَّ رفع رأسه، فقال: الاستواء معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأنت رجل سوء أخرجوه، فأمر به فأخرج)[١].

إنَّ الكلام في الأصول، والعقائد، والجدال فيها محدثٌ لم يأتِ إلاَّ من أصحاب البدع. أمَّا أصحاب النبي ﷺ والتابعين، وأتباعهم بل وأهل السنَّة والجماعة جميعاً، فإنَّه لم يأتِ منهم جدالٌ في العقيدة، وإنَّما جاء الجدال من حين نبتت فرق الضلال كالجهمية، والمعتزلة وغيرهم من فِرَقِ الضلال الذين استعملوا الكلام، وأخذوا بمقدمات المنطق، وتركوا الآثار فكان عاقبة بعضهم أنَّه يندم عند موته، وقد مات بعضهم وعلى صدره صحيح البخاري[٢] ذلك لأنَّ مقدمات المنطق، وإلزامات الكلام لا ينشأ عنها

---

(١) قال الشيخ الإمام الحافظ تقي الدين أبي محمد عبدالغني المقدسي في كتابه البديع الاقتصاد في الاعتقاد ص٨٦: «أمَّا قول مالك فثابتٌ عنه أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات ص٥١٦ من طريقين وذكره الحافظ في الفتح ١٣/٤٠٦ - ٤٠٧ وحكم بأن إسناده جيد ورواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم ٦٤٤ ج٢/٣٩٨ وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف ضمن الرسائل المنيرية ١/١١١ وأبو نعيم في الحلية ٦/٣٢٥ والدارمي في الرد على الجهمية ص٢٧ والذهبي في العلو ص١٠٣ وقال: وهذا ثابتٌ عن مالك» اهـ.

(٢) وهو لو ذكر اسم الغزالي لكان أفضل رحمه الله، وكذلك ندم في تعلم علم الكلام، والخوض فيه، وترك تدبر كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ والعمل بما فيهما من الآيات والحكمة الإمام أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي فقال في كتابه الذي صنَّفه في أقسام اللذات: =

إلاَّ شكٌّ والعياذ بالله فاسأَل الله ربك أن يجنبك طريق هؤلاء، وأن يجعلك من أصحاب الأثر المتبعين لما جاء عن الله ورسوله من دون التواءٍ، ولا إحداثٍ وبالله التوفيق.



= نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشةٍ من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولةٍ فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبالٍ قد علت شرفاتها رجالٌ فزالوا والجبال جبال

ثمَّ يقول: لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلا، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه:٥] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: من الآية١٠] واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: من الآية١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: من الآية١١٠] ثمَّ قال: ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. وكذلك قال أبو المعالي الجويني رحمه الله: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أنَّ الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به، وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم ودخلت في الذي نهوني عنه، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لابن الجويني، وها أنا أموت على عقيدة أمي أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور) انتهى من شرح العقيدة الطحاوية للإمام القاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي رحمه الله ص٢٤٣ وما بعدها بتحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي وشعيب الأرنؤوط. وإن شئت فارجع أخي القارئ الكريم إلى كتاب درء تعارض العقل والنقل ١٥٩/١ - ١٦٢ والفتاوى ٧١/٤ وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ٨٢/٢ وتلبيس إبليس ص٩٠ وصون المنطق ص١٨٣ وفتح الباري ٣٥٠/١٣ كما أشير إلى ذلك في مقدمة كتاب القول المفيد على كتاب التوحيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله بتحقيق الشيخ سليمان بن عبدالله أبا الخيل والشيخ خالد بن علي المشيقح حفظهما الله.

اعلم رحمك الله أنَّ الكلام في الربِّ تعالى محدثٌ، وهو بدعة وضلالة، ولا يتكلم في الرب إلاَّ بما وصف به نفسه عزَّ وجل في القرآن، وما بيَّن الرسول ﷺ لأصحابه. فهو جلَّ ثناءه واحد ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية١١] فربُّنا أوَّلٌ بلا متى وآخرٌ بلا منتهى؛ يعلم السرَّ وأخفى، وهو على العرش استوى وعلمه بكلِّ مكان ولا يخلو من علمه مكان، ولا يقول في صفات الرب تعالى لِمَ؟ إلاَّ شاكٌّ في الله تبارك وتعالى، والقرآن كلام الله وتنزيله ونوره، وليس مخلوقاً لأن القرآن من الله وما كان من الله فليس بمخلوق، وهكذا قال مالك بن أنس وأحمد بن حنبل، والفقهاء قبلهما وبعدهما، والمِراءُ فيه كُفر [١].

---

[١] *أقول:* إنَّ العقول عاجزةٌ أن تصف الربَّ جلَّ وعلا أو تتصوَّرَه أو تعرف كنهه وذاته وإذا كان الأمر كذلك، فإنَّه لايجوز أن نخوض في هذا الباب، ولا أن نتكلَّم فيه إلاَّ بما أذن لنا فيه، وهو ما جاءت به الرسل لأن الكلام في ذات الله بالظنون، والأقيسة، والآراء كله ضلال، وهلكة ولاينجو في هذا الباب إلاَّ من أخذ بما جاءت به الرسل، وما جاء به رسولنا الكريم خاتم الرسل، وأعلاهم عند الله منزلة، وأعظمهم عنده جاهاً، وأكرمهم عليه ﷺ الذي أمره الله بالبلاغ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: من الآية٦٧] فقد بلَّغ الرسول ﷺ القرآن الذي أنزله الله عليه مهيمناً على سائر الكتب وبلَّغ السنَّة التي أوتيها كما جاء في الحديث: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»(١) رواه أحمد وغيره، فإذا وصفنا الربَّ تعالى بما وصف

---

(١) رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسند الشاميين برقم ١٦٥٤٦ من حديث المقدام بن معدي كرب الكندي وأشار إليه الإمام الألباني رحمه الله في كتاب الحديث حجة ص٦ وفي صفة الصلاة ص١٨٦ والإيمان ص٣٧ وتحذير الساجد ص٨٢ والمشكاة برقم ١٦٣ وقال: ورواه أبو داود في الأطعمة وفي السنة بسندٍ صحيح وقال: رواه الترمذي في العلم =

به نفسه لم يكن في ذلك تشبيهٌ له بخلقه، بل أنَّ ما ورد له من الصفات واجبٌ الإيمان بها، وحمل تلك الصفات والأسماء على ما له من الكمال المطلق، وإن اتفقت مع صفات المخلوقين في الأسماء فإذا وصفنا الله بأنَّ له وجهاً فمعنى ذلك أنَّ له وجهاً لا يشبه الوجوه وكذلك سائر الصفات فنحن نحكم بهذه الآية ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية١١] على سائر صفاته تعالى، فنثبت له ما أثبت لنفسه على الوجه اللائق بجلاله سبحانه وتعالى، فنثبت أنَّه الأول بلا ابتداء، والآخر بلا انتهاء كما قال سبحانه وتعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد:٣]، وكما قال النبي ﷺ: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»[1] رواه مسلمٌ وغيره، وهو مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه وعلمه بكلِّ مكان، ولا يخلو من علمه مكان مطَّلعٌ على عباده ومسيطرٌ عليهم بقدرته وهيمنته، وعلمه واطِّلاعه، يتصرف فيهم بما يشاء، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ومشيئته هي النافذة فيهم، يخلق العبد إذا شاء، ومتى شاء، ليس للعبد دخلٌ في خلق نفسه، ويمرضه إذا شاء، ويصحُّه إذا شاء ويغنيه إذا شاء، ويفقره إذا شاء ويميته إذا أراد، فالعبد خاضعٌ لعظمة ربه ولقدرته عليه ولاطِّلاعه عليه وحكمه فيه وله بما له من القدرة الكاملة والمشيئة النافذة سبحانه وتعالى.

فنحن إذا اعتقدنا هذه العقيدة، وأثبتنا لله هذه الصفات فقد خرجنا من عقيدة الجهمية والمعتزلة الذين يعطلون صفات الله عزَّ وجل، وخرجنا من عقيدة أصحاب وحدة الوجود وأصحاب الحلول الذين يقولون: إنَّ الله متحدٌ

= وقال عنه الترمذي من طريقٍ أخرى عن المقدام وقال الترمذي: حديثٌ حسن وأشار إليه الألباني رحمه الله أيضاً في كتاب حديث الآحاد ص٣٢.

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار في باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

بخلقه حالٌ فيهم لعنة الله على من اعتقد ذلك، وخرجنا من عقيدة المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً.

أيُها الأخ الكريم، والطالب اللَّبيب الذي يريد الحق، ويبحث عنه من مصادره عليك بتقوى الله عزَّ وجل، وعقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وأتباعهم، وفقني الله وإيَّاك للصواب، وجنَّبني وإيَّاك موجبات الشكِّ والارتياب.

قَولُه: (ولا يقول في صفات الرب تعالى لِمَ؟ إلاَّ شاكٌّ في الله تبارك وتعالى). *أقول:* إنَّ صفات الرب سبحانه وتعالى يجرى عليها حكم ذاته فإذا اعتقدنا أنَّ له ذاتاً لا تشبه الذوات فإنَّه يجب أن نعتقد أنَّ له صفاتٍ لا تشبه الصفات، فمن قال في صفات الرب تعالى أنَّها تشبه صفات المخلوقين فإنَّه ضالٌّ يجب أن يعلَّم، ويوجَّه، وينصح، فإن أبى فينبغي أن يهجر ولا شكَّ أنَّ كلام المبتدعة ربما انطلى على من لا يعلم، فإذا قالوا: أنَّنا لو أثبتنا لله عينين مثلاً فقد شبَّهناه بخلقه، وإذا أثبتنا له يدين فقد شبَّهناه بخلقه، ربما ينخدع بهذا بعض الناس، فإذا بُيِّن له، ولم يرجع عن قوله ويثبت لله ما أثبته لنفسه فهو مخطئٌ جاهلٌ ومعاندٌ ضالٌ والذي ينبغي أن نتصوَّره في صفات الله عزَّ وجل أنَّ له صفاتٍ تليق بجلاله سبحانه وتعالى فهي وإن اتفقت مع صفات المخلوقين في الأسماء، فإنَّها تختلف عنها في الحقائق وبذلك نميِّز بين صفة الخالق والمخلوق، وإذا كانت المخلوقات تتفاضل صفاتها ويعترف جميع الناس بالفرق بين صفة مخلوقٍ ومخلوق، ففي صفة الخالق من باب أولى، فمثلاً لو قلت لواحدٍ ممن يعطِّلون صفات الله عزَّ وجل بدعوى أنَّ إثباتها تشبيه: لو قلت لأحدٍ منهم إنَّ عينك عين كلبٍ ورجلك رجل قردٍ، ووجهك وجه خنزير، فإنَّه سيغضب عليك وربَّما أنَّه قاتلك لأنَّك شبَّهته بأوضع المخلوقات إذاً فلنفكر ما هو موجب غضبه؟ إنَّ موجب غضبه أنَّه يرى أنَّ للإنسان امتيازاً على هذه الأشياء، أي على هذه المخلوقات فإذا اعترف بالفرق بين صفاته وصفات الكلاب، والقردة والخنازير، أفلا يكون الفرق بين صفة الخالق والمخلوق أعظم؟! نقول: بلى، فالفرق بين صفة الخالق والمخلوق متفاوتة وليس هناك نسبة بين صفة

الخالق والمخلوق، وفي هذا إلزامٌ لهم أي إلزامٌ للقائلين بلزوم الشَّبَه بين صفة الخالق والمخلوق إذا أُثبِتَتْ باتفاق الاسم فيها، وبهذا يتبيَّن أنَّ الفرق بين صفة الخالق والمخلوق فرقٌ عظيم لا نسبة فيه أبداً، فيجب علينا أن نحكم بهذه الآية على صفات الرَّبِّ سبحانه وتعالى هذا من الناحية العقلية ومن الناحية الشرعية أيضاً نفرِّقُ بما فرَّق الله عزَّ وجل في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية١١].

وإذا أردنا أن نعلم الفرق البعيد بين صفة الخالق والمخلوق، وأن اتحادها في الاسم لا يلزم منه المشابهة فمثلاً: الله جلَّ وعلا أثبت لنفسه اسم الحي، وأثبت للمخلوق اسم الحي، فقال جلَّ من قائل: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: من الآية٢٥٥] وقال: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [الروم:١٩]، فهل يلزم من إثبات اسم الحي لله عزَّ وجل وللمخلوق اتحادُ الحياتين أو تشابههما؟ الجواب: لا يلزم من ذلك اتحاد الحياتين ولا تشابههما فحياة الله عزَّ وجل قديمةٌ بلا ابتداء، وباقيةٌ بلا انتهاء، والله تعالى غنيٌّ عن غيره لا تقوم حياته بمؤثِّرٍ فيها، أمَّا المخلوق فحياته وجدت بعد أن لم تكن، فمثلاً: نحن هذه المجموعة هل كان أحدٌ منَّا معروف قبل مائة سنة؟ الجواب: لا ثمَّ بعد أن نموت جميعاً هل يبقى لأحدٍ جسمٌ على الدنيا؟ الجواب: لا، كلٌّ منَّا سيفنى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرحمن:٢٦، ٢٧]، ثمَّ إنَّ حياتنا مفتقرة إلى محيٍ أي إلى مؤثِّرٍ فيها، ومُوْجِدٍ لها وهو الله عزَّ وجل، أمَّا الله سبحانه وتعالى فحياته لا تستلزم مؤثراً فيها وغناه كذلك، ومن هذا نعلم الفرق بين صفة الخالق وصفة المخلوق، والإنسان في حياته مفتقرٌ إلى الله في إيجاده وفي حفظ وجوده، فالله سبحانه وتعالى خلق المخلوقات متنوعةً والعوالم الثلاثة التي هي الجن، والإنس والملائكة وهي أيضاً متنوعة فالملائكة لايأكلون ولايشربون ولاينامون خلقهم الله على ذلك، فإذا أراد الله عزَّ وجل فناء الدنيا إذا نفخ في الصور مات الملائكة جميعاً.

والمهم إنَّا بالتأمل نعرف ذلك، والله هو المتصرف في هذا الكون، ومن هنا نعلم أنَّا إذا أثبتنا لله اسم الحي، وصفة الحياة، فإنَّه لا يلزم من

ذلك مشابهة حياة المخلوق الذي وجد بعد أن لم يكن، وسيفنى، ثمَّ يحييه الله خلقاً جديداً، وهو في زمن حياته لا يحيا إلاَّ على الطعام والشراب، والنوم.وقوله رحمه الله: (والقرآن كلام الله، وتنزيله، ونوره، وليس مخلوقاً لأنَّ القرآن من الله، وما كان من الله، ليس بمخلوق) أي أنَّ القرآن كلام الله، وكلام الله صفةٌ من صفاته وصفاته تعالى ليست بمخلوقه فمن زعم أنَّ القرآن مخلوق فقد كفر هكذا قرر السلف رحمهم الله تعالى، الدليل على ذلك قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: من الآية ١٦٤] وقوله عزَّ وجل: ﴿تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [البقرة: من الآية٢٥٣] وقوله: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: من الآية٦] فالكلام صفةٌ من صفات الله عزَّ وجل، وقد قرر السلف أنَّ الكلام صفة من صفات الله قديم النَّوع، حادث الآحاد.

ما معنى قديم النَّوع؟ يعني أنَّ صفة الكلام صفةٌ لله قديمةٌ بقِدَمِه، ويتكلَّم متى شاء، وبما شاء من الأوامر التي يرسل الله عزَّ وجل بها ملائكته من إحداث ما يريد: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠﴾ [النحل: ٤٠]، وفي حديث عبادة بن الصامت ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حقٌّ، والنار حقٌّ أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[1] أخرجاه، والشاهد منه قوله ﷺ في عيسى «وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه» والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩﴾ [آل عمران: ٥٩]، إذاً في هذه الآيات إثبات الكلام لله عزَّ وجل وأنَّه قديم النَّوع حادث الآحاد، ويحدثه الله عند الحاجة إليه قال الله تعالى: ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم

---

(١) رواه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ الآية. ورواه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب الإيمان باب الدليل على أنَّ من مات على التوحيد دخل الجنَّة قطعاً.

مُحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾ [الانبياء: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان: ٣٣].

وبهذا نعلم خطأ من يقول أنَّ الله خلق الكلام في الشجرة التي كلَّم الله موسى منها، فزعمهم هذا زعمٌ باطل، والذي يدمغهم أن يقال: هل يصح أن تقول الشجرة لموسى إنِّي أنا ربُّك؟ فتبيَّن من هذا أنَّ الكلام صفةٌ لله عزَّ وجل مع العلم أنَّ من لا يستطيع على الكلام، ولا يستطيع على التصرف لا يصلح أن يكون إلهاً، فالإله الحقُّ هو الذي يتكلَّم، ويرزق، ويهدي ويضِلُّ، ويعز، ويذل، ويغني، ويفقر، ويُصِحُّ ويمرض، ويحيي، ويميت

ومن لا يكون قادراً على هذه الأمور فإنَّه لا يصلح أن يكون إلهاً فمن زعم أنَّ كلام الله مخلوق كالمعتزلة، والزيدية أو بتأويلٍ كالأشعرية، فإنَّ زعمه هذا باطلٌ.

وأمَّا حادث الآحاد: فلأنَّ الله سبحانه وتعالى يحدث آحاده متى شاء.

والآحاد: هو الكلام في الأمور التي يريدها الله، ويأمر بها ملائكته من إحياءٍ، وإماتةٍ وصحةٍ، وسقم، وعزٍّ، وذل، وغنًى، وفقر، وإكرامٍ وإهانة إلى غير ذلك... وهذا لا يخفَى، وبالله التوفيق.



والإيمان بالرؤية يوم القيامة، يرون الله عزَّ وجل بأعين رؤوسِهم، وهو يحاسبهم بلا حاجبٍ، ولا ترجمان [١].

[١] تنقسم الرؤية إلى قسمين عامَّةٌ وخاصَّة.

فالرؤية العامة في عرصات القيامة حينما يحاسب الله العبد يوقفه بين يديه ويحاسبه على أعماله، ويُبَكِّتَه بما كان يعتقد إن كان كافراً أو منافقاً، وقد جاء في الحديث من حديث أبي هريرة قال: «قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا. قال فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. قال: فيلقى العبد فيقول: أي فُلُ ألم أكرمك وأسودك وأزوجك، وأسخر لك الخيل، والإبل وأذرك ترأس وتربع[١] فيقول: بلى. قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني فيقول: أي فُلُ ألم أكرمك، وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل، والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى أي رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك يقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول: هاهنا إذاً. قال: ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فِيه ويقال لفخذه، ولحمه، وعظامه: انطقي فتنطق فخذه ولحمه، وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق، وذلك الذي يسخط الله عليه»[٢] رواه مسلم وغيره وقد جاء في

(١) قال شيخنا النَّجمي حفظه الله: (معنى فلو) ترخيمٌ ونقلت الضمة في قول القائل يا فلان نقلت على الحرف الذي بقي وهو وسطُ الكلمة وهذا قد جاء في الحديث هكذا معنى يا فلو يا فلان. ترأس: تصير رأساً. وتربَّع: تأخذ المرباع وهو الربع من الغنيمة اهـ.

(٢) الحديث رواه مسلمٌ رحمه الله في أول كتاب الزهد والرقائق.

الحديث أيضاً عن عدي بن حاتم ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدَّم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة» زاد ابن حجر قال الأعمش: وحدثني عمرو بن مرة عن خيثمة مثله وزاد فيه «ولو بكلمة طيبة»[1] متفقٌ عليه واللفظ لمسلم فهذه أدلةٌ على الرؤية العامَّة، أمَّا الرؤية الخاصَّة فهي رؤية أهل الجنَّة في الجنَّة، وهي رؤية تنعُّم وتلذذ قال الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. وفي حديث جرير بن عبدالله البجلي ﵁ أنَّه قال: «كنا جلوسا عند رسول الله ﷺ إذ نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: أما إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، يعني العصر والفجر، ثم قرأ جرير ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [قٓ: من الآية ٣٩]»[2] متفقٌ عليه، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ الطويل واللفظ لمسلم أيضاً قال: «قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارُّون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحواً؟ قلنا: لا. قال فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ إلا كما تضارون في رؤيتهما»[3]. فرؤية المؤمنين لربهم في الجنَّة رؤية نعيم إذا تجلَّى لهم يذهلون عن كلِّ ما هم فيه من النَّعيم ويرون أنَّهم لم يؤتَوا شيئاً أفضل ممَّا أوتوا أي أفضل من الرؤية وبالله التوفيق.

---

(١) الحديث رواه البخاري رحمه الله في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ وفي باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ورواه مسلمٌ في كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمةٍ طيبة وأنَّها حجابٌ من النار.

(٢) الحديث رواه مسلم واللفظ له في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما. ورواه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية. وأخرجه أيضاً الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

والإيمان بالميزان يوم القيامة يوزن فيه الخير والشر له كفَّتان وله لسان [١].

---

[١] ***أقول:*** أمَّا الكفتان، فكفَّةٌ للحسنات وكفَّةٌ للسيئات، وأمَّا اللسان فهي الشَّوكة التي يعرف بها ميل الميزان إلى أيِّ جهةٍ كانت، والوزن حقٌّ توزن به أعمال العباد قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨، ٩]، لماذا قال في الشَّخْص موازين؟ لأنَّ أعماله توزن. الصلاة توزن؛ هل أديت جميعاً أم لا؟ أم كان فيها نقصٌ وهكذا الزكاة، والصوم، وسائر الأعمال، قال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة].

وهل تكون الأعمال أجساماً فتوزن أو أنَّ الدواوين التي فيها كتابة الخير والشر هي التي توزن؟ وحديث البطاقة يدلُّ على أنَّ الدواوين هي التي توزن كما في حديث عبدالله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «يصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رءوس الخلائق فينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجلٍ مد البصر، ثم يقول الله عز وجل: هل تنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أظلمتك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، ثم يقول: ألك عذر ألك حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة، وإنَّه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله. قال فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات!! فيقول: إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة. قال محمد بن يحيى: البطاقة الرقعة وأهل مصر يقولون للرقعة

والإيمان بعذاب القبر، ومنكر ونكير [١].

بطاقة»[١] رواه ابن ماجة فهذا يدلُّ على أنَّ الدواوين هي التي توزن، وقد اختلف أيضاً في وزن الأشخاص، هل يوزن الأشخاص أم لا؟ والصحيح، أنَّهم يوزنون والدليل على ذلك ما رواه مسلمٌ في صحيحه أنَّ النبي ﷺ وأصحابه خرجوا يوماً إلى البادية فارتقى عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يجتني الكباث، فجعلوا ينظرون إلى دِقَّة ساقيه ويضحكون فقال النبي ﷺ: «ممَّ تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله من دقة ساقيه فقال: والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أحد»[٢] رواه أحمد، وجاء في الحديث أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال اقرءوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: من الآية ١٠٥]»[٣] متفقٌ عليه. إذاً فهذان النَّصان دليلان على أنَّ الأجسام توزن كما توزن الأعمال، وبالله التوفيق.

[١] سؤال منكر ونكير قد ورد في عدَّة أحاديث منها حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله، وكأنَّ على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض فرفع رأسه، فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً، ثم قال إن العبد

(١) رواه ابن ماجة في كتاب الزهد باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة والحديث قد صححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم ٨٠٩٥ في ج٢/١٣٤٥.

(٢) الحديث رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة برقم ٣٩٨١ وفي مسند العشرة المبشرين بالجنة برقم ٩٢٢ من حديث زر بن حبيش رضي الله عنه وكذا أخرجه الطيالسي برقم ٣٥٥ وابن سعد (٣/١٥٥) كما أشار إلى ذلك الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة ج٦/القسم الأول صفحة ٥٧٠ برقم الحديث ٢٧٥٠.

(٣) الحديث رواه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف:١٠٥] ورواه مسلمٌ في أول كتاب صفة القيامة والجنة والنار.

المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال فيصعدون بها فلا يمرون يعني بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب، فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال: فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك، فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك، فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول: هو رسول الله ﷺ فيقولان له: وما علمك، فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدقت. فينادي مناد في السماء: أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها، وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره. قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك؛ هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال: وإنَّ العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر،

ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث، فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: من الآية٤٠] فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: من الآية ٣١]، فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك، فيقول: هاه، هاه؛ لا أدري، فيقولان له: ما دينك، فيقول: هاه، هاه، لا أدري فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول: هاه هاه، لا أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب، منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوءك؛ هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث فيقول: رب لا تقم الساعة»[1] رواه أحمد، وغيره والأحاديث في عذاب القبر كثيرة وأهل السنّة والجماعة يؤمنون

(١) رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسند الكوفيين برقم ١٨٠٦٣ واللفظ له، ورواه النسائي في كتاب الجنائز باب الوقوف للجنازة ورواه أبو داود في كتاب الجنائز باب الجلوس عند القبر وأيضاً أخرجه في كتاب السنة باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، وأخرجه الإمام ابن ماجة في كتاب ما جاء في الجنائز باب ما جاء في الجلوس في المقابر، والحديث صححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم ١٦٧٦ في ج١/٣٤٦.

والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ولكل نبي حوض إلاَّ صالح عليه السلام فإنَّ حوضه ضرع ناقته [١].

بعذاب القبر وبسؤال منكر ونكير، أمَّا المعتزلة فهم ينكرون عذاب القبر، والعياذ بالله.

[١] ***وأقول:*** حوض النبي ﷺ حوضٌ عظيم كما بيْنَ صنعاء وأيلة(١) أباريقه عدد النجوم ترد عليه أمَّته، وقد جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنَّا قد رأينا إخواننا قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؛ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله، فقال: أرأيت لو أنَّ رجلاً له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض. ألا ليذادنَّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً»(٢) رواه الإمام مسلم، وغيره، واللفظ لمسلم، وهل لكلِّ نبيٍّ حوض؟ هذا محلُّ نظرٍ، ويحتاج إلى دليلٍ يثبته(٣)، قوله: (إلاَّ صالح فإنَّ حوضه ضرع ناقته) يقول

(١) هذا الوصف الذي ذكره شيخنا أحمد لحوض النبي ﷺ ورد في صحيح الإمام البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وأخرجه مسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء وأخرجه البخاري في كتاب المساقاة باب من رأى أنَّ صاحب الحوض والقربة أحقُّ بمائه.

(٣) قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في مجموعة فتاواه ورسائله في ج ٥١٧/٨ وعلى شرحه للعقيدة الواسطية عند قول المؤلف رحمه الله: (وفي عرصات يوم القيامة الحوض المورود لمحمد ﷺ ماؤه أشدُّ بياضاً من اللبن.الخ) قال: (عاشراً: =

المحقق(١): (لم أجد دليلاً على هذه المسألة فأرجو من أخي القارئ الكريم إن وجد شيئاً حول هذا أن يرشدني إليه فالعلم رحمٌ بين أهله.

وأقول: لا أعرف في هذا شيئاً أي بالنسبة أنَّ حوض صالح ضرع ناقته) والله تعالى أعلم(٢).

أمَّا حوض رسول الله ﷺ فقد ثبت بالتواتر، وقد جاء في حديث

= هل للأنبياء الآخرين أحواض؟ فالجواب نعم فإنَّه جاء في حديث رواه الترمذي وإن كان فيه مقال: (إنَّ لكل نبيٍّ حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردة)قال أبو عيسى هذا حديث غريب، وقد روى الأشعث بن عبدالملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلًا، ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح ثمَّ ذكر المحقق عمرو بن محمود أبو عمر الذي حقق كتاب معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول تأليف الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي في ج٢/٨٨٠: بأنَّ الحديث أخرجه الترمذي في صفة القيامة باب ما جاء في صفة الحوض والبخاري في التاريخ الكبير (٤٤/١/١) وابن أبي عاصم في السنة (٣٢٧/٢ - ٣٢٨/ح ٧٣٤) والطبراني في الكبير (٢١٢/٧/ح ٦٨٨١) وفي مسند الشاميين (ح ٢٦٤٦) والحديث صحيح لشواهده، وقد صحح هذا الحديث الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم ١٥٨٩ ثمَّ قال ابن عثيمين رحمه الله بعد ذكره للحديث السابق: (لكن هذا يؤيده المعنى، وهو أنَّ الله عز وجل بحكمته، وعدله كما جعل للنبي ﷺ حوضاً يرده المؤمنون من أمته كذلك يجعل لكل نبيٍّ حوضاً حتى ينتفع المؤمنون بالأنبياء السابقين لكن الحوض الأعظم هو حوض النبي ﷺ وعلى آله وسلم) اهـ.

(١) المحقق هو الدكتور/محمد بن سعيد القحطاني في طبعة دار ابن القيم.

(٢) ذكر محقق هذا الكتاب المبارك الشيخ أبي ياسر خالد بن قاسم الردادي في طبعة مكتبة الغرباء الأثرية عند قول المؤلف رحمه الله: (إلَّا صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنَّ حوضه ضرع ناقته) بأنَّ هذا جاء في حديثٍ موضوع أخرجه العقيلي في الضعفاء (٦٤/٣ - ٦٥) وعنه ابن الجوزي في الموضوعات (٢٤٤/٣) من طريق عبدالكريم بن كيسان عن سويد بن عمير به مرفوعاً قال ابن الجوزي: حديثٌ موضوعٌ لا أصل له. قال العقيلي: عبدالكريم مجهول بالنقل وحديثه غير محفوظ. وقال الذهبي في ترجمة عبدالكريم هذا في الميزان (٦٤٥/٢): من المجاهيل وحديثه منكر ثمَّ أورد له الحديث المتقدم وقال عقبه: هو موضوع والله أعلم. وأخرجه حميد بن زنجويه وعنه ابن عساكر في تاريخه كما في اللآلئ المصنوعة (٤٤٤/٢ - ٤٤٥) من طريق آخر عن كثير بن مرة به مرسلًا بيد أنَّه لا يفرح بمثله فإسناده تالف مسلسل بالمجاهيل مع إرساله» اهـ

والإيمان بشفاعة الرسول ﷺ للمذنبين الخاطئين يوم القيامة، وعلى الصراط ويخرجهم من جوف جهنَّم، وما من نبيّ إلاّ وله شفاعة وكذلك الصِّدِّيقون والشهداء، والصالحون، ولله بعد ذلك تفضُّلٌ كثيرٌ على من يشاء والخروج من النَّار بعدما احترقوا، وصاروا فحماً [١].

أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «ليردنَّ علي الحوض رجال ممن صاحبني حتى إذا رأيتهم، ورفعوا إلي اختلجوا دوني، فلأقولنَّ: أي رب أصيحابي أصيحابي، فليقالن لي: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»(١) رواه البخاري ومسلم واللفظ لمسلم، وفي رواية: «فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً»(٢) وبالله التوفيق.

[١] ***وأقول:*** شفاعات رسول الله ﷺ كثيرة، فله شفاعات اختصَّ بها وله شفاعات يشارك فيها غيره فالتي اختصَّ بها ثلاثٌ:

١ ـ وهي المقام المحمود أي الشفاعة في فصل القضاء.

٢ ـ الشفاعة في استفتاح باب الجنَّة أو شفاعته لأهل الجنة أن يدخلوها.

٣ ـ الشفاعة لأبي طالب، وإخراجه من غمرة النَّار إلى ضحْضاحٍ منها.

وهناك شفاعاتٌ أخرى يشاركه فيها غيره:

١ ـ وهي الشفاعة في قومٍ استحقُّوا دخول النَّار فيشفع فيهم أن يعفوا من دخول النار.

٢ ـ الشفاعة في أقوام دخلوا النَّار وعذِّبوا فيها، فيشفع فيهم أن يخرجوا من النَّار فيخرجون منها.

---

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب الرقاق باب في الحوض، والإمام مسلمٌ في كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.

(٢) الحديث سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

والإيمان بالصراط يأخذ الصراط من شاء الله، ويجوّز من شاء الله ويسقط في جهنَّم من شاء الله، ولهم أنوار على قدر إيمانهم [١].

---

٣ ـ الشفاعة في أقوام استوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم أن يدخلوا الجنة، والشفاعة هذه عامَّة.

والشفاعات التي ذكرت وهي سبعٌ أو ثمان(١)، فأمَّا الثلاث الأولى فهو يختص بها باتفاق والباقي يشترك فيها معه غيره من الملائكة، والمرسلين والنبيين، وسائر المؤمنين، وحقيقة الشفاعة هي إكرام الله للشافع، ورحمته بالمشفوع له، ثم هي لا تكون إلاَّ للموحدين لحديث أبي هريرة ﷺ: «أنه قال قيل يا رسول الله: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»(٢) رواه البخاري، فنسأله سبحانه وتعالى أن يشفِّع نبيَّه فينا، وبالله التوفيق.

[١] *أقول:* وبالله التوفيق: الصراط هو جسرٌ ممدود على متن النَّار، يمر عليه الموحِّدون المسلمون الذين ماتوا على الإسلام، ولم يشركوا بالله شركاً أكبر يستوجب الخلود في النَّار، أمَّا الكفَّار بجميع أنواعهم مشركون وثنيون وملحدون، وأهل الكتاب اليهود والنصارى وغيرهم من أنواع الكفَّار فهؤلاء يساقون إلى النَّار سوقاً وتفتَّح لهم أبوابها السبعة قال الله عزَّ وجل: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ [الزمر: من الآية٧١] وقال في سورة الحجر: ﴿لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ۝٤٤﴾ [الحجر:٤٤]، فالذين كتبت عليهم الشقاوة الأبدية والخلود في النار نستجير بالله من ذلك هؤلاء

---

(١) من الشفاعات العامة أيضاً ٧ـ الشفاعة في قومٍ من أهل الجنة أن ترفع درجاتهم فيها.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم باب الحرص على الحديث وفي كتاب الرقاق باب في صفة الجنة والنار.

يساقون إلى النار سوقاً تسوقهم خزنة جهنَّم سوقاً وتسوقهم الملائكة ويدخلون فيها من أبوابها كلّ أهل ملَّةٍ وعقيدة يدخلون في النار من بابٍ واحد، أمَّا المسلمون فهؤلاء يضرب لهم الصراط على متن جهنَّم، فيمرُّون عليه على قدر إيمانهم وأوَّل من يمر عليه رسول الله ﷺ ثمَّ يكون واقفاً عند الصراط يقول: «ربِّ سلِّم سلِّم»[(١)] رواه مسلم. فيمر بعضهم كلمح البصر، وكالبرق الخاطف وكالريح، وكأجاويد الخيل وكسعي الرجال ومنهم من يهرول، ومنهم من يمشي، ومنهم من يزحف على بطنه، وعلى الصراط كلاليب كشوك السَّعدان، وهو شجر له شوكة معقوفة يقال لها العقيفاء تضرب من أمرت به، وتلقيه في جهنَّم، وقد ورد: «أنَّها تشبك بين النَّاصية والقدم»[(٢)] قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ [الرحمن:٤١]، وهذا لا يكون إلاَّ بكسر الظهر نسأل الله السلامة، فالذين يمرون على الصراط، ويسقطون منه هؤلاء يخرجون من النار بشفاعة الشافعين، وبرحمة أرحم الراحمين ويطرحون على نهر الحياة أو نهر الحيا بعد أن صاروا حمماً، وتأخذ النار كلَّ جسم الإنسان المصلِّي ما عدا مواضع السجود، فيأتي الشَّافعون فيعرفونهم بمواضع السجود منهم، وحرامٌ على النار أن تأكل مواضع السجود من المسلمين أصحاب الكبائر، فإذا طُرِحوا على ذلك النهر نبتوا فيه كما تنبت الحبة في حميل السيل قال النبي ﷺ: «ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية»[(٣)] رواه البخاري وفي روايةٍ لمسلم: «ألا ترونها

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان وفي آخر حديث في باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها من حديث حذيفة رضي الله عنه.

(٢) لم أجد حديثاً في هذا وإنَّما ذكر أئمة التفسير وعلى رأسهم الإمام ابن كثيرٍ رحمه الله أنَّ معنى قول الله تعالى: ﴿فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ﴾ أي يجمع الزبانية ناصية الكافر مع قدميه في سلسلةٍ من وراء ظهره ثمَّ يلقى من جهنَّم فيهوي فيها سنين حتى يصل إلى قعرها.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، ومسلمٌ أخرجه في كتاب الإيمان أيضاً من صحيحه باب معرفة طريق الرؤية والحديث عن الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض، فقالوا: يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية. قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه»(١) ثمَّ يدخلون الجنة ويتبوءون منازلهم منها بعد أن طهِّروا ونُقُّوا من دنس الذنوب، ويكون لهم علامةً تبقى عليهم زمناً طويلاً فيعرفهم أهل الجنَّة، ويقولون: هؤلاء الجهنَّميون، وقد ورد أنَّهم فيما بعد يسألون الله أن يزيل عنهم تلك العلامة فتزول عنهم وقبل أن يصلوا إلى الصراط يقتسمون النُّور فمنهم من يكون له نور يسعى بين يديه كالجبل ومنهم من يكون نوره كالنَّخلة بين يديه ومنهم من يكون نوره مثل الرجل القائم وأدناهم من يكون نوره شمعة على ظفر إبهام رجله اليمنى تشِعُّ له مرَّة فيتقدَّم وتنطفئ عليه مرَّة فيقف(٢). أمَّا المنافقون النِّفاق الاعتقادي فهؤلاء يعطون نوراً مع المسلمين، ثم ينطفئ نورهم(٣)، فيقولون للمسلمين: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: من الآية ١٣]، وفي قراءة: **﴿أنظِرونا نقتبسْ مِنْ نُورِكُم قيل ارجِعوا وراءكم فالتمسوا نُورًا﴾** ويضرب بينهم: ﴿بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: من الآية١٣] وبهذا النور يمرُّون على الصراط، وهذا النور الذي

---

(١) ورد هذا في صحيح الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الأذان في باب فضل السجود وفي كتاب الرقاق باب الصراط جسر جهنَّم وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) نقل ابن كثير ذلك عن ابن مسعود ﷺ عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: من الآية ١٢)، وأشار إلى أنَّ ذلك ورد عن ابن أبي حاتم وابن جرير رحمهما الله.

(٣) كما روى ذلك أبو القاسم الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده، وأمَّا عند الصراط، فإنَّ الله تعالى يعطي كل مؤمنٍ نوراً، وكل منافق نوراً، فإذا استووا على الصراط سلبَ الله نور المنافقين والمنافقات، فقالوا: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ وقال المؤمنون: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا» قال الشيخ محمد نسيب الرفاعي: حديثٌ صحيح.

قال والإيمان بالأنبياء والملائكة [١].

يقتسمونه نورٌ حسي وهو بدلٌ، عن النور المعنوي الذي استضاءوا به في الدنيا، والذي تشير له الآية في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى:٥٢]، فمن استضاء بنور الكتاب والسنَّة في الدنيا، فاتَّبعه وعمل به أعطاه الله عزَّ وجل نوراً حسِّياً يوم القيامة حتى يمر على الصراط ويدخل الجنَّة، وينبغي للمسلم أن يكون له حظٌّ من نور الهداية الذي جاء به محمد رسول الله ﷺ من كتابٍ وسنَّة وبالله التوفيق.

[١] هاتان الفقرتان، وهو الإيمان بالأنبياء، وكذلك الإيمان بالملائكة هما ركنان من أركان الإيمان، فلا يقبل إيمان عبدٍ حتَّى يؤمن برسل الله عزَّ وجل، وبملائكته سبحانه وتعالى فيجب علينا أن نؤمن بالرسل، ورسالاتهم السابقة على سبيل الإجمال، ونؤمن برسالة نبينا محمدٍ ﷺ على سبيل التفصيل من سمِّي منهم يجب أن نؤمن به باسمه وعينه، وهم خمسةٌ وعشرون رسولاً، ومن لم يسمَّ منهم فنحن نؤمن به على سبيل الإجمال، وقد ورد في عدد الأنبياء حديثٌ عند الإمام أحمد أنَّهم مائة ألف وأربعةٌ وعشرون ألفاً وأنَّ الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر(١).

والفرق بين النبي والرسول: هو أنَّ النبي من أوحي إليه بشرع مَنْ قبله والرسول من أوحي إليه بشرعٍ مستقل. فالأنبياء يُعَدُّون مجددين لرسالات

---

(١) أخرجه أحمد في مسند باقي الأنصار من حديث أبي ذر برقم ٢٠٥٧٢ وجاء بلفظ: «قلت: فأي الأنبياء كان أول؟ قال: آدم. قلت: أو نبي كان يا رسول الله؟ قال: نبي مكلم. قلت: فكم المرسلون يا رسول الله؟ قال: ثلاث مائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً» وجاء بلفظٍ آخر قال: «قلت: يا رسول الله كم وفى عدة الأنبياء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جمّاً غفيراً» رقم الحديث ٢١٢٥٧.

كانت قبلهم، والرسل يعدُّون مؤسسين، ونؤمن أنَّ هؤلاء مرسلين من ربهم لِهِدَاية البشرية، فمنهم من قصَّ الله علينا خبره ومنهم من لم يقصص علينا، وطوى أخبارهم في علم الغيب.

أمَّا الملائكة: فهم عباد الله المكرمون يعبدون الله عزَّ وجل، ولا يعصونه طرفة عين ويطيعونه فيما أمر، ويفعلون ما يؤمرون، وأعدادهم لا يعلمها إلاَّ الذي خلقهم: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: من الآية ٣١]، وقد جاء في حديث المعراج الصحيح(١) أنَّ النبي ﷺ وجد البيت المعمور في السماء السابعة، وإذا هو يزوره كلَّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة، ثمَّ لا يعودون إليه آخر ما عليهم، فإذا كانوا منذ خلق الله السماوات السبع وخلق الليل والنهار كلَّ يوم يزور البيت المعمور سبعون ألف ملك، ثمَّ لا يعودون إليه فهذا يدلُّ على كثرتهم بحيث لا يعلم عددهم إلاَّ الذي خلقهم فمن كان منهم مسمًّى كجبريل أمين الله على الوحي وإسرافيل أمين الله على الصور، وميكائيل الموكَّل بالأرزاق، والأمطار والنبات، وعزرائيل الموكل بقبض الأرواح إلاَّ أن تسميته بعزرائيل لم ترد في حديثٍ صحيح، وحملة العرش وغيرهم من الملائكة، فمالكٌ رئيس خزنة جهنَّم ورضوان رئيس خزنة الجنَّة كلَّ هؤلاء مُسَمَّيْنَ، والذين لم يُسَمُّوا كالملائكة الموكلين بالأرحام وملائكة البحار، وملائكة الجبال وملائكة الريح، والملائكة الذين وكَّلهم الله بالذكر إذا وجدوا قوماً يذكرون الله جلسوا إليهم... إلى غير ذلك وكلُّهم لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، ولا يتناسلون، ولا يموتون إلاَّ عند النفخ في الصور والملائكة الكروبيون الذين هم حول العرش، وقد جاء في الحديث الصحيح: «أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى وعلى قرنه العرش وبين شحمة أذنيه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة عام يقول ذلك الملك سبحانك حيث كنت» وفي رواية: «ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب بدء خلق الخلق في باب ذكر الملائكة، وأخرجه الإمام مسلمٌ في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلاة من حديث أنس بن مالك ﷺ.

والإيمان بأنَّ الجنَّة حقٌّ، والنَّار حقٌّ، وأنَّهما مخلوقتان، الجنَّة في السماء السَّابعة، وسقفها عرش الرحمٰن، والنَّار تحت الأرض السَّابعة السفلى، وهما مخلوقتان قد علم الله تعالى عدد أهل الجنَّة، ومن يدخلها، وعدد أهل النَّار، ومن يدخلها وأنهَّما لا تفنيان أبداً إبقائهما مع بقاء الله أبد الآبدين، ودهر الدَّاهرين [١].

سنة»(١) فنؤمن بهذا الخلق العظيم من الملائكة وكلُّهم لهم أجنحة يطيرون بها، ولا يعلم كيفية خلقهم إلاَّ الله عزَّ وجل فعلينا أن نؤمن بمن عُيِّن على التعيين، ومن لم يعيَّن نؤمن به في الجملة وبالله التوفيق.

[١] *وأقول:* إنَّ الجنة والنار مخلوقة، وقد ثبت ذلك بنصوص كثيرة(٢) منها إخبار الله تعالى عن آدم أنَّه خلق في الجنَّة، والأصح أنَّها الجنَّة التي

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود (٤٧٢٧) والطبراني في الأوسط كما في المنتقى منه للذهبي (٢/٦) وفي حديثه عن النسائي (٢/٣١٧) وابن شاهين في الفوائد (٢/١١٣) وأبو الشيخ في العظمة (٣/٩٤٨ - ٩٤٩) والبيهقي في الأسماء (٣٩٨) وابن عساكر في المجلس ١٣٩ من الأمالي (١/٥٠) وفي التاريخ (١/٢٣٢/١٢) عن إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعاً (انظر السلسلة الصحيحة للإمام الألباني رحمه الله ج١ القسم الأول صفحة ٢٨٢ برقم الحديث ١٥١).

(٢) كما في قول الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: من الآية ٣٥] وكذا ما جاء في قول الله سبحانه: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [الأعراف: من الآية ١٩] وكما ورد في قول الله عز وجل: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: من الآية ٢٧] وكما جاء في قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه:١١٧] إلى غير ذلك من الآيات الكريمات التي دلت بمنطوقها، وبان لنا بمفهومها بأنَّ أبانا آدم، وأمَّنا حواء عليهما السلام كانا في الجنة منعمين، فأهبطا منها بسبب أكلهما للشجرة التي نهاهما الله عن أكلهما: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢] فنعوذ بالله من إبليس وأعوانه الذين لا يألون جهداً في إغواء بني آدم ما داموا في زمن الحياة والعمل، ونسأله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجنبنا وإياكم من نزغاته ووساوسه، وأن يغفر لنا سيئاتنا وسوء أعمالنا، وأن يتقبل منَّا صالح العمل، وبالله التوفيق.

يدخلها المؤمنون ومنها أحاديث صحاح واردةٌ في الصحيحين وغيرهما كقول النبي ﷺ في خطبة صلاة الكسوف: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله، قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك، ثم رأيناك كعكعت قال ﷺ: إني رأيت الجنة فتناولت عنقوداً، ولو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا وأريت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء، قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بكفرهن، قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط»[(١)] متفق عليه. ومنها ما رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت: لمن هذا؟ قالوا: هذا لعمر فذكرت غيرتك، فوليت مدبراً، فبكى عمر وهو في المجلس ثم قال: أوعليك يا رسول الله أغار»[(٢)] إلى غير ذلك من الأحاديث التي تثبت أنَّ الجنَّة والنَّار موجودتان الآن، أمَّا كونهما لا يفنيان فهذه هي عقيدة أهل السنَّة والجماعة، ومن أراد أن يستزيد في هذا الموضوع، فليقرأ كتاب كشف الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للأمير الصنعاني بتحقيق الألباني رحمه الله[(٣)].

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأذان باب رفع البصر إلى الإمام في الصلاة وأخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب صلاة الكسوف جماعة، وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب النكاح باب كفران العشير وهو الزوج وهو الخليط من المعاشرة فيه عن أبي سعيد عن النبي ﷺ وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الكسوف باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار من حديث ابن عباس رضي الله عنهم.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب النكاح باب من فضائل عمر رضي الله عنه وفي كتاب المناقب باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي، وفي كتاب التعبير باب القصر في المنام من حديث جابرِ بن عبدالله رضي الله عنه. وأخرجه الإمام مسلمٌ في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل عمر رضي الله عنه من حديث جابر بن عبدالله أيضاً رضي الله عنه.

(٣) لمزيدٍ من التوسع في موضوع الجنة والنار، وأنَّهما لا تفنيان أبداً، والرد على من =

وقد علم الله أهل الجنَّة، وعددهم، وأسمائهم، وأهل النَّار، وعددهم وأسمائهم، ومن يدخلون الجنَّة بعد عذابٍ في النَّار، ومن يدخلون الجنَّة قبله وقد جاءت في ذلك أحاديث لا نطيل في ذكرها منها:

الأحاديث التي وردت في مسح ربِّ العزَّة ظهر آدم، واستخراج ذريِّته منه كالذَّر، وأنَّ الله سبحانه وتعالى قبض منهم قبضةً بيمينه وقال: «هذه لهذه ولا أبالي» أي للنار «وقبض قبضة أخرى بيده الأخرى جل وعلا فقال: هذه لهذه ولا أبالي»[(١)] أي للجنة، ومنها ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟ فقلنا: لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا، فقال للذي في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم، ولا ينقص منهم أبدا، ثم قال للذي في شماله: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار، وأسماء آبائهم وقبائلهم، ثم أجمل على آخرهم، فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبداً، فقال أصحابه: ففيم العمل يا رسول الله إن كان أمر قد فرغ منه؟ فقال: سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل، ثم قال رسول الله ﷺ بيديه فنبذهما، ثم قال: فرغ ربكم من العباد فريق في الجنة وفريق في السعير»[(٢)] أخرجه أحمد والترمذي، فهذا يدل على أنَّ الله قد علم

= قال بفنائهما، فليرجع كذلك إلى كتاب توقيف الفريقين على خلود أهل الدارين للعلامة مرعي الحنبلي رحمه الله وكشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار للشيخ الدكتور علي بن علي جابر حفظه الله كما أشار إلى ذلك محقق هذا الكتاب الشيخ أبو ياسر خالد الردادي حفظه الله عندما علق على هذه المسألة في هذا الكتاب المبارك.

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين برقم ١٧٠٨٨ولمزيدٍ من الاستدلال بشيءٍ من الأحاديث حول هذه المسألة فليرجع في ذلك إلى تفسير ابن كثيرٍ رحمه الله وذلك عند تفسيره للآية رقم ١٧٢ من سورة الأعراف وهي قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: من الآية ١٧٢].

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب القدر باب ما جاء أن الله كتب كتاباً لأهل الجنة وأهل النار وأخرجه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة من حديث =

وآدم عليه السلام كان في الجنَّة الباقية المخلوقة فأخرج منها بعدما عصى الله عزَّ وجل [١].

من يدخل الجنَّة ومن يدخل النَّار قبل خلق السماوات والأرض، وبالله التوفيق.

[١] *أقول:* لحكمةٍ أرادها الله عزَّ وجل خلق آدم في الجنَّة وقال: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُاْ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٦، ١١٩] وأباح له أشجار الجنَّة جميعاً، ونهاه عن شجرةٍ واحدة، ليبيِّن له ولذريَّته عداوة إبليس، وأنَّ المعصية يترتب عليها حرمان الجنَّة، والدخول في النَّار والعياذ بالله ومكث فيها زمناً لا يقرب تلك الشجرة، ولكنَّ عدوَّه الذي طرد بسببه ما كان ليتركه فقد وسوس إليه أنَّ الله لم ينهك عن هذه الشجرة إلاَّ من أجل أنَّ من أكلها يخلَّد فلا يموت فانطلت عليه تلك الوسوسة، فأثَّرت في نفسه لحكمةٍ أرادها الله عزَّ وجل، فأكل من الشجرة، ولمَّا أكل منها بدت له سوءته، ففرَّ في الجنَّة، وعلم أنَّه قد أساء وعصى، فناداه ربُّه وتاب عليه ثمَّ أهبطه من الجنَّة إلى الأرض ليلحق بذلك العدوَّ اللدود، ولتتم المعركة على ظهر هذه الأرض بين الحقِّ والباطل إلى يوم القيامة، فرسل الله وأتباعهم يمثِّلون الحقَّ، ويدعون إليه، ويعملون به، وإبليس وأتباعه يمثِّلون الباطل ويعملون به، ويدعون إليه، والمعصوم من عصمه الله والمخذول من خذله الله وأضلَّه، اللهمَّ اعصمنا من كيد الشيطان الرجيم وأصبغ قلوبنا بصبغة الإيمان، وأعذنا من مضلات الفتن إنَّك

= عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما برقم الحديث ٦٢٧٥ وقد صحح هذا الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم ٨٨ في ج١/٨٠ وأشار إلى تصحيحه أيضاً إلى السلسلة الصحيحة برقم الحديث ٨٤٨.

- والإيمان بالمسيح الدجال [١].

سميعٌ قريب. وقد دارت المعركة فأرسل الله الرسل بعد إغواء إبليس وذريَّته لبني آدم وحملهم على الشرك والكفر والمعاصي وأرسل الله الرسل من أوَّلهم نوحٍ إلى آخرهم محمد ﷺ وأنزل الكتب لهداية البشرية، فهلمُّوا يا عباد الله إلى النُّور الواضح، والحقِّ المبين، والشريعة الكاملة، التي أنزلها الله على خاتم الرسل ممثَّلةً في كتابه القرآن، وسنَّة رسوله ﷺ الكفيلة ببيان الحق وتوضيح مجملات وعمومات القرآن، وعليكم بطريقة السلف، وهدي السلف فاتَّبعوهما إن أردتم النَّجاة، وقد قال النبي ﷺ في الفرقة النَّاجية «هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي»(١) وبالله التوفيق.

[١] قَولُه: (والإيمان بالمسيح الدجال) أي الإيمان بخروجه، وقد ثبت خروجه في أحاديث صحيحة(٢)، وفي الاستعاذة من أربع التي هي بعد التشهد، والصلاة على النبي ﷺ ومنها قوله ﷺ: «وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال»(٣).

والمسيح الدجال قد كان في عهد النبي ﷺ موجوداً في جزيرةٍ من جزائر البحر كما في حديث فاطمة بنت قيس أنَّ تميم الداري ﷺ قال: «أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهراً في البحر، ثم أرفئوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) قال المحقق الشيخ محمد سعيد القحطاني للاستزادة حول أحاديث المسيح الدجال وصفاته انظر كتاب السنة لعبدالله بن أحمد ص٤٤٣ و٥٣٢ وأشراط الساعة ليوسف الوابل فإنَّه نفيسٌ في بابه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأذان باب الدعاء قبل السلام وأخرجه الإمام مسلمٌ أيضاً في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ما يستفاد منه في الصلاة وفي كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر الفتن وغيرها كل ذلك من حديث عائشة رضي الله عنها.

الشمس فجلسوا في أقرب السفينة، فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابّة أهْلَب كثير الشعر لا يدرون ما قُبُله من دبره من كثرة الشعر. فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدَّير فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سِراعاً حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً، وأشده وثاقاً، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب، ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم، فلعب بنا الموج شهراً، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر. فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعاً، وفزعنا منها، ولم نأمن أن تكون شيطانة، فقال: أخبروني عن نخل بيسان. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر. قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماء؟ قالوا: هي كثيرة الماء. قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبروني عن عين زغر. قالوا: عن أي شأنها تستخبر قال: هل في العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل. قالوا: قد خرج من مكة، ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم، فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب، وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك. قلنا: نعم. قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عني إني أنا المسيح وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما محرمتان علي كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة،

أو واحداً منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتاً يصدني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها. قالت: قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر: هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة؛ يعني المدينة - ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس: نعم، فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه»(١) الحديث، والأحاديث في إنذار النبي ﷺ أصحابه المسيح الدَّجال كثيرة، وقد قال النبي ﷺ: «ما بعث الله من نبي إلا أنذر قومه الأعور الكذاب إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر» رواه البخاري، وفي رواية: «مكتوب بين عينيه ك ف ر»(٢) أي كافر.

وقال النبي ﷺ: «إن الله ليس بأعور ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية»(٣) رواه البخاري ومسلم من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، واللفظ للبخاري وفي حديث النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال

---

(١) أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب في قصة الجساسة.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ تغذى وقوله جل ذكره ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته من حديث أنس رضي الله عنه وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ وقوله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ﴾ وقوله ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ وقال أبو ميسرة الرحيم بلسان الحبشة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما وأخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ نبذناه ألقيناه اعتزلت ﴿شَرْقِيًّا﴾ مما يلي الشرق ﴿فَأَجَاءَهَا﴾ أفعلت من جئت ويقال ألجأها اضطرها ﴿تُسَاقِطْ﴾ تسقط ﴿قَصِيًّا﴾ قاصيا ﴿فَرِيًّا﴾ عظيما قال ابن عباس ﴿نَسْيًا﴾ لم أكن شيئا وقال غيره النسي الحقير وقال أبو وائل علمت مريم أن التقي ذو نهية حين قالت ﴿إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ قال وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن البراء ﴿سَرِيًّا﴾ نهر صغير بالسريانية وفي كتاب المغازي باب حجة الوداع وفي كتاب اللباس باب الجعد وفي كتاب التعبير باب الرؤيا في الليل رواه سمرة وفي باب الطواف بالكعبة في المنام وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾ تغذى وقوله جل ذكره ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ أخرجه مسلمٌ في كتاب الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال وفي باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

النبي ﷺ: «فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشأم والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً يا عباد الله، فاثبتوا، قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يا رسول الله؟ فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا. اقدروا له قدره. قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذراً، وأسبغه ضروعاً، وأمده خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النخل، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله»(١) الحديث.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :«ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبي قومه إنَّه أعور، وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار فالتي يقول إنها الجنة هي النار، وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح قومه»(٢) إلى آخر ما ذكر من الأحاديث، وبالله التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال.

(٢) قال المحقق القحطاني: كل هذا ثابتٌ في الصحيح وقد تتبع الحافظ ابن كثير في تفسيره آية ١٥٩ من سورة النساء ومن أراد التوسع أيضاً فليراجع التصريح بما تواتر في نزول المسيح للكشميري، وأقول: وليرجع كذلك إلى كتاب أشراط الساعة ليوسف الوابل حفظه الله.

والإيمان بنزول عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ينزل فيقتل الدجال، ويتزوج، ويصلِّي خلف القائم من آل محمد ﷺ ويموت، ويدفنه المسلمون [١](١).

[١] الإيمان بنزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ واجبٌ، وكذلك الإيمان بأنَّ عيسى عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه.

وأنَّه ينزل عند صلاة الفجر على المنارة الشرقية في مسجد دمشق بين مهرودتين، ثوبين، واضعاً يديه على أجنحة ملَكين، فينزل، ويجد الناس ينتظرون صلاة الفجر، فيريد أن يقدِّمه إمامهم، فيأبى، ثمَّ يصلي بهم إمامهم، ويتبع المسيح الدَّجال، وفي يده حرْبة، فإذا رآه المسيح الدجال ساح كما يسيح الملح في الماء، فيقتله، ثمَّ يعود إلى المسلمين فيحدِّثهم بمنازلهم في الجنَّة، ويحكم بشريعة محمدٍ ﷺ ولا يَقْبَل من أحدٍ غير الإسلام ويأمر بكسر الصليب، وقتل الخنزير، فيوعب النَّاس كلّهم على الإسلام ثـمَ يخرج يأجوج ومأجوج، فيوحي الله عزَّ وجل إلى نبيِّ الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن رفِّع عبادي إلى جبل الطُّور، فإنَّه سَيُخْرِج أمَّةً لا يدان لأحدٍ بقتالهم فيخرج يأجوج ومأجوج، فيمرون بالنَّهر فيشربونه حتَّى يأتي آخرهم، فيقول: لقد كان هاهنا ماءٌ، فيقتلون كلَّ من وجدوه، ثمَّ يرمي أحدهم من النُّشابة إلى السماء، فترجع مخضوبةً بالدَّم فتنةً لهم، فيقولون: قد قتلنا من في الأرض، وسنقتل من في السماء، فيدعو عليهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيرسل الله عليهم دودةً يقال لها النَّغف في رقابهم، فيموتون كلُّهم في ليلةٍ واحدة فيصبحون جميعاً موتى، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابه في جبل الطور حتَّى إنَّ أحدهم ليتمنَّى أن لو كان له رأس ثور بمائة دينار من الجوعِ فيقولون: انظروا ما فعل هؤلاء، فيقال: ومن يقدر على ذلك، فيتطوَّع رجلٌ

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله عز وجل ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ قال ابن عباس ﴿بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ ما ظهر لنا ﴿أَقْلِعِى﴾ أمسكي ﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ نبع الماء وقال عكرمة وجه الأرض وقال مجاهد الجودي جبل بالجزيرة دأب مثل حال وأخرجه مسلم في كتاب الفتن باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

والإيمان بأنَّ الإيمان قولٌ، وعملٌ، ونية[١]، يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله وينقص حتَّى لا يبقى منه شيء[٢] [١].

مخاطرٌ بنفسه فينزل، فإذا هم قد ماتوا جميعاً، فيصيح مبشراً لهم، ثمَّ إنَّ الله عزَّ وجل يرسل المطر مطراً عظيماً، فتجرف جثثهم السيول وترميها في البحر وتصبح الأرض كأنَّها مرآة، فيقال للأرض: أعيدي بركتكِ، فحينئذٍ يأكل القوم من الرمَّانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل أي في المواشي حتَّى أنَّ اللّقحة من الإبل لتكفي الفئام من النَّاس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة، واللقحة من الغنم لتكفي العشيرة، فيمكث النَّاس زمناً ليس بين اثنين عداوة ثمَّ يرسل الله ريحاً باردة من اليمن فتقبض روح كلِّ مؤمن ويبقى شرار الخلق، فعليهم تقوم السَّاعة، وبالله التوفيق.

[١] قَولُه: (ونؤمن بأنَّ الإيمان قولٌ وعمل ونية. .الخ) أي قولٌ باللسان وعملٌ بالجوارح، وتصديقٌ بالقلب؛ هذه الفقرة فيها ردٌّ على المرجئة الذين يقولون أنَّ الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، وبعضهم يدخل في ذلك النطق بالشَّهادتين دون غيرهما، وبعضهم لا يدخله كلَّه، وكلُّهم مخطئون فأخفُّ أهل الإرجاء الذين لا يدخلون العمل في مسمَّى الإيمان، وهذا ما يسمَّى بإرجاء الفقهاء.

أمَّا أهل السنَّة والجماعة فإنَّهم يقولون لا بدَّ أن يتظافر القلب، واللسان والأعمال فالقلب يعتقِد، واللسان ينطق، والجوارح تعمل، فإذا قال العبد: أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأشهد أنَّ محمداً رسول الله، لا بدَّ أن يقولها معتقداً لمعناها أن الألوهية ينفرد بها مستحِقُّها وهو الله، وهو مقتضى شهادة أن لا إله إلاَّ الله، فكلُّ مألوهٍ في الأرض فإنَّه قد أُلِه بباطل وتُعبِّد له بغير حقٍّ

(١) وفي نسخة الردادي: (ونيةٌ وإصابة) والمقصود بالإصابة هنا هي المتابعة للنبي ﷺ في كل قول وعمل.

(٢) قال المحقق القحطاني: (هذا ما أجمع عليه السلف الصالح، وانظر إن شئت السنة لعبدالله بن أحمد ٣١٤ - ٣١٧) اهـ.

والعبودية لا تنبغي إلاَّ لله الذي في السماء على العرش استوى استواءً يليق بجلاله، فهو بائنٌ من خلْقه، ويعلم ما هم عاملون، ويعلم خطرات القلوب، ونظرات العيون، ولفظات الألسن، وحركات الجوارح ويسمع كلَّ شيءٍ لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وهو السميع البصير

وإذا شهد أنَّ محمداً رسول الله اعتقد ذلك بقلبه، ولفظه بلسانه وعمله بجوارحه، فيعتقد أنَّ محمداً مرسلٌ من عند الله مبلِّغ لرسالته.

أمَّا إن قالها بدون اعتقاد فإنَّها لا تنفعه كقول المنافقين حين أَتَوْا إليه ﷺ وقالوا نشهد إنَّك لرسول الله فأكذبهم الله بقوله: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون:١]، وقال في آيةٍ أخرى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: من الآية١١].

وبهذا تعلم أنَّ الإيمان لا يكون إيماناً حقًّا حتَّى يجتمع عليه القلب واللسان والجوارح فإن لم تجتمع هذه الثلاثة فلا إيمان، ونقول كما قال السلف: الإيمان قولٌ، وعملٌ، ونيَّة يزيد بالطاعة، وينقص بالمعاصي والأدلَّة على زيادة الإيمان ونقصانه من كتاب الله كثيرة وقد عقد البخاري باباً لزيادة الإيمان ونقصانه، واستدل عليه بآياتٍ، وأحاديث، فمن الآيات: قول الله تعالى: ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: من الآية٣١]، وفي قوله جلَّ وعلا: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: من الآية٤]، إلى غير ذلك من الآيات فمن شاء فليراجعه من كتاب الإيمان من صحيح البخاري.

فمن قال أنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنَّ إيمانه وإيمان جبريل واحد، فقد كذَب وافترى وعليه أن يتوب إلى الله عزَّ وجل، وأن يقلع عن هذه المقالة

الطاعة تزيد الإيمان وتنميه، والمعصية تنقصه، وكلَّ ما ازدادت المعاصي زاد الإيمان نقصاً، وكلَّما ازدادت الطاعات زاد الإيمان كمالاً، وبالله التوفيق.

وأفضل هذه الأمَّة، والأمم كلِّها بعد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين(١) أبو بكرٍ ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان وهكذا روي لنا عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنَّا نقول ورسول الله بين أظهرنا: إنَّ خير النَّاس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثمَّ عمر ثمَّ عثمان ويسمع بذلك النبي ﷺ فلا ينكره)(٢) ثمَّ أفضل النَّاس بعد هؤلاء عليٌّ وطلحة، والزُّبير وسعد بن أبي وقَّاص، وسعيد بن زيد، وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة عامر بن الجرَّاح وكلُّهم يصلح للخلافة، ثمَّ أفضل النَّاس بعد هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ القرن الأول الذين بعث فيهم المهاجرون الأوَّلون والأنصار وهم من صلَّى القبلتين، ثمَّ أفضل النَّاس بعد هؤلاء من صحب رسول الله ﷺ يوماً أو شهراً أو سنة أو أقل من ذلك أو أكثر نترحم عليهم، ونذكر فضلهم، ونكفُّ عن زللهم، ولا نذكر أحداً منهم بسوء لقول رسول الله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»(٣) وقال سفيان بن عيينة: «من نطق في أصحاب رسول الله ﷺ بكلمةٍ فهو صاحب هوى»(٤) [١].

---

[١] وأفضل هذه الأمة والأمم كلها بعد الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم

---

(١) وفي نسخة الردادي: (وخير هذه الأمة بعد وفاة نبيها أبو بكر) الخ.

(٢) الحديث أخرج نحوه البخاري بلفظ: (كنَّا نخيِّر بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخيِّر أبا بكرٍ ثمَّ عمر بن الخطاب ثمَّ عثمان بن عفان ﷺ) انظر كتاب المناقب باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ.

(٣) قال الردادي حفظه الله: (حديثٌ حسن أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/٢٤٣ - ٢٤٤) وأبو نعيم في الحلية (٤/١٠٨) من حديث عبدالله بن مسعود وله شواهد عن عددٍ من الصحابة استوفى الشيخ الألباني تخريجها في السلسلة الصحيحة (٣٤)) قلت وأخرجه أيضاً الألباني رحمه الله في صحيح الجامع برقم ٥٤٥ في ج ١/١٥٥.

(٤) لم أجد تخريج هذا الأثر، وعلى فرض ضعف سنده إلى سفيان بن عيينة، فإنَّ معناه صحيح حيث دلت النصوص الشرعية من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على وجوب احترام الصحابة والعمل بسنتهم إن لم تخالف الشرع، وإن حصل من بعضهم خطأ فخطأهم مغمورٌ في بحار حسناتهم رضي الله عنهم وأرضاهم؛ وحقٌّ أن يكون المتكلِّم في الصحابة والطاعن فيهم من أهل الأهواء والبدع لمخالفته كلام ربنا وصحيح سنة نبينا ﷺ في هذه المسألة، وسيأتي عن شيخنا النجمي مزيدٌ بحث عن هذه القضية في الصفحة المقبلة.

أجمعين أبو بكرٍ، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان. وقد ورد بذلك حديثٌ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكر أحداً، ثم عمر، ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم)[١] رواه البخاري.

فمعتقد أهل السنَّة والجماعة أنَّهم يرون أنَّ أفضل الأمَّة بعد نبيها هؤلاء الثلاثة الخلفاء بعد رسول الله ﷺ ثمَّ رابعهم عليُّ بن أبي طالبٍ، ثمَّ السِّتة الباقين من العشرة، ثمَّ من هاجر الهجرتين، ثمَّ أصحاب بيعة العقبة، ثمَّ أهل بدرٍ، ثمَّ أهل بيعة الرضوان، ثمَّ من هاجر قبل الفتح وقاتل، ثمَّ من صحب النبي ﷺ ثمَّ أهل قرنه، ثمَّ الذين يلونهم، فهؤلاء الذين أمر الله عزَّ وجل ورسوله ﷺ بمعرفة ما لهم من الفضل، والفضيلة، والسَّابقة إلى الإسلام من المهاجرين والأنصار.

فمن تكلَّم في الصَّحابة فإنَّه قد قدح في الدِّين الذي حمله الصحابة رضوان الله عليهم لأنَّ الدين جاء من طريقهم، ولهذا فإنَّ الذين كفَّروهم لا حظَّ لهم في الدِّين سواءً كانوا خوارج أو روافض، فالخوارج لا يستثنون من الصحابة إلاَّ أبا بكرٍ، وعمر، والروافض لا يستثنون من الصحابة إلاَّ عليَّ بن أبي طالبٍ، وأهل بيته، وعددٌ قليل لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة، وكل هؤلاء الخوارج، والروافض قد ضلُّوا عن الطريق وابتعدوا عن الحق وقدحوا فيمن أثنى الله عليهم، ونوَّه بفضلهم وجهادهم كما في سورة التوبة، وسورة الفتح، وسورة الحشر، فالآيات التي في هذه السُّوَر تَخُصُّ من صحب رسول ﷺ وتنوِّه بفضلهم وسابقتهم وجهادهم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧]، وكقوله عزَّ وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المناقب باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه.

فيما يجب لولاة الأمور من السمع والطاعة في كتابه هذا: (والسمع، والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى، ومن وليَ الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به، فهو أمير المؤمنين لا يحلُّ لأحدٍ أن يبيت ليلةً، ولا يرى أن ليس عليه إمام برًّا كان أو فاجراً والحجُّ والغزو مع الإمام ماضٍ، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة، ويصلِّي بعدها ستَّ ركعات، يفصل بين كلِّ ركعتين هكذا قال أحمد بن حنبل) [١].

تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح: من الآية٢٩] وقوله سبحانه وتعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الحشر: من الآية٨] والآيتين بعدها، فهذه الآيات تنوِّه بفضل الصحابة، وتبيِّن ما لهم من السَّابقة والجهاد مع رسول الله ﷺ ومن قال خلاف ذلك، فهو مبتدع ضال وبالله التوفيق.

[١] والسمع، والطاعة للأئمة فيما يحب الله ويرضى (هذه الفقرة قد تقدَّم الاستدلال عليها في الفقرة الأولى بما يغني عن إعادته هنا).

ولكن بقي أن نذكر بأنَّ هذا أمرٌ واجبٌ على كلِّ مسلم، ولا يجوز لأحدٍ أن يقول ليس لفلانٍ عليه بيعة، ولا يجوز له أن يبايع لشخصٍ مجهول كما يفعله بعض المتحزِّبين، إذ يعطي البيعة لمجهولٍ لا يُعْرَف، ويقول أنَّه ليس للإمام المعروف عند الناس ليس له في عنقه بيعة وإنَّما بيعته لذلك المجهول، وقد كتبت في هذه المسألة فتوًى(١) إجابةً على سؤال هل تجوز

---

(١) وإليك أخي القارئ الكريم نصَّ السؤال، والإجابة عليه من ضمن أسئلةٍ عرضت على فضيلة شيخنا النجمي حفظه الله فأجاب عليها وقد جمعت في كتاب سمي بالفتاوى الجلية عن أسئلة المناهج الدعوية.

س٥٠ ـ فضيلة الشيخ أحمد بن يحيى النجمي حفظكم الله لخدمة السنَّة وأهلها، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ياشيخ إنِّي أحبك في الله، ونريد منك جزاك الله خيراً، توضيح هذه الشبهة التي يدلي بها بعض متبعي الجماعات، وهي ادعاء جواز الإمارة في الحضر بحيث أنَّهم قالوا: أمر الرسول ﷺ يوضع أمير في السفر والسفر رحلة قصيرة، =

. . . .

= فلماذا لا نضع لنا أميراً في هذه الدنيا، وهي رحلة طويلة، يحثُّنا فيها على الخير وينظم صفَّنا، وهم يستدلون بذلك على جواز البيعة لغير الحاكم فلذلك نرجو توضيح هذه المسألة مع الاستدلال على ما تقولون ـ رعاكم الله ـ ببعض النصوص الشرعية وجزاكم الله خيراً؟

ج٥٠ ـ الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وبعد: ـ حديث التأمير في السفر أخرجه أبو داود بلفظ: «إذا خرج ثلاثة في سفر، فليؤمروا أحدهم» من طريق محمد بن عجلان عن نافع عن أبي سلمة عن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ مرفوعاً؛ رقم (٢٥٩١) ورواه بهذا السند، وجعل صحابيه أبو هريرة مرفوعاً، ولفظه: «إذا كان ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم» رقم (٢٥٩٢) كلاهما في باب القوم يسافرون يؤمرون أحدهم رقم الباب (٨٧) من كتاب الجهاد في سنن أبي داود، وحسَّنه الألباني في الصحيحة رقم (١٣٢٢) وقال: أخرجه أبو عوانة في صحيحه (ج١٨/٨) قال: وله شاهد من حديث ابن لهيعة حدَّثنا عبدالله بن هبيرة عن أبي سالم الجيشاني عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يحل لثلاثة نفر يكونون بأرض فلاة إلَّا أمَّروا عليهم أحدهم» وقال: أخرجه الإمام أحمد (ج١٧٦/٢-١٧٧) قال الألباني: قلت (ورجاله ثقات غير ابن لهيعة فإنَّه سيىء الحفظ) انتهى من الصحيحة (ج٣ص٣١٤) قال في عون المعبود شرح سنن أبي داود على «حديثَيْ أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قال الخطَّابي (إنَّما أمروا بذلك ليكون أمرهم جميعاً ولا يتفرق بهم الرأي ولا يقع بينهم اختلاف والحديث سكت عنه الترمذي) انتهى قوله إذا كان ثلاثة والمعنى: أنَّه إذا كانوا جمعاً، وأقلُّها ثلاثة، فليؤمروا أحدهم، فليجعلوا أحدهم أميراً.

أمَّا ما زعموه أو ما زعمه بعض متبعي المناهج الحزبية، تبريراً لتصرفاتهم الخاطئة، من اتخاذهم الأمراء في الحضر غير الأمير العام، وإعطائهم البيعة لأميرهم المجهول، حيث زعم هؤلاء، أو بعضهم، أنَّ شرعية الإمارة في السفر دليل على جوازها في الحضر جعله من باب (قياس الأولوية) بمعنى: أنَّه إذا استحبَّ ذلك في السفر القصير الذي يكون أيَّاماً، ثمَّ ينقطع فإنَّه من باب أولى يجوز في السفر الطويل؛ الذي هو سفر الدنيا؛ وأقول: إنَّ هذا زعمٌ باطل وفهمٌ خاطئ لأمور:

الأول: أنَّ الله عزَّ وجل هو المشرع ورسوله ﷺ هو المبلغ لشرعه، فلا يجوز لأحدٍ أن يشرِّع غير ما شرعه الله، ورسوله ولا أن يشرع ما لم يأذن به الله ورسوله.

الثاني: الفرق بين السفر، والحضر؛ فرقٌ واضح؛ يعرفه كلّ أحد، فالذين يكونون في دار المقامة أي في الحضر مرتبطون بالأمير العام، فلا يجوز لهم أن يتخذوا أميراً غيره، وإلَّا لساده الفوضى وتحكَّمت السفهاء واختلط الحابل بالنابل، وإنَّ شرع الله ليتنزه =

....

= أن يقرّ مثل هذه المهازل، فضلًا عن أن يشرعها، ويأمر بها وإنّ شرع الله ليحرّم الخروج على السلطان، وإن كان فاسقاً جائراً وقد جاءت بذلك أحاديث كثيرة، ففي صحيح مسلم عن أمّ سلمة رضي الله عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع» قالوا: أفلا نقاتلهم قال: «لا ما صلّوا» وفي الرواية الأخرى: «فمن كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم»وباقي الحديث مثل الأول ومعنى الحديث: أنَّ بعض الأمراء سيعملون أعمالًا تعرفونها بأنّها حقّ وأعمالًا تنكرونها بأنّها باطل، فمن أنكرها بقلبه وعرف بطلانها فكرهها برئ ومن أنكر بلسانه، فقد سلم، ولكن من شرط الإنكار على الإمام، أن يكون بطريقة سرية ليكون أجدى للقبول، وأسلم للمجتمع حتّى لا تنتشر الفوضى فيه، ولكن من رضي وتابع يعني هو الآثم ولمّا قال الصحابة: أفلا نقاتلهم قال: (لا ما صلّوا) وفي ذلك تحريم الخروج على الإمام؛ ما دام يقيم الصلاة، وفي حديث مسلم من حديث عرفجة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أتاكم وأمركم جميعٌ على رجلٍ واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه» وفي صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص قال: «كنا مع رسول الله ﷺ في سفرٍ فنزلنا منزلًا، فَمنا من يصلح خِباءه، ومن من ينتضل، ومنا من هو في جشره، إذ نادى منادى رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شرَّ ما يعلمه لهم. وإنَّ أمّتكم هذه جُعل عافيتها في أولها. وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرفّق بعضها بعضاً. وتجيء الفتنة، فيقول المؤمن: هذه مهلكتي، ثم تنكشف. وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحبَّ أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيّته، وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى النّاس الذي يحبُّ أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه، فليطعه إن استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر» وفي صحيح مسلم أيضاً من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا، أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وأثرةٍ علينا، وألّا ننازع الأمر أهله؛ إلّا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان» قلت: فأيُّ منازعةٍ أعظم من أن تبايع أميراً آخر غير الأمير العام، وكيف يكون موقفك إذا ورد عليك أمر الأمير الأول يأمرك بشيءٍ، وورد عليك أمر الأمير الآخر ينهاك عن ذلك الشيء فمن تطيع منهما هل تطيع الأول وتترك طاعة الثاني؛ أو تطيع الثاني وتترك طاعة الأول؟ فإن أطعت الأول، وتركت طاعة الثاني فقد رشدت إلّا أنّه يجب أن تعلم؛ أنّك بطاعتك للأول وترك الثاني، قد اعترفت؛ أن بيعة الثاني باطلة لا أساس لها من الصحة وأنّ فعلها ضربٌ من العبث وإن أطعت الثاني، وتركت الأول الذي قد بايعته أوّلًا وأعطيته صفقة يدك وثمرة فؤادك =

....

= فإنَّك حينئذٍ قد أغضبت ربك وتسببت في إيقاع الفتنة في مجتمعك، فإن سفكت الدماء، فأنت المتسبب فيها، وعليك منها أوزاراً لا يعلمها إلا الله فانظر لنفسك، وتب إلى الله ما دامت التوبة مواتية، فإن قلت: أنا ليس في عنقي بيعة، قلنا: إن بيعة عريفك، وشيخ قبيلتك بيعة عنك، وعن جميع القبيلة، فأنت في عنقك بيعة شئت أم أبيت، وقد قال النبي ﷺ: «ليرفع إلى عرفائكم» وجعل بيعة النقباء بيعة عمن تحت أيديهم وإن قلت: أن بيعة الأول باطلة قلنا: ما هو السبب الذي أبطلها؟ فإن قلت: أبطلها إقرارهم للبنوك الرّبوية قلنا لك: وهل تعتقد أن فعل الربا موجب لكفر فاعله؟ فإن قلت: نعم، قلنا لك: هذا مذهب الخوارج، الذين يكفرون المسلمين بالكبائر، ويعتقدون تخليدهم في النار، لذلك فهم لا يحكمون بالإسلام إلا لمن هو على مذهبهم وعقيدتهم، أما أهل السنة والجماعة، فإنهم لا يكفرون أحداً بذنب وإن كان كبيرة، وإن تكرر منه هذا الذنب عدة مرات فإن قلت: ما هو الدليل على ذلك؟ قلنا لك: ما جاء في الحديث الصحيح ان رجلًا كان كثيراً ما يؤتى به في الخمر فأُتي به مرَّةً، فقال رجلٌ: لعنه الله؛ ما أكثر ما يؤتى به في الخمر، فقال النبي ﷺ: «لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم» فسمَّاه أخاً في الإسلام مع أنَّه يكثر من شرب الخمر؛ التي هي أمُّ الخبائث ولم يخرجه تكرار الشرب من الإسلام؛ بل أنكر النبي ﷺ على من لعنه، والله تعالى يقول: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: من الآية ٩، ١٠] فقد أثبت الله عزَّ وجل للمقتتلين مطلق الإيمان مع أنَّ النبي ﷺ يقول: «إذا التقى المسلمين بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»، مع أنه ﷺ يقول: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» والمراد بالكفر هنا، كفر النعمة، أي أنه كفر بنعمة الأخوة الإسلامية فهو من الكفر الأصغر، وقد تبين من هذا الحديث، أن فاعل الكبيرة لا يكفر بفعلها، ولو تكرر حتى يستحلها، فإن استحلها كفر ولو لم يفعلها قال الحافظ بن حجر في فتح الباري (ج ١ ص ٦٦ طبعة رئاسة البحوث): (وقد قام الإجماع على أن قليل الخمر وكثيره حرام وثبت قوله ﷺ: «كلّ مسكرٍ حرام» ومن استحلَّ ما هو حرام بالإجماع كفر) انتهى. لكن ما هو الاستحلال الذي يعتبر به العبد مستحلٌ لذلك المحرم؟ والجواب: الاستحلال هو من فعل القلب وهو أن يعتقد العبد بقلبه حلُّ المحرم المجمع عليه ولو لم ينطق بذلك، فمن اعتقد حل الزنا كفر، ولو لم يفعله ومن فعله وهو يعتقد أنه حرام، فهو مسلم فاسق، ومن اعتقد حل الربا كفر، ولو لم يفعله، ومن فعله، وهو يعتقد أنه حرام، فهو مسلم فاسق، ومن اعتقد حل الخمر كفر، ولو لم يشربه، ومن شربه، وهو يعتقد انه حرام، فهو مسلم فاسق، وعلى هذا فبأي شيء نعرف الاستحلال؟ الجواب: نعرفه بالنطق بأن يقول مثلًا بأن الخمر حلال؛ أو الربا حلال؛ =

....

= أو الزنا حلال؛ أو أن يكتب ذلك في كتاب نقطع بصحة نسبته إليه أمَّا بدون ذلك فلا، لأنَّ الاستحلال من عمل القلوب والقلوب لا يطَّلِع على ما فيها إلَّا الله وحده وقد بطلت بهذا التحقيق حجة من يكفِّر بفعل الكبيرة، ولو تكرر ويبطل به بيعة الإمام، مع أنَّ إذن النبي ﷺ في الخروج على الأئمة وجواز قتالهم كان معلَّقاً بالكفر البواح الذي معنا من الله فيه برهان، وقيد الطاعة بإقامة الصلاة «أطيعوهم ما أقاموا فيكم الصلاة» والطاعة مقيدة بالمعروف لقوله: «لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق» وشرطٌ فيها آخر وهو فيما نستطيع للحديث: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، فلقننا: فيما استطعت، فقلنا: لله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا» فما هو المبرر لاتخاذ أمير في الحضر، غير أمير العامَّة، ومبايعة والٍ آخر مخفي غير الوالي المعروف الظاهر للناس؟!! لاشيء غير الهوى عند أصحاب المناهج الحديثة الذين اتخذوا منهجاً غير المنهج النبوي فعوقبوا بإعراضهم عن سنَّة المصطفى ﷺ أي عوقبوا بتقليب القلوب، واستحسان الباطل فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فإن قلت: لم نبايع على إمامة وإنَّما بايعنا على العمل للإسلام، وهي الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله؛ قلنا: العمل للإسلام قد أوجبه الله عليك بما أخذه عليك من عهدٍ في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، ثمَّ أنت إن فعلت الدعوة إلى الله فعلتها امتثالًا لأمر الله عزَّ وجل وأمر نبيه ﷺ كنت مخلصاً مثاباً وإن فعلتها امتثالًا لأمر من بايعته فإنِّي أخاف عليك في هذه الحالة أن تكون مرائياً تقصد إرضاء من بايعته فلا يكون لك أجر وستندم حين لا ينفع الندم.

الثالث: أنَّ الأمر من الشارع الحكيم ﷺ بالتأمير خاصٌ بالسفر ومقصورٌ عليه ومحصورٌ فيه يدل على ذلك قوله ﷺ: «إذا خرج ثلاثةٌ في سفر فليؤمِّروا أحدهم» فقوله: «إذا خرج» إذا شرطية غير جازمة وخرج فعل الشرط وفعل فليؤمِّروا جواب الشرط وجزائه، والتقييد بثلاثة متمِّمٌ لفعل الشرط إذ هو فاعله يعني إنَّ الثلاثة فأكثر أمِرُوا أن يؤمِّروا عليهم واحداً إذا كانوا في سفر أمَّا إذا كانوا في حضر فلا وقال في حديث ابن عمر رضي الله عنه: «لايحلُّ لثلاثةٍ يكونون بأرضٍ فلاة إلَّا أمَّروا عليهم أحدهم» أخرجه أحمد ج٢/١٧٦/١٧٧ قال الألباني في الصحيحة ج٣ ـ ص٣١٤ قلت: ورجاله ثقاتٌ غير ابن لهيعة فإنَّه سيىء الحفظ، قلت: لكن يعتضد بما قبله ومن هذا يتبيَّن أنَّ الإذن من الشارع ﷺ في الإمارة الخاصَّة خاصٌ بالسفر دون غيره ومن زعم أنَّ الإذن بالإمارة الخاصَّة في السفر دالٌ على جواز فعلها في الحضر فهو جاهلٌ لا يعرف من شرع الله شيئاً ومن حقه أن يستر نفسه وألَّا يظهر جهله لغيره، وبالله التوفيق.

الإمارة في الحضر؟ تطلب من بعض الإخوة فهي موجودة عندهم، فإن قال هذا الشخص: أنا لم أبايع أحداً، قيل له: إن بيعة عريفك بيعة لك لأنَّ النبي ﷺ قال: «ليرفع إليَّ عرفائكم»(١). قوله: (ومن وليَ الخلافة بإجماع الناس عليه ورضاهم به فهو أمير المؤمنين لا يحلُّ لأحدٍ أن يبيت ليلةً، ولا يرى أن ليس عليه إمام برّاً كان أو فاجراً) تقدم الكلام على هذا والاستدلال عليه، ومن ذلك حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»(٢) ولقوله ﷺ: «السمع والطاعة حقٌّ ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»(٣) إذاً فالسمع والطاعة واجبة للسلطان سواء كان براً أو فاجراً يعني ولو كانت عنده معاصي فإنه لا يجوز الخروج عليه لقول النبي ﷺ: «إلا أن تروا كفراً بواحاً معكم من الله فيه برهان»(٤) وفي الحديث الآخر: «ألا من ولّيَ عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله ليكره ما يأتي ولا يَنزعنَّ يداً من طاعة»(٥). وقوله: (والحجُّ والغزو مع الإمام ماضٍ، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة).

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الوكالة برقم ٢٣٠٨، وفي كتاب العتق برقم ٢٥٤٠، وفي كتاب الهبة برقم ٢٦٠٨ وفي كتاب فرض الخمس برقم ٣١٣٢، وفي كتاب المغازي برقم ٤٣١٩ بترقيم الفتح عن مروان والمسور بن مخرمة ﵄.
العرفاء: جمع عريف وهو شيخ القبيلة المسئول المباشر عنهم، وشيخ الشمل أعلى منه (شيخنا أحمد النجمي).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب السمع والطاعة للإمام، وفي كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم يأمر بمعصية، وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن، وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة، ومفارقة الجماعة من حديث عبدالله بن عمر ﵄.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم من حديث عوف بن مالك الأشجعي ﵁.

والخلافة في قريش إلى أن ينزِل عيسى ابن مريم عليه السلام ومن خرج على إمامٍ من أئمة المسلمين فهو خارجي قد شقَّ عصا المسلمين وخالف الآثار فميتته ميتةً جاهلية [١].

يعني أنَّه يجب أن يقتدى بالإمام في الحجِّ، والغزو، فيحجُّ تحت إمارته ويغزو معه، ويصلِّي ورائه الجمعة ولا يجوز له أن يمتنع من الصلاة بعده أي وراءه، بل يجب عليه المتابعة لهم، والسمع والطاعة لهم، والاقتداء بهم في الجمعة والعيدين.

وقوله: ويصلِّي بعدها ستَّ ركعات، يفصل بين كلِّ ركعتين هكذا قال أحمد بن حنبل قلت: الصلاة بعد الجمعة ثبت بها النص أنَّه إن صلَّى في المسجد صلَّى أربعاً، وإن صلَّى في البيت صلَّى ركعتين، والست رواية عن الإمام أحمد، وقال بها من الصحابة علي بن أبي طالب، وأبو موسى رضي الله عنهما ومن التابعين عطاء، ومجاهد، وحميد بن عبدالرحمن وقال بها الثوري والأول أثبت(١) دليلاً، وبالله التوفيق.

[١] والخلافة في قريش إلى أن ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام، قد ورد بهذا حديث عند أحمد: «والخلافة في قريش»(٢) ولكن هذا يحمل

---

(١) دل على سنية ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ يصلي يوم الجمعة ركعتين في بيته) رواه الجماعة وحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من كان مصلياً بعد الجمعة فليصل أربعاً» رواه مسلم وأبو داود، والترمذي. قال الشيخ سيد سابق في ج١/٢٣٥ من كتابه فقه السنة: (قال ابن القيم: وكان ﷺ إذا صلَّى الجمعة دخل منزله فصلَّى ركعتين، وأمر من صلاها أن يصلي بعدها ركعتين وقال شيخنا ابن تيمية: إن صَلى في المسجد صلَّى أربعاً، وإن صلَّى في بيته صلَّى ركعتين.) اهـ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسند الشاميين برقم ١٦٢٠١ عن عتبة بن عبد أن النبي ﷺ قال:

«الخلافة في قريش والحكم في الأنصار، والدعوة في الحبشة، والهجرة في المسلمين، والمهاجرين بعد» وهذا الحديث قد صححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع =

ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه وإن جار وذلك لقول رسول الله ﷺ لأبي ذرٍّ الغفاري: «اسمع وأطع، وإن كان عبداً حبشياً»(١) وقوله ﷺ للأنصار: «اصبروا حتَّى تلقوني على الحوض»(٢) وليس في السنَّة قتال السلطان، فإن فيه فساد الدنيا والدين [١].

على ما إذا كانت الخلافة باختيار، أمَّا إذا كان هناك رجلٌ قاتل الناس بمن معه واستولى عليهم وخضع الناس له بعد أن تغلَّب عليهم، فإنَّه تجب طاعته سواءً كان قرشياً أو غير قرشي، وسواءً كان برًّا أو فاجراً وهذه عقيدة أهل السنَّة والجماعة حيث يرون وجوب ذلك، وأنَّه لا يجوز لأحد الخروج عليه بعد أن استتب له الأمر والأمن حتى ولو كان فاجراً أو فاسقاً، والأدلة على ذلك قد تقدمت ففي حديث أبي سعيد الخدري(٣)، وحديث عرفجة: «من أتاكم وأمركم جميعٌ يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه كائناً من كان»(٤) فيجب اعتقاد هذا، والعمل به، وبالله التوفيق.

[١] *أقول:* عقيدة أهل السنَّة والجماعة أن قتال السلطان لا يحل، وكذلك الخروج عليه لا يجوز لنهي النبي ﷺ وتحذيره من الخروج عليه، وتحريم المنازعة له كما في حديث عبادة بن الصامت: «وألاَّ ننازع

= برقم ٣٣٤٢ في ج١/٦٣٠ وأشار رحمه الله بأنَّه ورد أيضاً عند الإمام الطبراني في الكبير وقال انظر الصحيحة رقم ١٨٥١: ابن أبي عاصم، ابن عساكر.

(١) الحديث أخرج نحوه مسلمٌ في (الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ١٨٣٧) وأحمد (٣/١٧١) وابن ماجة في (الجهاد باب طاعة الإمام ٢٨٦٢) نقلًا عن المحقق الشيخ أبو ياسر خالد الردادي.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في مناقب الأنصار باب قول النبي ﷺ للأنصار: «اصبروا حتى تلقوني على الحوض» (٧/١١٧ مع الفتح) ومسلمٌ في (الإمارة باب الصبر عند ظلم الولاة ١٨٤٥) وأحمد (٣/٥٧ - ١٧١) من حديث أسيد بن الحضير نقلًا عن المحقق الشيخ أبو ياسر خالد الردادي.

(٣)(٤) الحديث سبق تخريجه.

ويحلُّ قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين في أنفسهم، وأموالهم، وليس له إذا فارقوه أن يطلبهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا يأخذ فَيئَهم، ولا يقتل أسيرهم ولا يتبع مدبرهم [١].

الأمر أهله»(١) فالمنازعة لولاة الأمر غير جائزة، وكذلك الإثارة عليهم وتحريض العامَّة على الخروج عليهم كلُّ هذا لا يجوز، ومن ذلك الإنكار عليهم على المنابر فهذا ممَّا يوغر صدور الولاة، ويوقع الوحشة بين الولاة والعامَّة ويجعلهم في حالة لا يثق بعضهم ببعض، وقد قال النبي ﷺ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم قالوا: قلنا يا رسول الله: أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله ولا يَنَزعن يداً من طاعة»(٢) والأدلة موجودة على هذا الباب من العلم والكتب فيه كثيرة وكلام السلف فيه كثير وبالله التوفيق

[١] قوله: (ويحلُّ قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين في أنفسهم وأموالهم)فيه أحاديثُ واردةٌ في هذا، وقد ألمحت إلى بعضها، وهو أنَّ النبي ﷺ قال عن الخوارج: «لئن أدركتهم لأقتلنَّهم قتل عاد» وفي رواية: «قتل ثمود» وقال أيضاً: «فمن أدركهم فليقتلهم فإنَّ في قتلهم أجراً عند الله تعالى» وقال: «هم شرُّ قتلى على وجه الأرض»(٣) إلى غير ذلك.

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تقدم تخريج الأحاديث الواردة عن الخوارج، وأمَّا الآثار الواردة عن الخوارج فراجع تاريخ الطبري في حوادث سنة ٣٧ ج٣/١٠٩ - ١٢٥ (طبعة دار البار) =

واعلم أنَّه لا طاعة لبشرٍ في معصية الله عزَّ وجل [١].

ومن هم الخوارج؟ لا بدَّ أن نعلم عقيدتهم فنقول: الخوارج هم قومٌ اعتقدوا كفرَ الصحابة وكفَّروا سائر المسلمين بالكبائر، وحكموا عليهم بالخلود في النَّار ولم يروا لسلطانٍ مسلمٌ عليهم بيعةً ولا طاعة، لأنَّهم لا يرون لأحد من المسلمين إسلاماً صحيحاً إلاَّ إذا كان منهم فلكونهم يكفِّرون السلطان؛ لذلك يبيحون الخروج عليه.

قوله: (وليس له إذا فارقوه أن يطلبهم، ولا يجهز على جريحهم ولا يأخذ فَيْئَهم ولا يقتل أسيرهم، ولا يتبع مدبرهم).

أقول: هذا من المؤلف بناءً على عدم تكفيرهم، وهو مأثورٌ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ حيث قال:

(من الكفر فرُّوا) وأمر يوم النهروان بأن ينادي مناديه لا يُذفَّف على جريح، ولا يتبع مدبر، ولا يقتل أسير ولا يؤخذ فَيْئُهم، وأمر أن يُبلِّغ قراباتهم، فيأتوا ويأخذوا ما عرفوه لهم من الأواني والمتاع، أمَّا القول بكفرهم، فذلك قولٌ لبعض أهل العلم، لأنه يعتبر منهم ارتداداً وكفراً بناءً على قوله ﷺ: «يمرقون من الدِّين مروق السَّهم من الرمية» ولاشكَّ أنَّ القول الأول أسلم وبالله التوفيق.

[١] (واعلم أنَّه لا طاعة لبشرٍ في معصية الله عزَّ وجل) الدليل على ذلك

= والبداية والنهاية لابن كثير في نفس السنة ٢٥٨/٧ - ٢٩٤ وقد أورد ابن كثير رحمه الله خلالها ما ورد عن الخوارج من أحاديث من ٢٧٥ - ٢٩٠ (طبعة دار الحديث) أفاد بهذا أخانا الشيخ أحمد بن عبدالله الحكمي حفظه الله في كتاب شيخنا الجليل أحمد بن يحيى النَّجمي الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية، وهو كتابٌ قيم بيَّن فيه شيخنا حال بعض الجماعات والأحزاب التي انتهجت منهج الخوارج في عقيدتها وفكرها، والله نسأل أن يعصمنا وإياكم من الوقوع في حبائلها وأن يجنبنا وإياكم البدع ما ظهر منها وما بطن، وأن يحيينا وإياكم وسائر المسلمين على العمل بما في الكتاب والسنة غير مغيرين ولا مبدلين، وبالله التوفيق

قول النبي ﷺ: «لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق»[١] وقوله: «إنَّما الطاعة في المعروف»[٢]، وقوله ﷺ: «السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحبَّ وكره، ما لم يأمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[٣] متفقٌ عليه. فهذه الأدلة تدل على أنَّ طاعة السلطان مقيدةٌ بقيدين: القيد الأول: أن تكون في المعروف، فلا طاعة في المعصية. القيد الثاني: أن يكون فيما يستطيع العبد، وقد كان النبي ﷺ يقول لمن بايعه: «فيما استطعت»[٤] حتَّى أنَّ امرأةً من النساء المبايعات قالت: «الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا» وذلك بعد أن بايعنه على السمع والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، فقال لهنَّ: «فيما استطعتنَّ»[٥] وبالله التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند العشرة المبشرين بالجنة برقم ٣٨٧٩ وفي مسند البصريين برقم ٢٠٢٣٠ وبرقم ٢٠١٣٣ عن الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ﷺ والحديث قد صححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة برقم ١٧٩ وفي المشكاة برقم ٣٦٩٦ انظر صحيح الجامع الصغير وزياداته ج ٢/١٢٥٠ طبعة المكتب الإسلامي.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المغازي باب سرية عبدالله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مجزز المدلجي ويقال إنها سرية الأنصار، وفي كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، وفي كتاب أخبار الآحاد باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، وأخرجه مسلمٌ في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية من حديث علي بن أبي طالب ﷺ.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجهاد والسير باب السمع والطاعة للإمام، وفي كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية وأخرجه الإمام مسلمٌ في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٤) كما في الحديث الذي ورد في صحيح مسلم رحمه الله في كتاب الإمارة باب البيعة على السمع والطاعة فيما استطاع من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كنا نبايع رسول الله ﷺ على السمع والطاعة يقول لنا فيما استطعت» وفي روايةٍ عند البخاري في كتاب الأحكام باب كيف يبايع الإمام الناس «فيما استطعتم»

(٥) الحديث في ذلك ورد في مواضع من كتب السنة فقد أخرجه الإمام النسائي في كتاب البيعة باب بيعة النساء عن الصحابية الجليلة أميمة بنت رُقيقة رضي الله عنها وذكر =

ومن كان من أهل الإسلام فلا تشهد له بعمل خيرٍ ولا شر فإنَّك لا تدري بما يختم الله له عند الموت ترجو له الرحمة وتخاف عليه ذنوبه(١) وما من ذنب إلاً وللعبد منه توبة [١].

---

[١] *أقول:* قَولُه: (ومن كان من أهل الإسلام فلا تشهد له بعمل خيرٍ ولا

= أنَّ الحديث صحيح كما أشار إلى ذلك في صحيح سنن النسائي ج٣/١٢٧ وأشار إلى صحته أيضاً عند ابن ماجة برقم ٢٨٧٤، وأيضاً في كتاب الجهاد باب بيعة النساء، وأخرج الرواية الإمام الترمذي في كتاب السير باب ما جاء في بيعة النساء، وأخرجه الإمام احمد في باقي مسند الأنصار برقم ٢٦٤٦٦ و٢٦٤٦٧ و ٢٦٤٦٨ و٢٦٤٦٩ و ٢٦٥٢٢ بترقيم إحياء التراث، وأخرجه الإمام مالك في كتاب الجامع باب جاء في البيعة.

(١) وفي نسخة مكتبة الآثار التي حققها الشيخ الردادي: (وتخاف عليه ذنوبه، ولا تدري ما يسبق له عند الموت إلى الله من الندم وما أحدث الله في ذلك الوقت إذا مات على الإسلام) يقصد بذلك والله أعلم ما يبشر الله به المؤمن بواسطة ملائكته عند الاحتضار من النعيم الأبدي في قبره، ويوم حشره، ونشر صحائف أعماله وما يخوف به الكافر والمنافق كذلك من العذاب السرمدي كما قال الله تعالى عن المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠] وكما قال الله تعالى عن الكفار والمنافقين: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنعام: من الآية٩٣] وكما في حديث البراء بن عازب الطويل ﷺ عند أحمد برقم ١٧٨٠٣ وكذا رواه غيره بسندٍ صحيح قال: «خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رءوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس» الخ الحديث وكم من آيةٍ وحديث بين الله فيهما عز وجل على لسان رسوله ﷺ ما يلقاه كل عبدٍ مسلمٌ أو كافر من الجزاء الموافق لمقتضى الحكمة الإلهية فليحذر كل مسلمٌ ومسلمة من أن تكون العاقبة سيئة، وأن تكون خاتمة الأعمال قبيحةٌ منكرة، فإنَّ الأعمال بالخواتيم، وما أصدق ما قاله شيخ شيوخنا الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله في ذلك حين قال:

والقبر روضةٌ من الجنان ... أو حفرةٌ من حفر النيران
إن يك خيراً فالذي من بعده ... أفضل عند ربنا لعبده
وإن يكن شرًا فما بعد أشد ... ويلٌ لعبدٍ عن سبيل الله صد

شر) هذه الفقرة كأنَّ المؤلف يقصد بها الشهادة له بالجنة أو بالنَّار.

أمَّا أن تشهد له بأنَّه مسلمٌ، مصلٍّ، وعابد، وموحِّد، فهذا لا مانع منه بحسب حاله في تلك الحالة الرَّاهنة. وكذلك الشهادة عليه بأنَّه فاسقٌ شرِّير زنديق أو ما أشبه ذلك. ممَّا يثبته عمله، فهذا أيضاً لا بأس به.

أمَّا أن تشهد له بأنَّه من أهل الجنة أو من أهل النَّار، فهذا هو الممنوع والدليل على ذلك حديث سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أعطى رهطاً، وسعد جالس، فترك رسول الله ﷺ رجلًا هو أعجبهم إلي فقلت يا رسول الله: ما لك عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمناً؟ فقال: أو مسلماً، فسكت قليلًا، ثم غلبني ما أعلم منه، فعدت لمقالتي فقلت: ما لك عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمناً؟ فقال: أو مسلماً، ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي، وعاد رسول الله ﷺ ثم قال يا سعد: إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه خشية أن يكبه الله في النار»(١) وفي روايةٍ حدثنا عمرو بن تغلب: «أن رسول الله ﷺ أتي بمال أو سبي فقسمه، فأعطى رجالًا وترك رجالًا فبلغه أن الذين ترك عتبوا، فحمد الله، ثم أثنى عليه، ثم قال: أما بعد فوالله إني لأعطي الرجل، وأدع الرجل، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي ولكن أعطي أقواماً لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع وأكِلُ أقواماً إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير فيهم عمرو بن تغلب، فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم»(٢) رواه

---

(١) الحديث أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الإيمان باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ فإذا كان على الحقيقة فهو على قوله جل ذكره ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ وفي كتاب الزكاة باب قول الله تعالى ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ وكم الغنى، وقول النبي ﷺ ولا يجد غنى يغنيه لقول الله تعالى ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان كذلك باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع.

(٢) هذه الرواية أخرجها الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الجمعة باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد.

البخاري. المهم أن النبي ﷺ قد أثنى على قوم بإيمانهم، ومن ذلك أيضاً حديث حذيفة ﷺ قال: «جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله: ابعث إلينا رجلًا أميناً، فقال: لأبعثنَّ إليكم رجلا أميناً حق أمين حق أمين؛ قال: فاستشرف لها الناس، قال: فبعث أبا عبيدة بن الجراح»(١) رواه البخاري ومسلم، وفي رواية للبخاري عن أنس عن النبي ﷺ قال: «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»(٢).

وقوله ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلًا يفتح على يديه يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، فبات الناس ليلتهم أيهم يعطى فغدوا كلهم يرجوه، فقال: أين علي؟ فقيل: يشتكي عينيه، فبصق في عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه، فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلًا خير لك من أن يكون لك حمر النعم»(٣) رواه البخاري ومسلم.

قَولُه: (فإنَّك لا تدري بما يختم الله له عند الموت) هذا هو الدليل أنّه يقصد الشهادة له بالجنة أو بالنَّار، فهذا أمرٌ لا يجوز، وقد قال النبي ﷺ لأم العلاء التي قالت عن عثمان بن مظعون: «رحمة الله عليك أبا السائب

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح ﷺ. وأخرجه البخاري في كتاب المناقب باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح ﷺ وفي كتاب المغازي باب قصة أهل نجران.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب قصة أهل نجران وفي كتاب أخبار الآحاد باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجهاد والسير واللفظ له في باب ما قيل في لواء النبي ﷺ وأخرجه في باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام والنبوة وفي باب فضل من أسلم على يديه رجل، وفي كتاب المناقب باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن ﷺ وقال النبي ﷺ لعلي: «أنت مني وأنا منك» وقال عمر: توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض، وفي كتاب المغازي باب غزوة خيبر. وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد والسير أيضاً باب غزوة ذي قرد وغيرها، وفي كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ.

شهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: وما يدريك أن الله أكرمه؟ قالت: قلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله فمن؟ قال: أما هو فقد جاءه والله اليقين، والله إني لأرجو له الخير، وما أدري والله وأنا رسول الله ما يفعل بي، قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده»[1] ولكن يجوز أن تقول عن المسلم: أرجو له رحمة الله، وأخاف عليه ذنوبه.

قوله: (وما من ذنبٍ إلاً وللعبد منه توبة) التوبة مقبولة من كلِّ ذنب في الحكم الأخروي وقد قال النبي ﷺ لعمرو بن العاص ﷺ: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأنَّ الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأنَّ الحج يهدم ما كان قبله»[2] وقوله للذي قتل تسعةً وتسعين نفساً: «ومن يحول بينه وبين التوبة»[3] الحديث.

والأحاديث في هذا الباب واضحةً، والخلاف إنَّما هو فيمن سبَّ الرسول ﷺ أو القرآن هل تقبل له توبةٌ في الدنيا أو يحكم عليه بالقتل، ولو

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المناقب باب مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة عن خارجة بن زيد بن ثابت ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج.

(٣) وهذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ بلفظ: «أن نبي الله ﷺ قال: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعةً وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإنَّ بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلًا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة؛ قال قتادة، فقال الحسن: ذُكر لنا أنه لما أتاه الموت نأى بصدره».

والرجم حقٌّ، والمسح على الخفين سنَّة، وتقصير الصلاة في السفر سنَّة، والصوم في السفر من شاء صام، ومن شاء أفطر، ولا بأس بالصلاة في السراويل [١].

أعلن التوبة كما أوضح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ؟ وبالله التوفيق.

[١] في هذا المقطع عدَّة جمل: **الجملة الأولى**: قوله: (والرجم حق) رجم الزانِيَين المحصنَين حقٌّ فرضه الله سبحانه وتعالى ونزلت في ذلك آية: **﴿الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتَّة نكالاً من الله والله عليم حكيم﴾**(١) ثمَّ أنَّ هذه الآية نسخت تلاوةً، وبقيت حكماً، وقد رجم النبي ﷺ ماعزاً(٢) وامرأة صاحب العسيف(٣)، والجهنية(٤)، ورجم

(١) الحديث الذي ورد فيه هذه الآية المنسوخة ورد في سنن ابن ماجة في كتاب الحدود باب الرجم من حديث ابن عباس وورد كذلك في موطأ الإمام مالكٌ رحمه الله في كتاب الحدود باب ما جاء في الرجم وفي مسند الإمام أحمد رحمه الله في مسند الأنصار برقم الحديث ٢٠٢٦ و٢٠٦١٣، وفي سنن الدارمي في كتاب الحدود باب في حد المحصنين بالزنا من حديث زيد بن ثابت ﷺ وأشار إلى صحة الحديث الإمام الألباني رحمه الله في الإرواء ج٨/٤ برقم الحديث ٢٣٣٨ وقال: (صحيح انظر البخاري ومسلم الخ) فالبخاري رحمه الله أورده في كتاب الحدود باب رجم الحبلى من الزنا ومسلمٌ رحمه الله أورده في كتاب الحدود أيضاً باب رجم الثيب في الزنى من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما.

(٢) انظر صحيح البخاري في كتاب الأحكام باب من حكم في المسجد حتى إذا أتى على حد أمر أن يخرج من المسجد فيقام، وقال عمر: أخرجاه من المسجد ويذكر عن علي نحوه وفي كتاب الحدود باب هل يقول الإمام للمقر لعلك لمست أو غمزت ومسلم أخرجه في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنى.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الشروط باب الشروط التي لا تحل في الحدود، وفي كتاب الحدود باب الاعتراف بالزنا، ومسلمٌ في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنى.

(٤) أخرجه مسلمٌ في كتاب الحدود باب من اعترف على نفسه بالزنى.

يهوديين زنيا[١] وتوفي النبي ﷺ وهذا الحكم باقٍ معمولٌ به، ورجم الخلفاء بعده، وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه خطب يوماً وقال: (لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل: ما أجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا بترك فريضة من فرائض الله ألا وإن الرجم حق إذا أحصن الرجل، وقامت البينة أو كان حمل أو اعتراف، وقد قرأتها: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة، رجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده»[٢].

وعلى ذلك الإجماع المتصل بين أهل العلم على مشروعية الرجم للزاني المحصن والزانية المحصنة.

الجملة الثانية: قوله: (والمسح على الخفين سنَّة) المسح على الخفين من السنن[٣]، وقد أدخل المسح على الخفين في العقائد، لأنَّ بعض المبتدعين أنكره، وهم الخوارج، والشيعة بحجة أنه لم يرد في القرآن، وهو ثابتٌ عن النبي ﷺ من رواية جماعةٍ من الصحابة، وصار إنكاره علماً على أهل البدع، وأهل السنَّة والجماعة يثبتونه لوجود الأدلة به.

الجملة الثالثة: قوله: (تقصير الصلاة في السفر سنَّة) أي القصر في الصلاة بأن تصير الرباعية اثنتين، وهذا الحكم مجمعٌ عليه، ومصرَّحٌ به في

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن باب ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ وفي كتاب الحدود باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام، وأخرجه مسلمٌ رحمهما الله في كتاب الحدود باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى.

(٢) الحديث سبق تخريجه بغير هذا اللفظ وهذا اللفظ الوارد هنا هو في سنن ابن ماجة رحمة الله تعالى عليه في كتاب الحدود باب الرجم، وقد صححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح ابن ماجة وأشار إلى تصحيحه في الإرواء برقم ٢٣٣٨.

(٣) قال النووي: (أجمع من يعتد به في الإجماع على جواز المسح على الخفين في السفر والحضر سواءً كان لحاجةٍ أو غيرها وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: وقد صرَّح جمعٌ من الحفّاظ بأنَّ المسح متواتر وجمع بعضهم رواته فجاوزوا الثمانين منهم العشرة) انتهى من فقه السنة ج١/٤٦ المسح على الخفين.

القرآن في الآية التي في سورة النساء، وهي قوله تعال: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾﴾ [النساء:١٠١]، وقد سأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن القصر إذ قد أذهب الله الخوف، فقال النبي ﷺ: «صدقة تصدَّق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»(١).

الجملة الرابعة: قَولُه (والصوم في السفر من شاء صام، ومن شاء أفطر(٢)). ***وأقول:*** في مذهب الجماهير من أهل السنَّة والجماعة أنَّ الفطر في السفر رخصةٌ من الله، فمن شاء أخذ بهذه الرخصة، ومن شاء صام إذا وجد من نفسه القدرة على ذلك لأنَّ النبي ﷺ قد صام وبعض أصحابه في السفر وأفطر بعضهم، وإنَّما الخلاف في الأفضل من الصوم أو الفطر ولا شكَّ أنَّ الفطر أفضل، والصوم جائز لمن قَدِر عليه ويجب على المجاهدين الفطر قبل لقاء العدو ليكون أقوى لهم.

الجملة الخامسة: قوله: (ولا بأس بالصلاة في السراويل(٣)).

أقول: أمَّا السراويل التي تجوز فيها الصلاة فهي السراويل التي تكون ساترةً للعورة المرتخية (الواسعة) على الجسم بحيث يتمكن لابسها من أداء الصلاة على الوجه الأكمل. أمَّا إذا كانت ضيِّقة مظهرةً لحجم الإليتين فإنَّ الصلاة فيها تكون مكروهة وقد تبطل الصلاة إذا كان لابس السراويل لا يتمكن من أداء الأركان كأن يكون لا يستطيع أن يجلس للتشهد وبين السجدتين، وبالله التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في أول كتاب صلاة المسافرين وقصرها.

(٢) دلَّ على هذه المسألة أحاديث كثيرة منها ما رواه الإمام أحمد وغيره عن أم هانئ رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: «دخل عليها فدعا بشراب فشرب، ثم ناولها فشربت، فقالت يا رسول الله: أما إني كنت صائمة، فقال رسول الله ﷺ: الصائم المتطوع أمير نفسه إن شاء صام، وإن شاء أفطر».

(٣) أشار الشيخ الردادي حفظه الله إلى مسألة جواز الصلاة في السراويل في كتاب المغني لابن قدامة (١/٥٨٢ - ٥٨٣).

والنفاق أن يظهر الإسلام باللسان، ويخفي الكفر بالضمير [١].

واعلم بأنَّ الدنيا دار إيمانٍ وإسلام، وأمّة محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون في أحكامهم ومواريثهم، وذبائحهم، والصلاة عليهم، ولا نشهد لأحدٍ بحقيقة الإيمان حتَّى يأتي بجميع شرائع الإسلام، فإن قصَّر في شيء من ذلك كان ناقص الإيمان حتَّى يتوب واعلم أنَّ إيمانه إلى الله تعالى تام الإيمان أو ناقص الإيمان إلاَّ ما أظهر لك من تضييع شرائع الإسلام [٢].

---

[١] النفاق: مشتقٌ من النَّفَق، وهو الجحر الذي يكون في الأرض، وإنَّما سمِّي بذلك لأن صاحبه قد أظهر خلاف ما يبطن، وهذا ما يسمَّى بالنفاق الاعتقادي، أمَّا النفاق العملي: فهو لا يخرج من الإسلام بل يبقى صاحبه مسلماً وسمِّي نفاقاً عملياً لأن صاحبه أظهر خلاف ما يبطن.

أمَّا النفاق الاعتقادي: وهو نفاق المنافقين الذين كانوا على عهد النبي ﷺ فهو أن يظهر الإسلام، ويبطن الكفر، ويتحفَّظ ممَّا يدل على إظهار عقيدته لذلك فقد أخبر الله عزَّ وجل، بأنَّ المنافقين في الدَّرك الأسفل من النَّار وبالله التوفيق.

[٢] *أقول:* قوله: (بأنَّ الدنيا دار إيمانٍ وإسلام) هذا فيه نظر، فليست الدنيا كلها دار إيمانٍ وإسلام، ولكن دار الإيمان والإسلام هي الدار التي تكون السلطة فيها لأهل الإيمان والإسلام، بأن تظهر فيها الصلوات، ويحكَّم فيها الشرع الإسلامي، ولا يعلن فيها الكفر بالله والشرك به، فإن أعلن فيها الكفر والشرك، فهي ليست دار إسلام حتَّى وإن كانت في الأصل وباعتبار ما كان دار إسلام كبلاد الأندلس التي تسمى الآن أسبانيا.

قوله: (وأمّة محمد ﷺ فيها مؤمنون مسلمون في أحكامهم ومواريثهم وذبائحهم والصلاة عليهم الخ...) هذا صحيح بأن من أظهر الإسلام بأن

والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة: والمرجوم والزاني والزانية، والذي يقتل نفسه وغيره من أهل القبلة، والسكران، وغيرهم الصلاة عليهم سنَّة، ولا يخرج أحدٌ من أهل القبلة من الإسلام حتَّى يردَّ آيةً من كتاب الله عزَّ وجل أو يَرُدَّ شيئاً من آثار رسول الله ﷺ أو يُصلي لغير الله أو يذبح لغير الله، وإذا فعل شيئاً من ذلك فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام، فإذا لم يفعل شيئاً من ذلك فهو مؤمنٌ مسلمٌ بالاسم لا بالحقيقة [١].

نطق بالشهادتين عالماً بمعناها عاملاً بمقتضاها، وأقام الصلاة، وأدَّى الزكاة وصام رمضان، فهذا هو المسلم تجري عليه أحكام الإسلام، الأحكام التوارثية، وأحكام الذبائح، فيؤكل ذبحه، ويصلَّى عليه إذا مات لكن لا نشهد لأحد بحقيقة الإيمان حتَّى يأتي بشرائع الإسلام، وأصوله، وفروعه بقدر المستطاع. أمَّا إن قصَّر في شيءٍ من تلك الأحكام التي هي بمنزلة الأصول، وارتكب محرَّماً فنحن في هذه الحالة نحكم له بالإسلام الناقص عن درجة الإيمان الكاملة، فلا ننفي عنه مطلق الإيمان ولا نحكم له بكماله ومتَّى ضيَّع شيئاً من شرائع الإسلام التي تقتضي الحدود أو التعزير أقمنا عليه ذلك بحسب ما تقتضيه الحالة، وبالله التوفيق.

[١] (والصلاة على من مات من أهل القبلة سنة الخ) يعني حتَّى لو مات مصرّاً على الكبائر كالذي يموت بحدٍّ كالمرجوم، والزاني والزانية والذي يقتل نفسه وغيره من أهل القبلة، وكذلك السكران، لأن هؤلاء وإن كانوا قد أتوا شيئاً من الكبائر فإنَّه يصلَّى عليهم، ويدعى لهم والأفضل فيما أرى وفيما يتضح لي أنَّ من يُقتدى بهم يتركون الصلاة على من يقتل نفسه، وعلى من قد مات في السكر حتى يكون في ذلك شيءٌ من الزجر لغيره، ويصلِّي عليه سائر الناس(١).

---

(١) وقد كان النبي ﷺ يفعل مثل ذلك في أول الإسلام حيث كان يترك الصلاة على من مات وعليه دينٌ لينزجر بذلك غيره من المسلمين وليحذروا من التساهل بالديون لأنَّ حقوق الناس مبنية على المشاحة والمخاصمة فلمَّا وسع الله على النبي ﷺ =

قول المؤلف رحمه الله تعالى: (ولا يخرج أحدٌ من أهل القبلة من الإسلام حتَّى يرُدَّ آيةً من كتاب الله أو يردَّ شيئاً من آثار رسول الله ﷺ إلى آخر هذا المقطع) اهـ.

وأقول هذا هو مذهب أهل السنَّة والجماعة، أنَّهم لا يخرجون أحداً من أهل القبلة من الإسلام، أي لا يحكمون بخروجه من الإسلام وارتداده عنه إلاَّ إذا أتى بما يوجب ذلك مثل أن يردَّ آيةً من كتاب الله عزَّ وجل فيقول: أنا لا

= وفتحت البلدان وانتشر الإسلام وكثرت الغنائم وزكى بيت مال المسلمين فكان بعد ذلك ﷺ يصلي على من مات وعليه دين بل ويقضي ما عليه من الديون: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ دل على ما قلته حديث أبي هريرة ﷺ الوارد في الصحيحين: «أن رسول الله ﷺ كان يؤتى بالرجل الميت عليه الدين فيسأل؟ هل ترك لدينه من قضاء، فإن حدث أنه ترك وفاء صلى عليه، وإلا قال: صلوا على صاحبكم، فلما فتح الله عليه الفتوح قال: أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالاً فهو لورثته» وفي صحيح سنن أبي داود للألباني رحمه الله في ج٢/٢٩٥ من حديث أبي برزة الأسلمي ﷺ: «أن رسول الله ﷺ لم يصل على ماعز بن مالك، ولم ينه عن الصلاة عليه» وفي مسند أحمد وغيره من أصحاب السنن بسند صحيح عن أبي عمرة مولى زيد بن خالد الجهني أنه سمع زيد بن خالد الجهني ﷺ يحدث: (أن رجلا من المسلمين توفي بخيبر، وأنه ذكر لرسول الله ﷺ فقال: صلوا على صاحبكم قال: فتغيرت وجوه القوم لذلك، فلما رأى الذي بهم قال: إن صاحبكم غل في سبيل الله ففتشنا متاعه فوجدنا فيه خرزاً من خرز اليهود ما يساوي درهمين) كل هذه الأحاديث وغيرها تبين أنَّ على المسلم أن يتقي الله في نفسه فيحذر مما حذره الله منه ورسوله ﷺ من وجوب الابتعاد عن الذنوب صغيرها وكبيرها؛ لأنَّ الأعمال بالخواتيم نسأل أن يختم لنا ولكل مسلم بخير؛ وأنَّ من الآثار السيئة على من مات على معصية ولم يتب منها أنَّ أهل الفضلَ والصلاح ومن يقتدى بهم من الناس وعلى رأسهم ورثة الأنبياء وهم العلماء العاملين أنَّ الأفضل أن لا يصلوا على من كانت هذه حاله كما فعل النبي ﷺ في تلك الأحاديث السابقة وذلك ليحذر الناس من فعل المعاصي وخاصة المعاصي التي توجب الحدود. أمَّا إذا كانت هذه المعصية مكفرة كمن مات على الشرك أو مات على ترك الصلاة أو مات على غيرها من المعاصي التي تعتبر ناقضةً للإسلام قولية كانت أو فعلية فإنَّه لا تجوز الصلاة عليه لأنَّ صلاة الجنازة عبادة لم تشرع إلَّا على من مات مسلماً سالماً من أي أمرٍ يوجب الردة عن الإسلام قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة: ٨٤] والله أعلم.

أؤمن بهذه الآية ولا أصدِّق بما فيها أو يردُّ شيئاً من آثار الرسول ﷺ.

أمَّا قوله: (أو يردُّ شيئاً من آثار رسول الله ﷺ) فهذا فيه تفصيل فإن ردَّ شيئاً من الأحاديث الصحيحة الظنية متأوِّلاً فلا يحكم بكفره ولكن يحكم بأنَّه قد أتى جزماً عظيماً ومنكراً كبيراً ويحكم بكفر من ردَّ حديثاً متواتراً أو ردَّ حكماً مجمعاً عليه معلوماً من الشرع بالضرورة كقطع يد السارق مثلاً أو رجم الزاني المحصن أو ما أشبه ذلك من الأحكام المجمع عليها.

وأمَّا الدليل على أنَّ النبي ﷺ لم يصل على من قتل نفسه ففيما رواه الإمام مسلمٌ وغيره من حديث جابر بن سمرة قال: «أتي النبي ﷺ برجل قتل نفسه بمشاقص فلم يصلِّ عليه»[1] قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: (المشاقص جمع شقص وهو نصلٌ عريض أو طويل أو سهمٌ فيه ذلك). أمَّا من صلَّى لغير الله أو ذبح لغير الله أو تطوَّف بالقبور ودعا أصحابها فإنَّه إذا فعل شيئاً من ذلك يعتبر مشركاً شركاً أكبر، وقد خرج عن الإسلام بفعله هذا. ومعنى قوله (فقد وجب عليك أن تخرجه من الإسلام) يعني أن تحكم بردَّته.

قوله: (فإذا لم يفعل شيئاً من ذلك فهو مؤمنٌ مسلمٌ بالاسم لا بالحقيقة) *أقول:* إنَّ المسلم الذي لم يعمل شيئاً من موجبات الرِّدة فهو مسلمٌ حقيقةً ناقص الإسلام والإيمان، ويقال فاسقٌ بفسقه مسلمٌ بإسلامه.

والمهم أنَّ قول المؤلف: (مؤمنٌ مسلمٌ بالاسم لا بالحقيقة) يقصد بأنَّه غير كامل الإيمان والإسلام لكن نفي الحقيقة يقع على نفي الماهية، فلا ينبغي أن يقال ذلك، بل يقال كما سبق أن بيَّنَّا بأنَّه مسلمٌ ناقص الإسلام أو فاسقٌ. وهذه المسألة قد اختلف فيها في زمان السلف، فالجهمية ومن قال بقولهم والخوارج يخرجون المسلم من الإسلام بالكبيرة، ويحكمون بتخليده في النَّار، والمعتزلة يقولون بأنَّه في منزلةٍ بين منزلتين[2]، ويحكمون بتخليده

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الجنائز باب ترك الصلاة على القاتل نفسه.

(٢) أي لا مسلم ولا كافر فلا يثبت له مطلق الإسلام ولا ينفى عنه الكفر بالكلية نسأل الله العافية من هذا القول الخالي عن الحق والبرهان.

وكل ما سمعت من الآثار شيئاً ممَّا لم يبلغه عقلك نحو قول رسول الله ﷺ «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل»(١) وقوله «إن الله ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل»(٢) «وينزل يوم عرفة»(٣) «وَيَنزِلُ يوم

في النَّار، والمرجئة يحكمون بأنَّه مؤمنٌ كامل الإيمان لأنَّهم يقولون لا يضرُّ مع الإيمان ذنب وأهل السنَّة والجماعة فيقولون بأنَّه مسلم ناقص الإيمان أو فاسقٌ ولا يخرجونه من الإسلام في الدُّنيا، ولا يقولون بتخليده في النَّار يوم القيامة بل يقولون بأنَّه تحت المشيئة، فإن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنَّة بدون عذاب، وإن شاء عذَّبه في النَّار بقدر جنايته، وبعد أن يطهره يخرجه من النَّار، ويدخله الجنَّة. هذه عقيدة أهل السنَّة والجماعة، وبالله التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب القدر باب تصريف الله تعالى للقلوب من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ﷺ بلفظ: «إن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء» ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك».

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الجمعة باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل وقال الله عز وجل ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾ أي ما ينامون ﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وفي كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل وفي كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣﴾ حق ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ۝١٤﴾ باللعب، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل من حديث أبي هريرة بلفظ: «أن رسول الله ﷺ قال: ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له» رواه البخاري ومسلم واللفظ للبخاري.

(٣) قال الشيخ الردادي: (هذا الحديث أخرجه ابن منده في التوحيد (١/١٤٧) وأبو الفرج الثقفي في الفوائد (٢/٢٨ ١/١٩٢) كما في السلسلة الضعيفة (٦٧٩) والبغوي في شرح السنة (١٥٩/٧) من طريق مرزوق مولى طلحة عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً. وله طريق أخرى من حديث جابر أيضاً وإسناده ضعيف كما في السلسلة الضعيفة (١٢٥/٢ - ١٢٦) بيد أنَّه صح موقوفاً: أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية (١٣٧) وأبو عثمان الصابوني في عقيدة السلف (٧٦) والدارقطني في النزول (٩٥ - ٩٦) واللالكائي في شرح السنة (٧٦٨) عن أمِّ سلمة موقوفاً عليها ومثله لا يقال من قبيل الرأي فله حكم الرفع) اهـ.

القيامة»[١] «وأنَّ جهنَّم لا يزال يطرح فيها حتى يضع عليها قدمه جل ثناؤه»[٢] وقول الله تعالى للعبد: «إن مشيت إليّ هرولت إليك»[٣] وقوله[٤]: «خلق الله آدم على صورته»[٥] وقول رسول الله ﷺ: «رأيت ربي في أحسن

---

(١) ثمَّ قال: (ثبت في القرآن والسنة مجيء وإتيان الجبار تبارك وتعالى لفصل القضاء يوم القيامة وأمَّا النزول فقد وردت فيه بعض الآثار انظر الكلام عليها في الرد على الجهمية للدارمي (ص٧٢ - ٧٥) وتفسير ابن كثير (٣/٣١٥ - ٣١٦)) اهـ.

(٢) الحديث في ذلك أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب التفسير باب: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظ: قال: قال النبي ﷺ: «تحاجت الجنة والنار فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً»، والحديث أخرجه مسلم بألفاظ متعددة في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء.

(٣) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ من حديث أبي هريرة ﷺ بلفظ: قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملإ ذكرته في ملإ خير منهم وإن تقرب إلي بشبر تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة» وأخرجه أيضاً الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٤) وفي نسخة الردادي في هذا الموضع قال البربهاري رحمه الله: وقوله: «إنَّ الله تبارك وتعالى ينزل يوم عرفة» وأسقطت هذه الفقرة في نسخة القحطاني لأنَّها مكررةٌ في المتن والأولى عدم حذفها وبالله التوفيق.

(٥) وهذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الاستئذان باب بدء السلام من حديث بلفظ: قال النبي ﷺ: «خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك النفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك فقال: السلام عليكم فقالوا: السلام عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله فكل من يدخل الجنة على صورة آدم فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن» وأخرجه مسلم في كتاب البر والصلة باب النهي عن ضرب الوجه ولفظه في حديث ابن حاتم عن النبي ﷺ قال: «إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته».

صورة»(١) وأشباه هذه الأحاديث: فعليك بالتسليم والتصديق، والتفويض، والرضا، ولا تفسر شيئاً من هذه بهواك، فإن الإيمان بهذا واجبٌ فمن فسَّر شيئاً من هذا بهواه، وردَّه فهو جهميٌ، ومن زعم أنَّه يرى ربَّه في دار الدنيا، فهو كافرٌ بالله عزَّ وجل [١].

---

[١] قَولُه: وكل ما سمعت من الآثار شيئاً ممَّا لم يبلغه عقلك نحو قول رسول الله ﷺ «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل» الحديثُ أخرجه مسلم، وقوله ﷺ: «إنَّ الله ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل»(٢) وما أشبه ذلك من الأحاديث الواردة في ذكر صفات الله عزَّ وجل. فيجب أن نعلم أنَّ صفات الله عزَّ وجل ليست كصفات خلقه بل كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية١١] فما لم يبلغه عقلك، ولم يتصوره ذهنك، وجب عليك أن تؤمن به وتكل علمه وكيفيته إلى الله عزَّ وجل، وما علينا إلاَّ أن نؤمن كما آمن الصحابة رضوان الله عليهم، إيماناً لا يشوبه شكٌ ولا تخالجه ريبة بأنَّ ما جاء في هذه الأحاديث الصحيحة فهو حقٌّ، وما لم تتصوره عقولنا منه، فعلينا أنَّ نؤمن به كما يشاء ربنا سبحانه وتعالى وكما أراد، وأنَّ نؤمن بما جاء في كتاب الله، وما جاء في سنَّة رسول الله ﷺ من ذلك على مراد الله، وعلى مراد رسول الله ﷺ ونفوض الكيفية في ذلك إلى الله سبحانه وتعالى، مسلِّمين بما اقتضته، ومصدقين بذلك، ومفوضين فيما لم تبلغه عقولنا، راضين بما رضيه ربنا لنفسه وما رضيه له رسول الله ﷺ. ولا

---

(١) قال الشيخ القحطاني عند تخريجه لهذا الحديث: (انظر مسند أحمد ١/٢٨٥ و٢٩٠ وابن أبي عاصم في السنة ١/١٨٨.
وصححه الألباني وقال: هي رؤيا منامية كما يشعر به بعض ألفاظه وانظر السنة لعبدالله بن أحمد رقم ١١٧) اهـ.

(٢) هذان الحديثان سبق تخريجهما في الصفحة الماضية عند رقم ١ ورقم ٢ فمن شاء فليرجع إلى تخريجهما وبالله التوفيق

والفكرة في الله بدعة، لقول رسول الله ﷺ «تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الله فإنَّ الفكرة في الرب تقدح الشك في القلب» [١].

نفسر شيئاً من ذلك بأهوائنا لأنَّ من فسَّر شيئاً من ذلك بهواه فهو جهمي، وإن زعم أنَّه يُنَزِّه ربَّه، فيقال له: أنت تُنَزهه عمَّا أخبر به عن نفسه، وأخبر به رسوله ﷺ فهذا ليس بِتَنزِيه، ولكنَّه تعطيل.

وأمَّا قول المؤلف: (ومن زعم أنَّه يرى ربَّه في دار الدنيا، فهو كافرٌ بالله عزَّ وجل) أقول: هذا الزعم قد زعمه كثيرٌ من الصوفية الملاحدة الذين يقولون بأنَّهم يرون ربَّهم ويرون النبي ﷺ ويأخذون عنه، وعن الله عزَّ وجل مباشرة، ويعتقدون أنَّهم في مقامٍ أرفع من مقام الرسالة، ومن زعم هذا الزعم، فهو كافر لا شكَّ في كفره، وبالله التوفيق.

[١] قَولُه: والفكرة في الله بدعة، لقول رسول الله ﷺ: «تفكروا في الخلق، ولا تفكروا في الله» هذا الحديث يقول المعلق (القحطاني) أخرجه أبو الشيخ وهو حديثٌ ضعيف ذكر ذلك الألباني في ضعيف الجامع برقم ٢٤٧٠ ولكنَّه صححه في صحيح الجامع ج٤٩/٣ وذكر أنَّه حديثٌ حسن، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣٩٥/٤ وأقول هذا الحديث في تصحيحه نظر، وقد يكون أنَّه من كلام بعض السلف.

وأقول: إنَّ الفكرة في الله: أي في ذات الله عزَّ وجل لا تنبغي، لأنَّ العبد إذا فكَّر، فإنَّما يفكر بما يتصوره عقله، وبما يخطر على ذهنه، من مرئياتٍ، ومسموعاتٍ، ومعلومات، والله سبحانه تعالى فوق ذلك كلِّه لا ينبغي لأحدٍ أن يفكر في ذاته تعالى، لأنَّه كلَّما تصور شيئاً، فالله عزَّ وجل بخلافه، ويكفينا أن نفكر في خلق الله، وفي قدرته الخارقة العظيمة ولو فكَّر الإنسان في أصله لكفاه، فليفكر كيف حوَّل الله النطفة التي خلق منها إلى هذا الخلق العظيم، وكيف حوَّل الله عزَّ وجل النطفة التي يخلق منها الحيوان إلى حيوانٍ، وكيف هيأ الله كلَّ شيءٍ من المخلوقات إلى ما قصد

واعلم أنَّ الهوام، والسباع، والدواب نحو الذرّ والذباب، والنمل كلُّها مأمورة، ولا يعملون شيئاً إلاَّ بإذن الله تعالى [١].

والإيمان بأنَّ الله قد علم ما كان من أولّ الدهر، وما لم يكن، وما هو كائن أحصاه وعدَّه عداً، ومن قال أنَّه لا يعلم إلاَّ ما كان، وما هو كائن فقد كفر بالله العظيم [٢].

له، فهيأ الله البقرة للحرث، وهيأ الإبل للحمل إلى غير ذلك ممَّا نراه، ونعلمه، فالذي قدر على تحويل النطفة من نطفة إلى إنسانٍ، وإلى حيوان أليس ذلك هو الرب القادر على كلِّ شيء؟!!! بلى، ونحن على ذلك من الشاهدين.

والمهم أنَّ التفكر ينبغي أن يكون في خلق الله لا في ذاته، ولنقرأ قول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: من الآية١١] ويجب علينا التسليم بهذه الآية حتَّى لا تتخبط عقولنا في شيءٌ لا ينبغي وإذا كانت الجنَّة فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر وهي خلقٌ من خلق الله، فكيف بذات الله، وبالله التوفيق.

[١] هذه المخلوقات خلقها الله سبحانه وتعالى، وجعل لكلِّ منها شيءٌ من العبادة فكلٌّ من هذه الدواب، والسباع، والهوام وغير ذلك كلٌّ منها يؤدي العبادة التي أُمر بها قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾﴾ [النور: ٤١، ٤٢] ومن هذه الآية نعلم أنَّ لهذه الدواب والطيور أنواعاً من العبادة خلقها الله لها، وهي تؤديها امتثالاً لأمر ربها، لا تفعل شيئاً من عند نفسها وبالله التوفيق.

[٢] وهذه الجملة يظهر أنَّ فيها نقصٌ، والظاهر أنَّ المعنى: ولا يعلم ما هو كائن إلاَّ بعد كونه (وهذا قول هشام بن الحكم رأس الضلالة، فقد صرَّح أنَّه سبحانه لم يكن يعلم شيئاً حتَّى أحدث لنفسه علماً، وهذا

ولا نكاح إلاَّ بوليٍّ، وشاهدي عدل، وصداقٍ قلَّ أو كثر، ومن لم يكن لها وَلِيٌّ، فالسلطان ولي من لا وليَّ له، وإذا طلَّق الرجل امرأته ثلاثاً فقد حرُمت عليه لا تحلُّ له حتَّى تنكح زوجاً غيره [١].

كفرٌ صريح انظر الفِصَل لابن حزم ج٥/٤٠ تحقيق محمد وزميله) انتهى من تحقيق محمد سعيد القحطاني.

وأقول: القول بأنَّ الله لا يعلم الأشياء إلاَّ بعد وقوعها، هذا قولٌ لبعض المعتزلة، وهو قولٌ باطل، ومن يعتقد ذلك، فقد كفر، فالعلم صفةٌ لله عزَّ وجل، قد علم الله ما كان، وما لم يكن، وما هو كائنٌ لو كان كيف يكون، وكتبه في اللوح المحفوظ قبل خلق السماوات والأرض، إذن: فمن ينكر العلم فهو كافرٌ، يجب أن يستتاب، فإن تاب، وإلاَّ قتل كفراً وردَّة وقد قال السلف: (ناظروهم بالعلم(١)، فإنهم إذا أنكروه كفروا(٢)) وبالله التوفيق.

[١] قَولُه: (ولا نكاح إلاَّ بوليٍّ، وشاهدي عدلٍ، وصداقٍ قلَّ أو كثر) هذا هو مذهب الجمهور(٣)، وهو الحق، إذاً من يقول أنَّ للمرأة أن تُزوِّجَ نفسها بغير إذن وليها قوله باطلٌ مناقضٌ للأدلة(٤)، ومخالفٌ لها بل أنَّه

---

(١) أي علم الله الذي هو صفةٌ من صفاته تعالى.

(٢) انظر أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/٧١٤) بتحقيق الدكتور أحمد سعد حمدان طبعة دار طيبة الرياض ١٤٠٢هـ وانظر كتاب جامع العلوم والحكم (١/٢٧) الطبعة الأولى لدار المعرفة ببيروت لعام ١٤٠٨هـ (تخريج الشيخ أحمد بن عبدالله الحكمي).

(٣) قال شيخنا زيد بن محمد بن هادي المدخلي في كتابه القيم الأفنان الندية شرح السبل السوية ج ٤/٢٩٢: (الحكم الأول: أنَّ النكاح لا يصح إلَّا بولي عدل وبدونه لا يصح عند عامة أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ ومن بعدهم وهو قول عمر وعلي وابن مسعود وابن عباس وابي هريرة وغيرهم كما قال به سعيد بن المسيب وشريح القاضي وإبراهيم النخعي وعمر بن عبدالعزيز ومن الأئمة الشافعي وأحمد وإسحاق وجمعٌ غيرهم من أهل العلم وهو الحق لما روى أحمد وغيره عن أبي موسى رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «لا نكاح إلَّا بولي» والنفي يتوجه إلى الصحة كما فهمه الجمهور) اهـ.

(٤) ومن الأدلة على ذلك أيضاً ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟﴾ وروى البخاري في =

يفتح ثغرةً لأصحاب الفساد[١]، فيجب اعتقاد بطلانه، وكذلك أيضاً أنَّه لا بدَّ من صداقٍ، ولكن إذا لم يسمَّ الصداق في النكاح؟ فالصواب أنَّه لا يبطل ويعتبر النكاح صحيح، وتعطى صداق لِدَّاتِها أي أقربائها وأسنانها، أي الصداق المعروف بين الناس، سواءً كان قليلاً أو كثيراً في ذلك الزمن وذلك المكان وهذه تسمَّى المولِّيَة[٢] عند الفقهاء.

قَولُه: (ومن لم يكن لها وليٌّ، فالسلطان ولي من لا وليَّ له) هذا هو القول الصحيح فالتي ليس لها وليٌّ، يكون وليها السلطان لحديث: «السلطان ولي من لا وليَّ له»[٣].

= كتاب النكاح باب من قال لا نكاح إلا بولي لقول الله تعالى ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ قال معقل بن يسار أنها نزلت فيه قال: زوجت أختاً لي من رجل فطلقها حتى إذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له: زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها لا والله لا تعود إليك أبداً وكان رجلا لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه فأنزل الله هذه الآية ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ فقلت: الآن أفعل يا رسول الله قال فزوجها إياه. وعند أحمد وأبو داود وابن ماجة والترمذي وقال حديثٌ حسن واللفظ له عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل فنكاحها باطل فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فرجها فإن اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له».

(١) قال شيخنا أحمد النَّجمي حفظه الله: (وقد سمعت أنَّه كان لأحد الفقهاء الحنفيين في بعض البلدان العربية ابنٌ منحرف وكان يسمع من أبيه أنَّ الولي ليس بشرطٍ في النكاح، وكان يصحب شلَّةً فاسدة يعاقرون النساء، ويعملون معهنَّ الفواحش، فعلَّم شلته أن يقول للزانية إذا أعطاها أجرها: زوجيني نفسكِ فتقول: زوجتك نفسي، وهو يقول: قبلت فيقضي معها ليلته، فإذا حان الفراق قال لها: مطلقة، وفي الليلة الثانية واحدةً أخرى فأنت ترى أنَّ هذا المذهب الذي جاء على خلاف الدليل قد استغله المنحرف ذريعةً للفساد والإفساد مع أنَّ المذهب الحنفي لا يبيح مثل هذه الصورة، ولكن يبيح النكاح الذي يقصد به الاستدامة، ولا يبيح اختلاط المياه عند الطلاق بل يوجب العدَّة والاستبراء في حقِّ المختلعة والأمة تشترى) اهـ.

(٢) قال شيخنا النَّجمي المولِّية هي التي لا تشترط، وتسمَّى المولِّية لأنَّها ولت الزوج مقدار الصداق فما أعطاها قبلته اهـ.

(٣) كما عند الإمام أحمد رحمه الله في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ففي مسند بني هاشم برقم ٢٢٦٠، وفي باقي مسند الأنصار من حديث عائشة برقم ٢٣٦٨٥ و٢٣٨٥١ و٢٤٧٩٨ و٢٥٧٠٣، وأخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب النكاح باب =

ولا يحلُّ دم امرئٍ مسلم يشهد أن لا إله إلاَّ الله، ويشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، إلاَّ بإحدى ثلاث: زنًى بعد إحصان أو ارتدادٌ بعد إيمان أو قتل نفسٍ مؤمنةٍ بغير حق فيقتل به، وما سوى ذلك فدم المسلم على(١) المسلم حرام أبداً حتَّى تقوم الساعة [١].

وأما قوله: (وإذا طلَّق الرجل امرأته ثلاثاً، فقد حرِّمت عليه لا تحلُّ له حتَّى تنكح زوجاً غيره). ***وأقول:*** هذه المسألة فيها خلافٌ كبير بين العلماء فالطلاق فيه أقوال متعددة فالجمهور: يرون أنَّ الرجل إذا طلَّق ثلاثاً بلفظٍ واحد، فإنَّه قد حرمت عليه مطلقته.

ومن أهل العلم من يقول: أنَّ الطلاق المحرَّم هو طلاق السنَّة، بأن يطلق في طهرٍ لم يجامع فيه(٢) فإن طلق ثلاثاً بلفظٍ واحد أو بألفاظٍ متتابعة فإنَّه تعتبر واحدة، وهذا رأي شيخ الإسلام ابن تيمية، وقولٌ وسط وهو أنَّها تعتبر ثلاثاً بالنية، إذا كانت بألفاظٍ متتابعة، والمسألة فيها كلامٌ كثير وبالله التوفيق.

[١] ***وأقول:*** إنَّه لا يجوز قتل نفسٍ بغير واحدة من هذه الثلاث إجماعاً وبالله التوفيق.

= ما جاء لا نكاح إلَّا بولي من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب النكاح باب في الولي من حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرجه الإمام الدارمي في سننه في كتاب النكاح باب النهي عن النكاح بغير ولي من حديث عائشة رضي الله عنها، وأخرجه الإمام ابن ماجة في سننه أيضاً في كتاب النكاح باب لا نكاح إلَّا بولي من حديث عائشة أيضاً رضي الله عنها، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع في ج١/٥٢٦ برقم الحديث ٢٧٠٩ وأشار رحمه الله إلى الإرواء برقم ١٨٤٠ فلينظر.

(١) دلَّ على هذه المسألة حديث عبدالله بن مسعود ﷺ الوارد في صحيح البخاري في كتاب الديات باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ وكذا ورد في صحيح مسلم في كتاب القسامة باب ما يباح به دم المسلم واللفظ لمسلم أنَّ النبي ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة».

(٢) أو أن يطلق المرأة وهي حامل وعدتها بوضع الحمل فهذا الطلاق يعتبر طلاقاً سنياً بخلاف ما لو طلق المرأة في طهرٍ جامعها فيه أو طلقها وهي حائض فيقول أهل العلم أنَّ الطلاق هنا يسمَّى طلاقاً بدعياً يقع فيه الطلاق ولكنَّه على خلاف السنة، قال شيخنا النَّجمي: وأيضاً جمع الثلاث في مكانٍ واحد فيه خلاف هل هو بدعةٌ أم لا؟

وكلُّ شيءٍ ممَّا أوجب الله عليه الفناء يفنى، إلاَّ الجنَّة والنار والعرش، والكرسي والصور، والقلم، واللوح ليس يفنى من هذا شيءٌ أبداً، ثمَّ يبعث الله الخلق على ما أماتهم عليه يوم القيامة، ويحاسبهم بما شاء؛ فريقٌ في الجنَّة، وفريقٌ في السعير ويقول لسائر الخلق ممَّن لم يخلقوا للبقاء: كونوا تراباً. [١].

[١] قوله: (وكلُّ شيءٍ ممَّا أوجب الله عليه الفناء يفنى، إلاَّ الجنَّة، والنار والعرش والكرسي، والصور، والقلم، واللوح ليس يفنى من هذا شيءٌ أبداً). *أقول:* الجنَّة، والنار والعرش، والكرسي، وتمام العدة[١]، لم يخلق شيٌ من هذا للفناء، بل هي مخلوقةٌ قبل السموات والأرض، وعند فناء هذا الكون، لا تفنى، بل هي باقية. فالجنَّة معدَّةٌ لأهلها، والنَّار معدَّةٌ لأهلها، وبعد البعث والحساب سيدخل كلَّ دارٍ من أرادهم الله لها أن يدخلوها بأعمالهم ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: من الآية٤٩] وأهل الجنَّة سيعمرونها، ويبقون فيها إلى ما لا نهاية، وأهل النَّار سيبقون فيها إلى ما لا نهاية إلاَّ نار الموحدين، الذين يعذَّبون بذنوبٍ ارتكبوها، ثمَّ يخرجون منها إلى الجنَّة. أمَّا نار الكفَّار، والمنافقين الذين كتب الله عليهم الخلود، فسيبقون فيها إلى ما لا نهاية.

قوله: (ثمَّ يبعث الله الخلق على ما أماتهم عليه يوم القيامة، ويحاسبهم بما شاء، فريقٌ في الجنَّة، وفريقٌ في السعير) أي يبعث الله الخلق على ما أماتهم عليه يوم القيامة، ويحاسبهم بأعمالهم، ويجزيهم عليها، ولله في عباده الحكمة البالغة، وله عليهم الحجة الدامغة ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ وكلٌّ سيجزى بما عمل، إن خيراً فخير، وإن شرَّاً فشر، ويقول لسائر الخلق ممَّن لم يخلق للبقاء: «كوني تراباً»[٢].

(١) أي مما ذكر في المتن من الصور والقلم واللوح.

(٢) وقد ذكر ابن كثيرٍ رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى في سورة النبأ: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾: أنّه وردت آثارٌ عن أبي هريرة وعبدالله بن عمرو وغيرهما أنَّ ذلك =

والإيمان بالقصاص يوم القيامة بين الخلق كلُّهم بني آدم والسباع، والهوام، حتَّى للذَّرَّة من الذرة، حتَّى يأخذ الله عزَّ وجل لبعضهم من بعض لأهل الجنَّة من أهل النَّار ولأهل النَّار من أهل الجنَّة، ولأهل الجنَّة بعضهم من بعض ولأهل النَّار بعضهم من بعض [١].

وأقول: تنقسم العوالم إلى قسمين: عاقلٌ مكلَّف، وغير عاقلٍ ولا مكلَّف فالعوالم المكلَّفة، الجنُّ والإنس، هم الذين يحاسبون يوم القيامة ويجزون على ما اقترفوا.

أمَّا الدواب، والطيور، والوحوش، والحشرات، وهي العوالم غير المكلَّفة كهذه يقول لها ربُّها: «كوني تراباً» فتكون تراباً.

وذلك بعدما تنتهي الحكمة من وجودها، ويقتص لبعضها من بعض حتَّى يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء(١)، ثمَّ بعد ذلك تصير تراباً وقد أشارت الآية التي في سورة النبأ، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: من الآية٤٠]، أشارت إلى هذا المعنى أي أنَّه يتمنَّى الكافر أنَّ يصير تراباً كهذه العوالم الغير مكلَّفة، وبالله التوفيق.

[١] يعني أنَّ القصاص حاصلٌ بين بني آدم بعضهم من بعض، وبين الإنس والجن، وبين الإنس، والسباع، والهوام، والدواب، وبين السباع والدواب بعضها من بعض، وقد جاء في الحديث: «حتَّى يقتصَّ للشاة الجلحاء» أي: التي لا قرون لها «من الشاة القرناء» أي ذات القرون.

قوله: (حتَّى يأخذ الله عزَّ وجل لبعضهم من بعض لأهل الجنَّة من أهل النَّار، ولأهل النَّار من أهل الجنَّة، ولأهل الجنَّة بعضهم من بعض،

= حين يحكم الله بين الحيوانات حتى إنَّه يقتص للشاة الجماء من القرناء وإذا فرغ قال لها: كوني تراباً فتصير تراباً فيتمنى الكافر عند ذلك أن يكون تراباً ويقول: ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ وقد ورد هذا المعنى في حديث الصور» اهـ.

(١) كما في حديث أبي هريرة ﷺ عند مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم.

وإخلاص العمل لله، والرضا بقضاء الله، والصبر على حكم الله[(١)] والإيمان بأقدار الله كلّها خيرها وشرّها، حلوِهَا وَمُرِّهَا [١].

ولأهل النَّار بعضهم من بعض) أقول: قد جاء في الحديث أنَّ الله عزَّ وجل ينادي يوم القيامة، فيقول: «أنا الملك أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولأحد من أهل النار عنده حق حتى أقصه منه حتى اللطمة. قال: قلنا: كيف وإنَّا إنما نأتي الله عز وجل عراة غرلاً بهماً؟ قال: بالحسنات والسيئات»[(٢)] والمهم أنَّهم لا يدخلون الجنَّة والنَّار، إلاَّ بعد أخذ الحقوق من بعضهم البعض فإذا، صفُّوا، ونقُّوا أُدخل أهل الجنَّة الجنَّة وأهل النَّار النار، وبالله التوفيق.

[١] *أقول:* أمَّا الدليل على الإخلاص في العمل لله عزَّ وجل، ففي كتاب الله، وفي سنَّة رسول الله ﷺ أدلة كافية على ذلك، وبعد ذلك إجماع الأمَّة على ذلك. فالدليل من الكتاب قول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة:٥] وقوله تعالى: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١٤﴾ [غافر:١٤]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ﴾ [الزمر: من الآية٣]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: من الآية١١٠]، إلى غير ذلك

---

(١) وفي نسخة الشيخ الردادي: «والإيمان بما قال الله عز وجل» فلا يصح إيمان العبد إلَّا بالاعتراف بأنَّ القرآن كلام الله منزلٌ على عبده ورسوله محمد ﷺ وهو غير مخلوق وأنَّه يجب العمل به لأنَّ هذا من مقتضيات الإيمان بالقرآن، ومن الإيمان بما قال الله الإيمان بما صحة نسبته إلى رسول الله ﷺ من سنته وهديه، فالقرآن والسنة صنوان لا يختلفان ولا يفترقان فهما من عند الله جميعاً كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣،٤].

(٢) الحديث أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسند المكيين برقم ١٥٦١٢ من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما انظر الصحيح بتحقيق الألباني رحمه الله برقم ٨٠٤٣.

من الآيات، وهذه الآيات آمرةٌ بالإخلاص لله بمنطوقها وناهيةٌ عن الشرك صغيره وكبيره بمفهومها.

أمَّا السنَّة: فقد جاء في الحديث القدسي الذي رواه مسلم، أنَّ الله عزَّ وجل قال: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك معي فيه غيري تركته، وشركه»[١] وحديث: «إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم وقرأت القرآن ليقال هو قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتي به فعرفه نعمه فعرفها. قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار»[٢] إلى غير ذلك من الأدلة. والإجماع: حاصلٌ من العلماء على تحريم الشرك صغيره وكبيره، وأنَّ الرياء من الشرك دلَّ على ذلك كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وإجماع الأمَّة[٣] قولُه: (والرضا

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب الزهد والرقاق باب من أشرك في عمله غير الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) كما في قول الله تعالى عن المنافقين في سورة النساء الآية رقم ١٤٢: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ ثمَّ قال الله فيهم بعد ذلك: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ فدلت هذه الآيات وغيرها على أنَّ الرياء في الأعمال شركٌ محبطٌ للعمل وإلَّا ما استحقوا هذا الوعيد من الله، فنسأل الله العافية من الشرك وقد دل على أنَّ الرياء من الشرك ما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا: وما الشرك =

بقضاء الله، والصبر على حكم الله.. الخ) الرضا بقضاء الله مرتبةٌ عظيمة والمقصود بالقضاء هنا هو الذي لا يكون للإنسان فيه دخلٌ كالمرض والصحة، والغنى والفقر والموت، وجميع المصائب، التي تصيب العبد فالناس ينقسمون فيها إلى قسمين أو يقال: أنَّ للعبد معها حالتان وهاتان الحالتان إحداهما أعلى من الأخرى: فالعليا منها هي:

١ ـ الرضا، وهي الحالة الأولى، بأن تكون راضياً بما قدَّر الله عزَّ وجل لك وبما قسم لك من الرزق، وبما قدَّره عليك من المصائب، فالرضا بهذه الأقدار التي تصيب العبد من الله محض قدرٍ لا يستطيع هو، ولا غيره ردَّها والرضا بالأقدار منزلةٌ عظيمة، وهي صفةٌ نفسيةٌ كريمة بأن يكون العبد راغباً في ثواب المصيبة بعد أن تصيبه، بحيث لو خيِّر بين ثوابها وبين زوال تلك المصيبة لاختار الثواب.

٢ ـ فإن لم يكن من أهل الرضا فليكن من أهل الصبر، وهذه هي الحالة الثانية، فيصبر إذا قدِّر عليه ذلك، ويتحمَّل رغبةً في الثواب، وإذعاناً للقضاء، والقدر قال الله عزَّ وجل: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: من الآية١٧٧] وفي الحديث: «إذا أحبَّ الله قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط، فله السخط»[(١)] وبالله التوفيق.

ملحوظة: لا يجوز الرضا بالمعاصي، ولا الاحتجاج عليها بالقدر، بل يجب السعي في إزالتها وقطعها والله تعالى يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ

= الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء. يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءون في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟».

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء. وأخرجه الإمام ابن ماجة في كتاب الفتن باب الصبر على البلاء من حديث أنس وعن الإمام أحمد في مسند باقي الأنصار رقم ٢٧٧٣٩ و ٢٣١٢٢ من حديث محمود بن لبيد بلفظ: «إذا أحب الله قوماً ابتلاهم فمن صبر فله الصبر ومن جزع فله الجزع» وقد أشار الألباني رحمه الله إلى صحته في صحيح الجامع في ج١/١١٤ برقم الحديث ٢٨٥.

والإيمان بما قال الله[1]، قد علم الله ما العباد عاملون وإلى ما هم صائرون، لا يخرجون من علم الله، ولا يكون في الأرضين والسماوات إلاَّ ما علم الله تعالى، وتعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك[2] ولا خالق مع الله عزَّ وجل [١].

لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية١١٠]، والنبي ﷺ يقول: «من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع، فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[3] فلو قدِّر أنَّ الكفَّار احتلوا بلداً من بلدان المسلمين هل يجوز أن نقول: هذا أمرٌ مقدَّر ونسكت، ولا نسعى في إزالة هذا المنكر حتَّى يتحرر المسلمون في بلادهم ويستريحوا من سيطرة الكفَّار عليهم؟ الجواب: أنَّه لا يجوز لنا السكوت على ذلك، ولا الرضا به، ولا الصبر عليه، وبالله التوفيق.

[١] الإيمان بالقضاء، والقدر من كفرٍ، وإيمانٍ، وبرٍّ، وفجورٍ، وصحةٍ

---

(١) قال الشيخ الردادي وفقه الله في نسخة مكتبة الغرباء عند هذه العبارة: (والإيمان بأقدار الله خيرها وشرها وحلوها ومرها) وهذا أمرٌ واجب على كل مسلم ومسلمة، فإذا نزلت بالمسلم مصيبةٌ وبلوى فلا يخلو إمَّا أن يكون من أحد أصحاب هذه المَراحل الأربع: ١ـ الجزع عند المصيبة وهذا حرام لأنَّه تسخطٌ على الله فيما كتبه وقدره ٢ـ مرحلة الصبر وهو أمرٌ واجب عند نزول المصيبة بالمسلم ٣ـ الرضى بقضاء الله وقدره ٤ـ الشكر وهذه من أفضل المنازل الأربع عند الله، فنسأل الله أن يرزقنا الرضا بما كتب الله لنا وعلينا من خيرٍ وشر وأن يدخر أجر ذلك عنده تعالى في يوم الفاقة والحاجة ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

(٢) وهذه العبارة من حديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه في آخر كتاب صفة القيامة والرقائق والورع من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كنت خلف رسول الله ﷺ يوما فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك؛ احفظ الله تجده تجاهك؛ إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك؛ رفعت الأقلام، وجفت الصحف»، قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الإمام أحمد في مسند بني هاشم رقم ٢٦٦٤ و٢٨٠٠.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان.

ومرضٍ وغنًى، وفقرٍ، وسعادةٍ، وشقاوةٍ، وأنَّ كلَّ ما يكون في السماوات، والأرضين من نعمٍ ومصائبٍ، وغير ذلك كلُّها بقدرٍ من الله عزَّ وجل، فهو الخالق لجميع من في الكون والخالق لأعمالهم، قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات:٩٦]، وهو المقدِّر لأرزاقهم وآجالهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر:٤٩] لا يخرج من ذلك حبَّة خردلٍ، ولا يشذُّ عن ذلك شيءٌ لا أصغر، ولا أكبر ولا قليلٍ ولا كثير، كلُّ ذلك بأمر الله، وقدره، لا خالق مع الله، ولا متصرف في الكون سواه، وما حصل للعباد من أمورٍ يتصرفون بها، فالله هو الذي خوَّلهم ذلك، وأعطاهم إيَّاه، ومكَّنهم فيه، وهو القادر على سلب ذلك منهم إذا شاء، فهو خالقٌ للملاَّك، وما ملكوا، ومالكٌ للملوك، وما سيطروا عليه، وتصرفوا فيه، له فيهم القدرة النافذة، وله عليهم الحجَّة البالغة، هو العالم بما كان وبما يكون كتب أعمال العباد قبل خلق السماوات، والأرض، كما صحَّ في الحديث: «أوَّل ما خلق الله القلم فقال له: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة»(١) والعباد لا يتجاوزون ما كتب الله عليهم أو لهم، وبالله التوفيق.

ملحوظة: لهذا يجب على العبد، أن يؤمن بأنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه كما في حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في باقي مسند الأنصار بهذا اللفظ برقم ٢٢١٩٧من حديث عبادة بن الصامت ﷺ وقد صححه الإمام الألباني في تحقيقه لكتاب السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الشيباني برقم الحديث ١٠٤ ج٤٨/١.
وأخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب القدر باب ما جاء في الرضا بالقضاء بلفظ «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر ما كان وما هو كائن إلى الأبد» وكذا أخرجه في كتاب تفسير القرآن باب سورة ن والقلم.
وأخرج بنحوه الإمام أبو داود رحمه الله في سننه في كتاب السنة باب في القدر كلها من حديث عبادة ﷺ وقد أشار إلى صحته، كذلك الإمام الألباني في تحقيقه لكتاب مشكاة المصابيح ج٣٤/١ برقم الحديث ٩٤.

والتكبير على الجنائز أربع، وهو قول مالك بن أنس وسفيان الثوري، والحسن بن صالح، وأحمد بن حنبل، والفقهاء.

وهكذا قال رسول الله ﷺ [١].

فاسأل الله، وإذا استعنت، فاستعن بالله واعلم أنَّ الأمَّة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيءٍ لم ينفعوك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيءٍ لم يضروك إلاَّ بشيءٍ قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفَّت الصحف»(١) رواه الترمذي، وقال هذا حديثٌ حسنٌ صحيح، وبالله التوفيق.

[١] قوله: (والتكبير على الجنائز أربع) أي أربع تكبيرات، وهذا هو مذهب الجمهور وأهل السنَّة، والجماعة على ذلك، للأدلة الدَّالة عليه كصلاة النبي ﷺ على النجاشي(٢) وغير ذلك من الأدلة(٣)، وهو الذي استقرَّ

---

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقاق في آخر باب صفة أواني الحوض، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند بني هاشم برقم ٢٦٦٤ و ٢٧٥٨ و٢٨٠٠، وقد صحح الحديث الإمام الألباني في صحيح الجامع في ج ١٣١٧/٢ برقم ٧٩٥٧.

(٢) كما في حديث أبي هريرة وجابر رضي الله عنهما في صحيح الإمام البخاري في كتاب الجنائز باب التكبير على الجنازة أربعاً: «أن رسول الله ﷺ نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم وكبر عليه أربع تكبيرات» وأخرج أيضاً الحديث الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الجنائز باب في التكبير على الجنازة.

(٣) ومنها حديث أورده الإمام ابن ماجة في سننه في كتاب الجنائز باب ما جاء في الجنائز عن خارجة بن زيد بن ثابت عن يزيد بن ثابت وكان أكبر من زيد قال: «خرجنا مع النبي ﷺ فلما ورد البقيع فإذا هو بقبر جديد، فسأل عنه قالوا: فلانة. قال: فعرفها، وقال: ألا آذنتموني بها؟ قالوا: كنت قائلاً صائماً، فكرهنا أن نؤذيك. قال: فلا تفعلوا لا أعرفن ما مات منكم ميت ما كنت بين أظهركم إلا آذنتموني به، فإن صلاتي عليه له رحمة، ثم أتى القبر، فصففنا خلفه فكبر عليه أربعاً» والحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند الكوفيين برقم ١٨٩٥٨ وقد أشار إلى صحة الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح سنن ابن ماجة في ج٢/٢٥ برقم ١٢٤٨ وأحال رحمه الله إلى تخريجه في الأحكام برقم ٨٨ و ٨٩ وإلى الإرواء برقم ١٨٤/٣ - ١٨٥.

والإيمان بأنَّ مع كلِّ قطرةٍ ملك ينزل من السماء، حتَّى يضعها حيث أمره الله عزَّ وجل [١].

والإيمان بأنَّ رسول الله ﷺ حين كلَّم أهل القليب يوم بدرٍ: أي المشركين كانوا يسمعون كلامه [٢].

عليه رأي الفقهاء وبه عملهم، ومن خالف ذلك، فلا يلتفت إلى خلافه وبالله التوفيق.

[١] قال في التعليق: ورد عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: (ما من شجرةٍ في برٍّ ولا بحر إلاَّ وملكٌ موكَّلٌ بها، يكتب ما سقط منها) انظر تفسير ابن كثير ج٣/٢٦٠ قال المعلق: فهذا يدل بطريق الأَوْلَى على هذه المسألة، التي ذكرها المصنف، *قلت:* في هذا نظرٌ من وجهين:

١ ـ أنَّه لم يثبت عن النبي ﷺ في ذلك شيء فيما أعلم.

٢ ـ أنَّ دلالة هذا الأثر على ما ذكره المؤلف، أن كل قطرة ينزل معها ملك حتى يضعها حيث أمره الله عز وجل، ليست بواضحة، إذ أنَّ الأثر في كتابة ما يسقط من ورق الشجر والموضوع في نزول المطر، ونحن نؤمن بقدرة الله عزَّ وجل، ونؤمن بأنَّ الله يعلم بكلِّ ورقة تسقط، وبكلِّ قطرةٍ من قطرات المطر أين تقع، ولكن نزول ملكٍ مع كلِّ قطرة حتَّى يضعها في مكانها؛ هذا الأمر ليس بثابتٍ عن النبي ﷺ لذلك، فإنِّي *أقول:* (أنَّ في هذا نظر(١)). وبالله التوفيق.

[٢] *قلت:* هذا ثابتٌ في الصحيح؛ أنَّ النبي ﷺ خاطب أهل القليب بقوله: «يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا فإني قد وجدت

---

(١) قال الشيخ الردادي في تعليقه على هذا الأثر: (جاء هذا من قول: الحكم بن عتيبة والحسن البصري رحمهما الله. فأمَّا قول الحكم فأخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٩/٤) وأبو الشيخ في العظمة (٤٩٣) بإسنادٍ حسن وأثر الحسن أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٧٦١) بإسنادٍ حسن أيضاً وانظر البداية والنهاية (٤١/١) لابن كثير والدر المنثور للسيوطي (٧١/٥)) اهـ.

والإيمان بأنَّ الرجل إذا مرض آجره الله على مرضه، والشهيد يأجره الله على شهادته(١) [١].

ما وعدني ربي حقاً؟ فسمع عمر قول النبي ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يسمعوا وأنّى يجيبوا وقد جيفوا؟ قال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا، ثم أمر بهم فسحبوا، فألقوا في قليب بدر»(٢).

قلت: الخلاف حاصلٌ بين أهل العلم، هل أنَّ أهل البرزخ يسمعون من خاطبهم، أو أنَّ ذلك خاصٌّ بأهل القليب؟ فمنهم من توسع في هذا وزعم أنَّ أهل البرزخ يسمعون الكلام ومنهم من اقتصر على محلِّ النص وهذا هو الظاهر من النصوص الثابتة.

وأهل التصوف توسعوا في ذلك توسعاً منكراً، حتَّى زعموا أنَّ الميت يعلم ما يحصل في أهله من خير وشر وقد نقل ابن القيم رحمه الله في كتاب الروح نقولاتٍ عنهم فيها نظر وبالله التوفيق.

[١] *أقول:* قد ورد في ذلك أحاديث صحيحة تدل على أنَّ المريض المسلم يؤجر على مرضه(٣)، لأنّه يعلم أنَّ الله هو الذي يمرض، ويشفي، وأنَّ الشهادة فيها درجةٌ عالية يؤتيها الله من يشاء من عباده.

ولكنَّها لا تنال إلاَّ بالإخلاص والمتابعة، فمن قتل مجاهداً في سبيل الله فهو شهيدٌ من شهداء الدنيا والآخرة، إذا قتل بين الكفَّار والمسلمين،

---

(١) وفي نسخة الردادي: (والشهيد يأجره الله على القتل) اهـ.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في الجنة وصفة نعيمها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وأخرج نحوه البخاري بدون ذكر أسماء المشركين في كتاب المغازي باب في قتل أبي جهل.

(٣) الحديث في ذلك أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الجهاد والسير باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة كما في حديث أبي موسى رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً».

والإيمان بأنَّ الأطفال إذا أصابهم شيء في دار الدنيا يألمون وذلك: أنَّ بكر ابن أخت عبدالواحد[1] قال: لا يألمون؛ وكذب [١].

وكذلك من قتله المبتدعون كالخوارج وأمثالهم، وقد جاء في الحديث عن الخوارج: «طوبى لمن قتلهم وقتلوه»[2].

أمَّا شهادة الآخرة، فهي كثيرة، ومن شهداء الآخرة، المطعون والمبطون، والحريق والغريق، وصاحب الهدم، وصاحب السل، إلى غير ذلك[3]، وبالله التوفيق.

[١] *أقول:* كون الأطفال يألمون، هذا شيء محسوس، ومعقول.

أما كونه محسوساً: فإنك إذا عملت شيئاً في جسد الطفل مما يؤلم فإنَّه يتألم لذلك ويبكي بكاءً شديداً، تحس منه بأنه تألم، ولو وضعت عليه أو وجد في ثيابه شيء من الحشرات التي تلدغ كالذَّرة (النملة) والبرغوث الذي يسمى عندنا بالقعموص، فإنه يتألم ألماً شديداً، ويبكي بكاءً حاراً.

وأما من ناحية المعقول: فإنَّه إنسانٌ يتألم مما يتألم منه الإنسان، الذي

(١) قال الشيخ الردادي: (وفي طبعة ابن أخت عبدالوهاب وهو خطأ) والصحيح ما ذكر في المتن ثمَّ قال: وبكرٌ هذا: من رؤوس المبتدعة أنظر ترجمته في لسان الميزان (٢/٦٠-٦١) والفصل لابن حزم (٣/١٥٧) وقد خلط محققي الكتاب في ترجمته، وانظر مقالات الإسلاميين للأشعري ص (٢٨٦)) اهـ.

(٢) هذه اللفظة من الحديث وردت في سنن أبي داود في كتاب السنة باب في قتال الخوارج، وعند أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة برقم ١٣٠٥ وفي باقي مسند المكثرين من الصحابة برقم ١٢٩٢٥ و١٨٩٢٢والكوفيين برقم ١٨٥٩٩ والحديث أصله في الصحيحين وراجع إن شئت في الأحاديث التي وردت في وصف الخوارج في ص٤٠ حاشية رقم ١.

(٣) وقد أورد الامام الإلباني رحمه الله جملةً من الأحاديث فيها ذكرٌ لشهداء الآخرة غير ما ذكر في الشرح وذلك في كتابه القيم أحكام الجنائز تحت عنوان علامات حسن الخاتمة في ص٤٨ وما بعدها فمن شاء فليراجعه.

واعلم أنَّه لا يدخل أحدٌ الجنَّة إلاَّ برحمة الله، ولا يعذب الله أحداً إلاَّ بقدر ذنوبه، ولو عذَّب أهل السموات، والأرض، برَّهم، وفاجرهم، عذَّبهم غير ظالمٍ لهم، لايجوز أن يقال لله عزَّ وجل، إنَّه ظالم، وإنَّما يظلم من يأخذ ما ليس له، والله له الخلق، والأمر والخلق خلقه، والدار داره، لا يسأل عمَّا يفعل، وهم يسألون، ولا يقال لم وكيف؟ ولا يدخل أحدٌ بين الله، وبين خلقه [١].

يعرب عن نفسه ويتكلم، فالجبلات التي جبل عليها الإنسان وجدت معه وخلقت معه، فلا تزال تنمو فيه، ومن قال خلاف ذلك فقد خالف المحسوس والمعقول، وبالله التوفيق.

[١] قد علم الله عز وجل خلقه جميعاً، وقسمهم إلى فريقين:

١ ـ فريق السعداء، وهم أهل الجنَّة.

٢ ـ فريق الأشقياء، وهم أهل النَّار، وعلم ما هم عاملون، ويجب أنَّ نعلم أنَّ السعادة بقدرٍ من الله، وبسببٍ من الإنسان، والله له في عباده الحكمة البالغة، وله عليهم الحجَّة الدامغة، فهو لا يعذب أحداً بغير ذنب ولا تكتب عليه الشقاوة إلاَّ بسببٍ منه، فالله لا يظلم أحداً من خلقه قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: من الآية٥]، وقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١].

وعن أبي واقد الليثي ﷺ أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس في المسجد والناس معه إذ أقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد قال: فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة

فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم عن النفر الثلاثة. أما أحدهم: فأوى إلى الله فآواه الله وأما الآخر: فاستحيا فاستحيا الله منه، وأما الآخر: فأعرض فأعرض الله عنه»[(١)] متفقٌ عليه.

فالذي يجب أن نؤمن به، أنَّ الله سبحانه وتعالى، لا يعذب أحداً إلاَّ بذنب، كما أنّا نؤمن أنَّ الله لا يظلم أحداً شيئاً قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًاۗ وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: من الآية٤٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾ [النساء:٤٠] ومن جهةٍ أخرى يجب أن نعلم أنَّ الخلق خلق الله والأرض أرضه وأنَّه هو الذي خلق الخلق، ورزقهم، وأنَّه لو عذَّب أهل السموات وأهل الأرض لعذَّبهم غير ظالم لهم وهذه العبارة وردت عن بعض الصحابة[(٢)] ولكنَّ الله عزَّ وجل قد قَطع الحجَّة بإرسال

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم باب من قعد حيث ينتهي به المجلس ومن رأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وفي كتاب الصلاة باب الحلق والجلوس في المسجد، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام باب من أتى مجلساً فوجد فرجة فجلس فيها وإلا وراءهم من حديث أبي واقد الليثي ﷺ.

(٢) وهم أبي بن كعب، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم، ولكن مع ذلك كله صحة نسبة هذا الحديث إلى النبي ﷺ كما في مقدمة سنن ابن ماجة برقم الحديث ٧٤ قال: حدثنا علي بن محمد حدثنا إسحق بن سليمان قال: سمعت أبا سنان عن وهب بن خالد الحمصي عن ابن الديلمي قال: وقع في نفسي شيء من هذا القدر خشيت أن يفسد علي ديني وأمري، فأتيت أبي بن كعب فقلت أبا المنذر: إنه قد وقع في نفسي شيء من هذا القدر، فخشيت على ديني وأمري، فحدثني من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعني به فقال: لو أن الله عذب أهل سماواته، وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل جبل أحد ذهباً أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل الله ما قبل منك حتى تؤمن بالقدر، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار، ولا عليك أن تأتي أخي عبدالله بن مسعود فتسأله فأتيت عبدالله فسألته، فذكر مثل ما قال أبي، وقال لي: ولا عليك أن تأتي حذيفة، فأتيت حذيفة فسألته فقال مثل ما قالا، وقال: ائت زيد بن ثابت فاسأله، فأتيت زيد بن ثابت =

وإذا سمعت رجلاً يطعن على الآثار، ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام، فإنَّه رجلٌ رديء المذهب(١)، ولا يُطعن على رسول الله ﷺ ولا على أصحابه، لأنَّا إنَّما عرفنا الله، وعرفنا رسوله ﷺ، وعرفنا القرآن، وعرفنا الخير والشر، والدنيا، والآخرة بالآثار، فإنَّ القرآن أحوج إلى السنَّة، من السنَّة إلى القرآن(٢) [١].

الرسل وإنزال الكتب كما قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ وبالله التوفيق.

[١] قَولُه: (وإذا سمعت رجلاً يطعن على الآثار، ولا يقبلها، أو ينكر شيئاً من أخبار رسول الله ﷺ فاتهمه على الإسلام، فإنَّه رجلٌ رديء المذهب). *أقول:* إنَّه لا يطعن على الآثار إلاَّ مفتونٌ، وإلاَّ فإنَّ الآثار التي جاءت عن النبي ﷺ هي: المبينة للقرآن، وقد قال النبي ﷺ في

= فسألته، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيرا لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل أحد ذهباً أو مثل جبل أحد ذهباً تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار» قال عنه الألباني في المشكاة برقم ١١٥ (وسنده صحيح) اهـ. وروى هذا الحديث الإمام أبو داود في كتاب السنة باب في القدر والإمام أحمد في مسند الأنصار برقم ٢١٠٧٩ و٢١١٠١ و٢١١٤٤.

(١) وفي نسخة الردادي: (فإنَّه رجلٌ رديء القول والمذهب) اهـ.

(٢) قال الشيخ الردادي: «وهذا القول مأثورٌ عن مكحول الشامي أخرجه الخطيب في الكفاية (ص١٤)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/١٩١)، والحازمي في الناسخ والمنسوخ (ص٢٥) وإسناده صحيح وقال يحيى بن أبي كثير رحمه الله: السنة قاضيةٌ على القرآن وليس القرآن بقاضٍ على السنة أخرجه الدارمي في سننه (١/١١٧) وابن عبدالبر في الجامع (٢/١٩) وقال الفضيل بن زياد: سمعت أبا عبدالله يعني أحمد بن حنبل وسئل عن الحديث الذي روي أنَّ السنة قاضيةٌ على الكتاب فقال: ما أجسر على هذا أن أقوله إنَّ السنة قاضيةٌ على الكتاب إنَّ السنة تفسر الكتاب وتبينه ذكره ابن عبدالبر في الجامع (ص١٩١/١٩٢) قال: وهذا هو الصواب لموافقته قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: من الآية٤٤] اهـ.

حديث معد يكرب ﷺ: قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا هل عسى رجل يبلغه الحديث عني وهو متكئ على أريكته، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمناه، وإنَّ ما حرم رسول الله كما حرم الله»[١] رواه الترمذي، وابن ماجة، وأحمد والدارمي، وفي روايةٍ: «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه»[٢] قال الإمام الترمذي: هذا الحديث حسنٌ صحيح.

وأقول: إنَّ حديث النبي ﷺ مفسِّر لكتاب الله مبينٌ لمجمله، ومخصصٌ لعمومه، ومبينٌ لناسخه ومنسوخه، فلا يجوز لأحدٍ أن يطعن في الآثار التي تبين شرع الله، وتوضِّحه ولا يفعل ذلك إلاَّ من في إيمانه خلل، وقد قال النبي ﷺ: «إنِّي أوتيت القرآن، ومثله معه»[٣] وقال: «فعليكم بسنتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضُّوا عليها بالنواجذ»[٤] وقال: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب العلم باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، وأخرج الحديث الإمام ابن ماجة في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه، وأخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين برقم ١٦٥٦٤، وأخرجه الإمام الدارمي في سننه في كتاب السنة باب السنة قاضية على كتاب الله، وقد صحح هذه الرواية الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج١/٥١٨ برقم ٢٦٥٧ وأحال إلى المشكاة برقم ١٦٣.

(٢) وأخرج هذه الرواية أيضاً الإمام الترمذي في كتاب العلم باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث النبي ﷺ، وأخرجها ابن ماجة في المقدمة باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ التغليظ على من عارضه، وهذه الرواية صححها الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع في ج٢/١٢٠٤ برقم الحديث ٧١٧٢، وأخرجها أبو داود في السنة بَاب فِي لُزُوم السُّنَّةِ، وقد صحح هذه الرواية أيضاً الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج٢/١٢٠٤ برقم الحديث ٧١٧٣ وأحال إلى المشكاة برقم ١٦٢ عن أبي رافع ﷺ.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

(٤) الحديث سبق تخريجه.

نبيه»[١] فيجب أن نعرف قدر السنَّة، وموقعها في الإسلام، وأن نعمل على حفظها ونشرها وأن نعلم أنَّ من قدح فيها، فإنَّه قد قدح في الإسلام شاء أم أبى وبالله التوفيق.

قَولُه: (ولا يطعن على رسول الله ﷺ ولا على أصحابه، لأنَّا إنَّما عرفنا الله، وعرفنا رسوله ﷺ وعرفنا القرآن، وعرفنا الخير والشر، والدنيا والآخرة بالآثار، فإنَّ القرآن أحوج إلى السنَّة من السنَّة إلى القرآن) انتهى.

أقول: لا يطعن على رسول الله ﷺ إلاَّ كافرٌ أو منافق، وقد سجل لنا القرآن عن المنافقين وكذلك الكفار طعنهم على رسول ﷺ كقوله عن الكفار: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: من الآية١٠٣] وكقولهم: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ [الصافات: ٣٦] وكَقولِه عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ [التوبة: من الآية٦١]، إلى غير ذلك... ممَّا أخبرنا الله به عن الكفار والمنافقين، فالذي يطعن على النبي ﷺ دلَّل على نفسه أنَّه كافرٌ أو منافق. أمَّا الطعن على الصحابة، فهو طعنٌ في الدِّين، فالذين كفَّروا الصحابة كالرافضة والخوارج، إنَّما أرادوا بتكفيرهم إيَّاهم الطعن في ديننا لأنَّ الصحابة هم الذين حملوا الدِّين إلينا، فهم الذين بلَّغوه إلينا، والطعن في الشهود طعنٌ في القضية، والصحابة شهودنا والقرآن يشهد لهم بأنَّهم كانوا على خير، وبأنَّهم حملوا الإسلام بأمانةٍ، وصدقٍ، وإخلاص وبلَّغوه إلينا غضًّا، من غير زيادةٍ، ولا نقص، فمن طعن فيهم، فقد طعن في الإسلام، وبالله التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مالك في الموطأ في كتاب الجامع باب النهي عن القول بالقدر قال الإمام الألباني رحمه الله في المشكاة برقم ١٨٦ في ج١/٦٦: (وهو معضلٌ كما ترى لكن له شاهدان من حديث ابن عباس بسندٍ حسن أخرجه الحاكم وهو قوله ﷺ: «تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا عليَّ الحوض» - وروي من حديث أبي هريرة وقد تكلمت على إسناديهما في بحثٍ واسع حول كتاب التاج الجامع لأصول الخمسة لأحد علماء الأزهر وسيبدأ بنشره تباعاً إن شاء الله تعالى) اهـ. وأشار رحمه الله تعالى إلى تخريج هذا الحديث في السلسلة الصحيحة برقم ١٧٦١.

والكلام، والجدل، والخصومة في القدر خاصَّة، منهيٌّ عنه عند جميع الفرق، لأنَّ القدر سرُّ الله، ونهى الرب جلَّ اسمه الأنبياء عن الكلام في القدر ونهى النبي ﷺ عن الخصومة في القدر، وكرهه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون، وكرهه العلماء وأهل الورع، ونهوا عن الجدال في القدر، وعليك بالتسليم، والإقرار، والإيمان واعتقاد ما قال رسول الله ﷺ في جملة الأشياء، واسكت عمَّا سوى ذلك [١].

---

[١] مضمون هذه الفقرة، أنَّ الذي يجب على الإنسان، أن يؤمن بالقدر ويسلم له ولا يتوغَّل في الكلام فيه أو التفكير في ذلك.

لأنَّه كلَّما توغَّل في القدر، أدَّى به ذلك إلى حيرة، فيجب الكف عن التوغل فيه، وكثرة التفكير فيه، وعلينا أن نؤمن بأنَّ الله عزَّ وجل لا يظلم أحداً من خلقه، وأنَّه لا يعذِّب أحداً إلاَّ بحجَّةٍ، فلله على عباده الحجَّة البالغة، وأنَّه لا يظلم أحداً شيئاً، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه:١١٢]. وقد جاء في الحديث: «إن الله عز وجل خلق آدم، ثم أخذ الخلق من ظهره وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي، قال فقال قائل: يا رسول الله فعلى ماذا نعمل؟ قال: على مواقع القدر»(١) رواه أحمد.

وأنَّ عبداً لا يتجاوز ما كتب له أو عليه، من سعادةٍ، وشقاوة، وإيمانٍ وكفر وصحةٍ وسقم، وحياةٍ، وموت، وغنًى، وفقر.

وقد يقول العقل: إن الله قدَّر مقادير الخلق، وجعل بعضهم سعداء وبعضهم أشقياء، فالأشقياء لا يستطيعون أن يكونوا سعداء، وحينئذٍ يحار العقل في هذا؛ لهذا فإنَّ الواجب الكف، والإيمان بأنَّ الله لا يظلم أحداً من

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده في الشاميين برقم ١٧٠٠٠ من حديث عبدالرحمن بن قتادة السلمي ﷺ والحديث صححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج١/٣٦٢ برقم الحديث ١٧٥٨ وأشار إلى تصحيحه إلى الصحيحة برقم ٤٨.

والإيمان بأنَّ رسول الله ﷺ أسري به إلى السماء، وصار إلى العرش، وسمع كلام الله[(١)]، ودخل الجنَّة واطلع في النار، ورأى الملائكة، وسمع كلام الله عزَّ وجل، وبشَّرت به الأنبياء[(٢)]، ورأى سرادقات العرش والكرسي، وجميع ما في السموات[(٣)] في اليقظة، حمله جبريل على البراق حتَّى أداره في السماوات، وفرضت عليه الصلوات الخمس تلك الليلة، ورجع إلى مكة ليلته وذلك قبل الهجرة [١].

خلقه، ولا يعذب أحداً منهم، إلَّا بحجة: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٤٩﴾ [الأنعام:١٤٩]، وبالله التوفيق.

[١] الإيمان بأنَّ رسول الله ﷺ شُقَّ صدره، وأخرج منه حظُّ الشيطان وملئ إيماناً وحكمة، وأسرى به جبريل على البراق، الذي يضع حافره عند منتهى طرْفه، وأنَّه وصل إلى بيت المقدس، وجمعت له الأنبياء وصلَّى بهم إماماً ثمَّ عرج به جبريل إلى السماء الدنيا واستفتح، وفتح له في كلِّ سماء، وأنَّه وجد في السماء الأولى آدم، وفي السماء الثانية يحيى وعيسى وفي السماء الثالثة يوسف، وفي السماء الرابعة هارون، وفي السماء الخامسة إدريس، وفي السماء السادسة إبراهيم، وفي السماء السابعة موسى وفي رواية بعكس ذلك في حق إبراهيم وموسى، وأنَّ جبريل عرج به إلى سدرة المنتهى، ثمَّ عرج به إلى مكان يسمع فيه صريف الأقلام، وأنه سمع كلام ربه عز وجل حين فَرضَ عليه الصلوات الخمس فرجع إلى موسى فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف وأخيراً قال له ربه: «هي خمسٌ، وهي خمسون لا يبدل القول لدي»[(٤)] متفقٌ عليه. أي خمس بالفعل، وخمسون في

---

(١) وفي نسخة الردادي بدل قول المؤلف: (وسمع كلام الله) قال: (وكلَّم الله تبارك وتعالى).

(٢) وفي نسخة الردادي بدل قول المؤلف: (وبشرت به الأنبياء) قال: (ونشرت به الأنبياء) قال شيخنا النَّجمي والصحيح (بشرت).

(٣) وفي نسخة الردادي بزيادة قوله: (وما في الأرضين).

(٤) الحديث بهذا اللفظ ورد في ثنايا حادثة شق صدر النبي ﷺ وفي قصة الإسراء والمعراج =

اعلم أنَّ أرواح الشهداء في حواصل طيرٍ خضر، تسرح في الجنَّة وتأوي إلى قناديل تحت العرش[(١)]، وأرواح الفجَّار الكفَّار في بئر برهوت، وهي في سجين[(٢)] [١].

الأجر والحسنة بعشر أمثالها، وأنه دخل الجنة، ورأى فيها جنابذ أو حبائل اللؤلؤ، إلى غير ذلك من الأخبار، التي وردت في الإسراء والمعراج، وهذا أمرٌ من التفضيل اختص الله به نبيه وخاتم رسله محمداً ﷺ لم يشركه فيه غيره، وأنه أصبح في مكة، ولما أخبر قريشاً بما حصل له كذَّبوه، قال الله عزوجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾ [الاسراء: من الآية٦٠].

أمَّا قول المؤلف: (حمله جبريل على البراق حتى أداره في السموات) فهذا فيه نظر، إذ لم يحمله على البراق إلاَّ حين سار إلى بيت المقدس.

أمَّا عند عروجه من بيت المقدس إلى السماء فالظاهر أنَّه كان في المعراج وليس على البراق كما قال المؤلف يرحمه الله وبالله التوفيق.

[١] قَولُه: (اعلم أنَّ أرواح الشهداء في حواصل طيرٍ خضر، تسرح في

= بالنبي ﷺ وكل ذلك ورد في صحيح الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب ذكر إدريس عليه السلام وهو جد أبي نوح ويقال جد نوح عليهما السلام وقول الله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾ [مريم:٥٧] وأخرج الحديث أيضاً الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(١) وفي نسخة الردادي: (أنَّ أرواح الشهداء في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة، وأرواح المؤمنين تحت العرش)

(٢) وقد ذكر الردادي حول هذه المسألة قوله: ولا يصح حديثٌ في أنَّ أرواح الكفار في بئر برهوت كما تراه جلياً في الروح لابن القيم (ص١٤٥ - ١٤٧) وأهوال القبور لابن رجب (ص٢٥٥ - ٢٦٣).
والقول الصحيح الذي تدل عليه الأدلة من الكتاب والسنة هو أنَّها في سجين» اهـ.

والإيمان بأنَّ الميت يقعد في قبره، وترسل فيه الروح حتَّى يسأله منكر ونكير عن الإيمان، وشرائعه، ثمَّ تسل روحه بلا ألم، ويعرف الميت الزائر إذا زاره، ويتنعم المؤمن في القبر، ويعذَّب الفاجر كيف شاء الله [١].

الجنَّة، وتأوي إلى قناديل تحت العرش) هذا ورد ضمن حديثٍ رواه مسلمٌ عزاه المعلق إلى كتاب الإمارة رقم الحديث ١٨٨٧ وهو من عقيدة أهل السنَّة والجماعة.

وأمَّا قوله: (وأرواح الفجار والكفار في بئر برهوت وهي في سجين) ***فأقول:*** أمَّا بئر برهوت، فهي بئرٌ في شرق عدن بينها وبين حضرموت، والقول: بأنَّ أرواح الفجار والكفار تجمع فيها، هذا ليس عليه دليلٌ صحيح، ولكن ورد أثرٌ في سنده مجهول عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ذكر ذلك المعلق(١). قلت: والصحيح ما أخبر الله عزَّ وجل به في كتابه في سورة المطففين: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ٧﴾ [المطففين: ٧].

والسجين مبالغةٌ من السجن وهو المكان الضيق، وهو في أسفل الأرض كما قال ذلك أهل العلم، نسأل الله العافية منها، ونعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه، وبالله التوفيق.

[١] قوله (والإيمان بأنَّ الميت يقعد في قبره، وترسل فيه الروح حتَّى يسأله منكر ونكير عن الإيمان وشرائعه) هذا ثابتٌ من حديث البراء رضي الله عنه وغيره ففي صحيح البخاري باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي من كتاب الجنائز عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنَّة، فمن أهل الجنَّة، وإن كان من أهل النَّار، فمن أهل النَّار، فيقال: هذا مقعدك حتَّى يبعثك الله يوم القيامة»(٢).

---

(١) أي الشيخ محمد سعيد القحطاني.

(٢) الحديث أيضاً أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه.

والإيمان بأنَّ الله هو الذي كلَّم موسى بن عمران يوم الطور، وموسى يسمع من الله الكلام؛ بصوت وقع في مسامعه منه لا من غيره، فمن قال غير هذا، فقد كفر بالله العظيم [١].

أمَّا حديث البراء، ففيه أنَّ الميت يقعد في قبره فيقال له: «من ربك ما دينك، من نبيك» أو: «ما هذا الرجل الذي بعث فيكم»(١).

قَولُه: (حتى يسأله منكرٌ ونكير) أي كما تقدم حين يسأل: من ربك وما دينك، ومن نبيك، أو ما هذا الرجل الذي بعث فيكم.

قوله: (عن الإيمان وشرائعه) لعلَّه يقصد هذا السؤال المجمل ولا أعرف شيئاً من السنن يدل على السؤال عن فروع الإسلام، والإيمان.

قَولُه: (ثمَّ تسلُّ روحه بلا ألم) أي بدون الألم الذي حصل له عند موته الأول. قوله: (ويَعرِف الميت الزائر) هذا ينبني على صحة الحديث الوارد في ذلك وفي صحته خلافٌ، فيما أعلم(٢).

قوله: (ويتنعم المؤمن في القبر، ويعذَّب الفاجر كيف شاء الله) قلت: المقصود بذلك الروح، والروح قد ثبت أنَّها في السماء، كما في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾ [المطففين:١٨]، وقيل أنَّها حول القبر، والأقرب أن يقال أنَّ الروح في السماء، ولها ارتباطٌ بالجسد، فما يكون لها من نعيم، فإنَّ الجسد يتنعم به في القبر كما أنَّ أرواح الفجار في سجين، وما يكون عليها من عذابٍ فإنَّ الجسد يتألم به في القبر وهذا من الأمور الغيبية التي لا يحكم فيها إلَّا بخبرٍ ثابتٍ عن المعصوم ﷺ.

[١] قوله: (والإيمان بأنَّ الله هو الذي كلَّم موسى بن عمران يوم الطور

---

(١) حديث البراء رضي الله عنه تقدم تخريجه.

(٢) قال الردادي: وقد جاءت عدة أحاديث في أنَّ الميت يعرف زائره إذا زاره ويستأنس به بيد أنَّه لا يصح شيءٌ منها وانظرها مع الكلام عليها في بشرى الكئيب بلقاء الحبيب للسيوطي (ص٨٧ - ٨٩) بتحقيق مشهور حسن وأهوال القبور لابن رجب (ص١٨٤ - ١٩٢) بتحقيق محمد نظام الدين» اهـ.

والعقل مولودٌ، أعطي كلَّ إنسانٍ من العقلِ ما أراد الله متفاوتون في العقول، مثل الذرة في السماوات، ويطلب من كلِّ إنسانٍ من العمل[(١)] على قدر ما أعطاه من العقل وليس العقل باكتساب، إنَّما هو فضلٌ من الله [١].

وموسى يسمع من الله الكلام الخ). أقول: إنَّ الله سبحانه وتعالى أخبر بأنَّه نادى موسى، والنداء منه سبحانه وتعالى كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ [الشعراء: ١٠، ١١]، فأخبر أنَّه هو ناداه بنفسه، وأنَّ موسى سمع كلامه.

ونحن في هذه الآونة قد حصل لنا في الأرض شيءٍ من الصناعات، التي هدى الله إليها عقل الإنسان ما يجعل الذي في جزيرة العرب يسمع كلام الذي يكلمه من أمريكا أو اليابان أو الفلبين أو أستراليا أو غير ذلك من الأماكن البعيدة الشاسعة بواسطة التلفون حتى كأنَّه معه في مجلسه بينما المسافة بينهما قد تصل إلى ثلاثة عشر ألف كيلو أو خمسة عشر ألف كيلو متر، وهذا إنَّما نأخذه دليلاً لمن ضعف إيمانه، وقلَّ يقينه، أمَّا قدرة الله فهي فوق ذلك كلِّه، وقد ذكر بأنَّ الله إذا كلَّم موسى، ينزل عمودٌ من نور، فيسطع على كتفه الأيمن ويسمع الكلام منه[(٢)]، ونحن نؤمن بأنَّ الله كلَّم موسى، وأنَّ موسى يسمع كلام ربه على أيِّ كيفيةٍ شاء الله تعالى وهذه عقيدة أهل السنَّة والجماعة، ومن قال غير ذلك، فهو مبتدعٌ ضال وبالله التوفيق.

[١] قَولُه: (العقل مولودٌ) بمعنى أنَّه يولد مع الإنسان، وينمو بنموه فيبدأ العقل صغيراً، ثمَّ يكبر مع صاحبه، ولا شكَّ أنَّ العقول تتفاوت بحسب ما أعطى الله كلَّ إنسانٍ من العقل، ولقد أثنى الله عزَّ وجل في

---

(١) وفي نسخة الردادي: (ويطلب من كل إنسانٍ من العلم) بدلًا من العمل.

(٢) هذا الأثر أورد بنحوه الإمام ابن كثيرٍ رحمه الله في كتابه البداية والنهاية في ج١ فصل في دخول بني إسرائيل التيه وما جرى لهم فيه من الأمور العجيبة (تخريج الشيخ أحمد بن عبدالله الحكمي حفظه الله).

واعلم أنَّ الله فضَّل العباد بعضهم على بعض، في الدِّين، والدنيا، عدلاً منه لايقال: جار، ولا حابى، فمن قال: إنَّ فضل الله على المؤمن، والكافر سواء، فهو صاحب بدعةٍ، فضَّل الله المؤمن على الكافر، والطائع على العاصي، والمعصوم على المخذول عدلاً منه، هو فضله يعطيه من يشاء ويمنعه من يشاء [١].

القرآن، على أهل العقول، وأجمع أهل أصول الفقه على أنَّ العقل مناط التكليف، وإن كان يتفاوت، مع اختلافهم هل العقل في الدماغ أو في القلب؛ والقلب في الصدر، والدماغ في الرأس؟!

والظاهر أنَّ هناك ارتباطٌ بينهما، ولا يتمُّ عمل أحدهما إلاَّ بالآخر فالتفكير الذي في الدماغ لا يتمُّ إلاَّ بواسطة القلب فيما يظهر، ولكن الدماغ هو محطُّ التفكير، وموضع المعرفة، ومناط التكليف، وكلُّ إنسانٍ قد هيأه الله، بما هيأه به من الاستعداد، والتفكير والعقول تتفاوت في ذلك تفاوتاً عظيماً، نسأل الله أن يلهمنا رشدنا، وأن يعيذنا من شرِّ أنفسنا وقد اخترع الدجاجلة حديثاً للعقل، وهو حديثٌ موضوعٌ مكذوبٌ جاء فيه: «أوَّل ما خلق الله العقل، فقال له أقبل فأقبل، ثمَّ قال له أدبر فأدبر» وهذا الحديث موضوعٌ بإجماع العلماء(١) ولا شكَّ أنَّ العقل منحةٌ من الله للعبد به يتميز على سائر المخلوقات ومن أجله يستحق الثواب والعقاب وبالله التوفيق.

[١] *أقول:* إنَّ الله فاوت بين عباده، فاوت بينهم في العقول، وفاوت بينهم في الأجسام وفاوت بينهم في الاستعداد فضلاً منه تعالى وعدلاً، وفَّق المؤمن للإيمان وخذل الكافر بسبب ما عنده من الكفر.

---

(١) كما حكى الإجماع على ضعفه الإمام الصاغاني في كتاب كشف الخفاء في ج١/٣٠٩ وقد أشار إلى ضعفه صاحب كتاب فتح الباري في كتاب بدء الوحي باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ والفردوس للديلمي ج١/١٣ واللآلئ المصنوعة ج١/كتاب المبتدأ وفيض القدير ج٤/٥١٠ (تخريج الشيخ أحمد بن عبدالله الحكمي حفظه الله).

ولا يحل أن تكتم النصيحة أحداً من المسلمين برِّهم، وفاجرهم في أمر الدِّين، فمن كتم فقد غشَّ المسلمين، ومن غشَّ المسلمين فقد غشَّ الدِّين، ومن غشَّ الدِّين فقد خان الله، ورسوله، والمؤمنين [١].

ونحن نؤمن بأنَّ الله عزَّ وجل لا يأخذ عبداً من عباده إلاَّ بحجة، فله في عباده الحكمة البالغة وله عليهم الحجة الدامغة، لا يعذب أحداً إلاَّ بذنب وقد نزَّه نفسه عن الظلم فقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت: من الآية٤٦] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾ [النساء:٤٠]، وكتب السعادة والشقاوة على كلِّ خلقه فهذا سعيدٌ، وذاك شقي، وهذا موفقٌ، وهذا مخذول، وهذا عاصٍ وذاك مطيع وهذا عالمٌ، وذاك جاهل، وهذا غنيٌّ، وذاك فقير، ولم يكن ربنا سبحانه وتعالى يضع شيئاً في غير موضعه أو يعطي أحداً ما لا يستحقه:

﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ﴾ [القصص: من الآية٦٨].

لذلك، فإنَّ هذا المقطع أو هذه الفقرة تستلزم منَّا عقيدةً بأنَّ الله عزَّ وجل فاوت بين عباده فضلاً منه وعدلاً: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾ [الانبياء:٢٣]، فلا يقال لم جعل ذاك رسولاً، وجعل ذاك مخذولاً وجعل ذاك مؤمناً موفَّقاً، وجعل ذاك رجيماً مخذولاً؟! لا يقال ذلك لله بل يجب أن نعتقد أنَّ الله منزهٌ عن الظلم، وأنَّه يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لكنَّ فعله كله مبنيٌّ على الحكمة، والرحمة، والفضل، والعدل هذا ما يجب أن نعتقده في ربنا جلَّ وعلا، وهذه العقيدة هي التي تؤيدها النصوص القرآنية والنبوية، وهي التي أجمع عليها علماء أهل السنَّة والجماعة وبالله التوفيق.

[١] *أقول:* النصيحة معناها: الصفاء، والنقاء، يقال نصح اللبن إذا صفَّاه هذا تعريفها في اللغة.

وفي الشرع: إخبار المسلم بما يجب عليه لله أو لخلقه من دون مواربةٍ ولا مجاملة. وحكمها: الوجوب وإن كان ذلك الوجوب يتفاوت وضدها الغش.

والله سميعٌ بصير عليم، يداه مبسوطتان، قد علم الله أنَّ الخلق يعصونه قبل أن يخلقهم، علمه نافذٌ فيهم، فلم يمنعه علمه فيهم أن هداهم للإسلام ومنَّ به عليهم كرماً وجوداً وتفضلاً، فله الحمد [١].

وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «الدين النصيحة الدين النصيحة، الدين النصيحة قال الصحابة: لمن يا رسول الله قال: لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامَّتهم» رواه مسلم في كتاب الإيمان(١) وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللاً، فقال: «ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس من غش فليس مني»(٢) رواه مسلم، فالغش في البيع بكتم العيب، والغش في المشورة بأن تشاور على الإنسان ما يضرُّه في دينه أو دنياه.

أمَّا النصيحة لله: فهي بالإيمان به تعالى، وتوحيده، وتقديم طاعة الله على طاعة المخلوقين والخوف من الوقوف بين يديه، ومراقبته في السر والعلن، وأمَّا النصيحة لكتابه: فهي تكون بقراءته، وتدبر معانيه، والعمل بما فيه واعتقاد ما يدل عليه من الأخبار. وأمَّا النصيحة لرسول الله ﷺ فهي بتصديقه فيما أخبر، والامتثال لما أمر والانتهاء عمَّا نهى وإجلاله وتوقيره صلوات الله، وسلامه عليه. وأمَّا النصيحة لأئمة المسلمين: فهي طاعتهم فيما لم يكن معصيةً لله وعدم خيانتهم وإرسال النصائح لهم ممن يقدر على ذلك سرًّا، لأنَّ ذلك أدعى للقبول، وأمَّا النصيحة لعامة المسلمين: فبدعوتهم إلى الله وتعليمهم ما ينفعهم ووعظهم بالانتهاء عمَّا يضرهم، وبالله التوفيق.

[١] قَولُه: (والله سميعٌ بصير عليم) فيه إثبات صفة السمع، والبصر والعلم، وقَولُه: (يداه مبسوطتان) فيه إثبات اليدين لله تعالى، وإثباتهما

---

(١) باب بيان أن الدين النصيحة من حديث تميم الداري ﷺ.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا.

بالكتاب، والسنَّة، فأمَّا الكتاب: ففي قوله تعالى رداً على اليهود حين قالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: من الآية٦٤] قال تعالى: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة: من الآية٦٤].

وأمَّا السنَّة ففي قوله ﷺ: «يد الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض ما في يده، وقال: عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع»(١) رواه البخاري ومسلم.

وفي الحديث الآخر: «إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها»(٢) رواه مسلم.

قَولُه: (قد علم أنَّ الخلق يعصونه قبل أن يخلقهم) يؤخذ هذا من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ الآيات [البقرة: ٣٠ وما بعدها] ولم تقل الملائكة ذلك إلاَّ عن علم علمهم الله إيَّاه، ومع ذلك فإنَّ الله قد علم أنَّ في ذرية آدم الرسل والأنبياء، والمؤمنون الصالحون أولياء الله، وفيهم الكفار والمنافقون، والعصاة الفسقة، فقد خلقهم الله عزَّ وجل ليبلغ علمه فيهم ما قد كتبه لهم وعليهم، فالمهتدون أعزَّهم الله بهدايته تفضُّلاً منه وكرماً، وجوداً والكفار، والمنافقون، والفسَّاق خذلهم الله بسبب أعمالهم وإعراضهم عن دعوته، ودعوة رسله، وأوليائه المؤمنين، وكلٌّ من هؤلاء وهؤلاء بلغ علمه فيهم، ونفَّذ حكمه عليهم، وله عليهم الحجَّة الدامغة وله فيهم الحكمة البالغة: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الانبياء: ٢٣].

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ وفي باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الزكاة باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب التوبة باب قبول التوبة من الذنوب، وإن تكررت الذنوب والتوبة من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

واعلم أنَّ البشارة عند الموت ثلاث بشارات يقال: أبشر يا حبيب الله برضى الله والجنَّة، ويقال: أبشر يا عبدالله بالجنَّة بعد الانتقام[(١)].

ويقال: أبشر يا عدوَّ الله بغضب الله والنَّار، هذا قول: ابن عبَّاس[(٢)] [١].

---

[١] قَولُه: (واعلم أنَّ البشارة عند الموت ثلاث بشارات) يظهر أنَّ هذا التنوع بتنوع المقامات، فالمؤمنون المتقون الأبرار، وفوقهم السابقون وهم المقربون يبشرون بالجنَّة من دون وعيدٍ بالعذاب (أبشر يا حبيب الله برضى الله والجنَّة) وللعصاة من المسلمين بشارةً بالجنَّة بعد بلوغ الوعيد فيهم وهم الظالمون لأنفسهم (أبشر يا عبدالله بالجنَّة بعد الانتقام) وهاتين البشارتين لمن خصَّهم الله سبحانه وتعالى بمتابعة الأنبياء، فمنهم من تابع الأنبياء متابعةً تامَّة، وكان سبَّاقاً إلى الخير، ومنهم من هو دون ذلك قليلاً لكنَّه لا يدخل في أهل الوعيد: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢]. فالمقتصدون، والسابقون بالخيرات بشارتهم خاصة سالمة عن الوعيد فهي تامَّة في حقِّهم، وأنَّهم يدخلون الجنَّة بدون عذابٍ في النار. أمَّا الظالمون لأنفسهم، فهم الذين يتوعدون بالعذاب، وهم تحت المشيئة إن شاء الله عاقبهم ثمَّ أخرجهم من النار، وأدخلهم الجنَّة، فهؤلاء لهم بشارةٌ ممزوجةٌ بشيءٍ من الوعيد.

أمَّا الكفَّار والمنافقون فهؤلاء بشارتهم بالنار، وضيافتهم في نار جهنَّم قال الله تعالى عنهم في سورة الواقعة بعد ذكر أنواع من العذاب: ﴿هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥٦]، والعياذ بالله، وبالله التوفيق.

---

(١) وفي نسخة الردادي: (أبشر يا عبدالله بالجنة بعد الإسلام).

(٢) قال الشيخ الردادي حفظه الله: انظر تفسير ابن كثير (٥٣١/٢ - ٥٣٨) والتذكرة للقرطبي (٦٧/١ - ٧٢) وشرح الصدور (ص٩١ - ١٣١) للسيوطي. اهـ.

واعلم أنَّ أوَّل من ينظر إلى الله تعالى في الجنَّة الأضرَّاء، ثمَّ الرجال، ثمَّ النساء، بأعين رؤوسهم، كما قال رسول الله ﷺ: «إنَّكم سترون ربَّكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته»(١) والإيمان بهذا واجبٌ، وإنكاره كفر [١].

---

[١] *أقول:* النظر إلى الله في الجنَّة مقطوعٌ به، وهو من عناصر الإيمان أي ممَّا يجب علينا أن نؤمن به، وقد دلت على ذلك الأدلة من كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ وإجماع سلف الأمَّة.

الدليل الأول على ذلك من كتاب الله: ما جاء في سورة القيامة في الآيات ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] فقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝﴾ أي من النضرة، وهي الحُسْنُ، والبهاء والجمال ثمَّ قال تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ أي ناظرةٌ إلى ربها نظرة تمتع بأن يُنظر إلى وجهه جلَّ وعلا، وفي قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ دليلٌ واضحٌ على رؤية الله في الآخرة.

الدليل الثاني: قول الله تعالى في سورة يونس: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: من الآية٢٦]، فالحسنى هي الجنة، والزيادة، هي النظر إلى وجه الله.

أمَّا من السنَّة، فالأدلة على ذلك كثيرةٌ مشهورة: منها حديث جرير بن عبدالله البجلي ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّكم سترون ربَّكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تُضَامُون في رؤيته»(٢) أو «لا تَضَامُّون في رؤيته»(٣) وفي رواية: «لا تُضارُّون في رؤية أحدهما»(٤) أو: «تَضارُّون في رؤيته»(٥)

---

(١)(٢) الحديث قد سبق تخريجه.

(٣) الحديث بهذه اللفظة أخرجها ابن ماجة رحمه الله في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية.

(٤) الحديث قد سبق تخريجه.

(٥) الحديث بهذه اللفظة أخرجها ابن ماجة رحمه الله في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية.

كلُّ ذلك قد ورد والمعنى أنّه لا يضر بعضكم بعضاً في رؤيته وقد جاء في الحديث: «أن أناساً في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: نعم. هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا. قال وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا. قال النبي ﷺ: ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما»[(١)] ومعنى: «تَضَامُّون»: أي لا تحتاجون أن ينضمَّ بعضكم إلى بعض كما تحتاجون إلى ذلك في رؤية الأشياء الخفية، ورواية: «لا تُضَامُون» بضمِّ التاء المثنَّاة من فوق، وفتح الضاد أخت الصاد وضمَّ الميم بعدها مخفَّفة، من الضيم: أي لا يضيم بعضكم بعضاً: أي يغلب بعضكم بعضاً.

ولهذه الأدلة فقد أجمع السلف رحمهم الله من الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين لهم بإحسان من أهل السنَّة والجماعة، أجمعوا على رؤية الله في الجنَّة، للأدلة الدالة على ذلك[(٢)].

أمَّا الترتيب الذي ذكره: (أنَّ أوَّل من ينظر إلى الله تعالى في الجنَّة الأضرَّاء، ثمَّ الرجال ثمَّ النساء، بأعين رؤوسهم) فلا أعرف دليلاً في ذلك، والله تعالى أعلم.

قوله: (والإيمان بهذا واجبٌ) لا شكَّ أنَّ الإيمان بكلِّ ما أخبر الله عنه في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ واجبٌ على كلِّ مسلم، ولا يكون العبد مؤمناً إلاَّ أن يؤمن بالغيبيات التي أخبر الله عنها في كتابه، وأخبر عنها رسوله ﷺ في سنَّته، أمَّا قوله: (وإنكاره كفر) فلعلَّ المراد به أنَّه كفرٌ دون كفر، وكونه كفرٌ بما دلت عليه الأدلة هذا لا شكَّ فيه، وكونه مخرجٌ من الملة هذا فيه نظر، والله تعالى أعلم.

---

(١) الحديث قد سبق تخريجه.

(٢) هذه الرواية وردت عند البخاري في كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] وفي كتاب تفسير القرآن باب قوله ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾.

واعلم أنَّها لم تكن زندقةٌ، ولا كفرٌ، ولا شكوكٌ ولا بدعةٌ، ولا ضلالةٌ، ولا حيرةٌ في الدِّين إلاَّ من الكلام، وأهل الكلام، والجدل والمراء، والخصومة، والعجب، وكيف يجترئ الرجل على المراء، والخصومة، والجدال والله يقول: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: من الآية٤] **فعليك بالتسليم، والرضا بالآثار، والكفِّ والسكوت [١].**

[١] قول المؤلف: (واعلم أنَّها لم تكن زندقةٌ، ولا كفر) أقول: حصر الزندقة في الكلام، وأهل الكلام، وأهل الجدل، والمراء، والخصومة حصر أغلبية، وإلاَّ فقد تكون الزندقة، والكفر لأسباب غير الكلام، ونعوذ بالله من كلِّ أسباب الزندقة، والكفر والشكوك، والبدع، لكنَّ هذا قد يكون غالباً فيمن يتعلمون الكلام، ويتعلمون ضروب الجدل، والمراء، والخصومة والعجب، والواجب هو عدم الإعجاب بالنفس، وكون الإنسان بارعاً في الجدل، والمراء، والخصومة، لأنَّ هذا مذمومٌ في الشرع إلاَّ إذا كان لإظهار الحق، وقد جاء في الحديث الصحيح من حديث عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قال: «أبغض الرجال إلى الله الألد الخصِم»(١) وفي رواية للترمذي: «إن الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة»(٢) ثمَّ قال المؤلف رحمه الله: (وكيف يجترئ الرجل على المراء والخصومة والجدال،

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب المظالم والغصب باب قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ وفي كتاب تفسير القرآن باب وهو ألد الخصام، وفي كتاب الأحكام باب الألد الخصم وهو الدائم في الخصومة، وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب العلم باب في الألد الخصم.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الأدب باب ما جاء في الفصاحة والبيان وفي رواية أخرى لأبي داود في كتاب الأدب باب ما جاء في المتشدق في الكلام بلفظ: «إنَّ الله عز وجل يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه تخلل الباقرة بلسانها» وكذا رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة برقم ٦٥٠٧ وهذا الحديث صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع في ج١/٣٨٢ برقم ١٨٧٥.

والإيمان بأنَّ الله يعذب الخلق في النار في الأغلال، والأنكال والسلاسل، والنار في أجوافهم، وفوقهم، وتحتهم، وذلك أنَّ الجهمية منهم هشام الفوطي(١) قال: إنَّما يعذب الله عند النار ردًا على الله ورسوله [١].

والله يقول: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: من الآية٤]، فعليك بالتسليم، والرضا بالآثار، والكف والسكوت) وأقول: إنَّ الذي ينبغي للمسلم التسليم بما جاء عن الله عزَّ وجل في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ، والكف والسكوت عمَّا سوى ذلك علماً بأنَّ التسليم لمَّا جاء عن الشارع ﷺ يكون تسليم رضا، وقبول وإيمانٌ، وتصديق، وعمل بما يحتاج إلى عمل واعتقاد بما يلزم فيه الاعتقاد قال الله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾ [العصر]، ومعنى آمنوا صدَّقوا.

[١] إنَّ الله سبحانه وتعالى قد أخبرنا عن أهل النار، وأنَّ لهم سلاسلاً وأغلالاً والسلاسل: جمع سُلْسُلة أو سِلْسِلة، وهي الحِلق المترابطة قال الله عزَّ وجل: ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة: ٣٢] وقال جلَّ من قائل: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾ [الانسان: ٤] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٧٠ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٧٣ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧٤﴾ [غافر: ٧٠ ـ ٧٤].

---

(١) ذكر الشيخان المحققان لهذا المتن (القحطاني والردادي) جزاهما الله خيراً أنَّ هشام الفوطي هو بضم الفاء وإسكان الواو ابن عمر وكان من أصحاب أبي الهذيل داعية الاعتزال انظر لسان الميزان ١٩٥/٦ وانظر حول آرائه وبدعه الفصل لابن حزم ٦٢/٥ وانظر الفهرست لابن النديم ص٢١٤.

واعلم أنَّ صلاة الفريضة خمس صلوات لا يزاد فيهنَّ، ولا ينقص في مواقيتها، وفي السفر ركعتان إلاَّ المغرب، فمن قال أكثر من خمس فقد ابتدع، ومن قال أقل من خمس، فقد ابتدع لا يقبل الله شيئاً منها إلاَّ لوقتها إلاَّ أن يكون نسياناً، فإنه معذور يأتي بها إذا ذكرها أو يكون مسافراً، فيجمع بين الصلاتين إن شاء [١].

إلى غير ذلك من الآيات.

والأغلال: جمع غل، وهو ما تغلُّ به الأيدي إلى الأعناق.

والأنكال: جمع نِكل، وهو الحديد الثقيل، والله أعلم.

وكل هذا ثابتٌ كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾ [المزمل: ١٢ - ١٣] فمن أنكر ذلك من الجهمية فموعده عند الله، ومن مات فقد لقي ذلك أو بعضه.

ولكنَّ العبرة في المبتدعة أنَّهم ينتقلون من بدعةٍ إلى بدعةٍ أشد، فكما عطَّلوا صفات الله عزَّ وجل أنكروا ما أخبر به من أنواع العذاب التي يعذب الله بها أهل النار.

وفي هذا مصداقٌ لما ورد: (أنَّ من عقوبة السيئة السيئة بعدها، ومن ثواب الحسنة الحسنة بعدها[١]) اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من مضلاَّت الفتن وعمى البصائر، وبالله التوفيق.

[١] *أقول:* لقد قام الإجماع مستنداً إلى الأدلة الشرعية على أنَّ الصلاة المفروضة خمس صلوات، فمن قال إنَّها أكثر من خمسٍ كفر، ومن قال إنَّها[٢] أقل من خمسٍ كفر، وقد ورد عن النبي ﷺ في أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما، منها أحاديث الإسراء، وأنَّ الصلاة

---

(١) انظر تفسير ابن كثير سورة ال عمران آية ١٥٥ والتوبة آية ٨٣ وغيرها وانظر جامع العلوم واالحكم ج١/٣٤٢ (الحكمي).

(٢) أي أنَّ الصلاة المكتوبة خمس صلوات في كل يومٍ وليلة.

فرضت خمسين وأنَّ موسى عليه السلام أشار على النبي ﷺ بمراجعة ربه حتى قال الله تعالى في الحديث القدسي: «هي خمسٌ، وهي خمسون لا يبدل القول لديَّ»(١) أي خمسٌ في الفعل وخمسون في الأجر، والحسنة بعشر أمثالها، وقد ورد ذلك في أحاديث في تعليم النبي ﷺ الناس لأركان الإسلام، فهل يمكن أن يقول أحدٌ ممن ينتسبون إلى الإسلام أنَّ الصلوات المفروضة أكثر من خمس أو أقل من قال خلاف ذلك فقد كفر، وقد أشار القرآن إلى الخمس بقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة:٢٣٨] وقَولُه تعالى: ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ دليلٌ على أنَّها خمس وهي المتوسطة بين اثنتين في الليل، واثنتين في النهار.

أما قول المؤلف هنا: (فقد ابتدع) فهذا من خلاف عادته إذ أنَّه كثيراً ما يطلق الكفر على ما هو دون الكفر، وهنا أطلق الابتداع، علماً بأنَّ من قال: أنَّ الصلاة المفروضة أكثر من خمسٍ أو أقل فقد كفر بإجماع أهل العلم المستند إلى التواتر، ثمَّ أيضاً هذه الخمس كلُّ واحدةٍ منها معروفة بعدد ركعاتها، فالصبح ركعتان، والظهر والعصر أربع، أربع، والمغرب ثلاث، والعشاء أربع، ولا يجوز أن تصلَّى في الحضر أقلَّ من ذلك، ومن فعل ذلك مدَّعياً أنَّ الصلاة قد نقصت أو زاد فيها مدعياً فيها الزيادة، فإنَّه يعرَّف إذا كان جاهلاً، فإن أصرَّ كفر، فعدد ركعاتها مأخوذةٌ بالنقل المتداول نقل كافَّةٍ عن كافَّة من زمن النبي ﷺ إلى هذا الزمن ولا يجوز أن تصلَّى أقلَّ من ذلك إلاَّ في السفر فتقصر الرباعية إلى ركعتين كما دلت على ذلك الأدلة ومن زعم أنَّ المغرب أو الصبح يقصران عرِّف فإن أصرَّ كفر.

وكذلك مواقيتها مأخوذةٌ بالتداول كافَّة عن كافَّة نقل فعلٍ، ونقل قولٍ إذ كان كلُّ فريضةٍ من الفرائض لها وقت مستقل، ولوقتها أوَّلٌ وآخر، فلا يجوز تقديمها عن وقتها ولا تأخيرها عنه إلاَّ أنَّه يجوز للمسافر الجمع بحكم السفر جمع تأخير بالإجماع، وجمع تقديم على رأي بعض أهل العلم الذين

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

صحَّ عندهم الحديث به، ويجوز للمريض الجمع دفعاً للمشقة الحاصلة بصلاة كلِّ فريضةٍ في وقتها، ومن جعل مواقيت الصلاة ثلاثة كالشيعة الذين يستبيحون الجمع دائماً فيجمعون العصر إلى الظهر في وقت الظهر ويجمعون العشاء إلى المغرب في وقت المغرب استناداً إلى قول بعض أئمتهم فمن فعل ذلك منهم واعتقد جوازه فإنَّه مبتدعٌ ضالٌ، كما أنَّ من جمع العصر إلى المغرب أو العشاء إلى الفجر فإنَّه ضالٌ أيضاً.

إذن إنَّ الجمع لا يكون إلاَّ بين فريضتين مشتركتين في الوقت كالظهر مع العصر، والمغرب مع العشاء.

ومن ترك الصلاة عامداً حتى مرَّ وقتها فقد كفر للأدلة الصحيحة الدالة على ذلك منها: قوله ﷺ: «بين الرجل، وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»(١) ومنها قوله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»(٢) إلى غير ذلك من الأدلة، وقد ذهب الجمهور إلى عدم كفر تارك الصلاة، ومع ذلك فقد قال كثيرٌ منهم يستتاب، فإن تاب وإلاَّ قتل حدًّا والمسألة فيها خلاف بين أهل العلم، والله تعالى أعلم، إلاَّ أنَّ من تركها بعذر النسيان أو النوم فإنَّه يجب أن يصليها إذا ذكرها لحديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال نبي الله ﷺ: «من نسي صلاة أو نام عنها فكفارتها أن يصليها إذا ذكرها»(٣) ولأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: من الآية١٤]. وبالله التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب الإيمان باب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة من حديث جابر بن عبدالله.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب الإيمان باب ما جاء في ترك الصلاة وأخرجه النسائي في كتاب الصلاة باب الحكم في تارك الصلاة وأخرجه الإمام ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء فيمن ترك الصلاة وأخرجه الإمام أحمد في باقي مسند الأنصار من حديث بريدة عن أبيه رضي الله عنهما برقم الحديث ٢١٨٥٩ والحديث أشار إلى صحته الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع في ج١١١٨/٢ برقم الحديث ٦٥٦٩ وأشار رحمه الله فيه إلى الإرواء برقم ٢٦٣.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، وأخرج نحوه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة باب من نسي صلاة فليصل إذا ذكر.

والزكاة من الذهب، والفضة، والتمر، والحبوب والدواب على ما قال رسول الله ﷺ فإن قسمها فجائز، وإن دفعها إلى الإمام فجائز، والله أعلم [١].

---

[١] *أقول:* الزكاة في الذهب والفضة ربع العشر، ونصاب الفضة خمسمائة جرام وخمسةٌ وتسعون جراماً، وهي مائتا درهم، وبالنقود المتداولة وهو الريال السعودي النصاب خمسون ريالاً، فلا يجب فيما دونه.

أمَّا نصاب الذهب، فهو عشرون مثقالاً، والمثقال أربعة جرامات وثلاثة وعشرون بالمائة من الجرام الخامس، وقد كملوا اثنين بالمائة واحتسبوا نصاب الذهب عشرون مثقالاً كلٌّ مثقال أربعة جرامات وربع.

والتمر وما في معناه كالعنب نصابها خمسةِ أوسق.

وكذلك الحبوب المقتاتة كالبر، والشعير، والذرة، والدخن، والأرز هذه نصاب كلٌّ منها خمسةِ أوسق، والوسق ستون صاعاً نبوياً، وخمسة عشر صاعاً بالصاع الكبير المتداول في جهتنا أي مقاطعة جازان في جنوب غرب المملكة العربية السعودية. أمَّا الدواب، فأنصبتها معروفة(١) ومتداولة.

قَولُه: (فإن قسَّمها فجائز، وإن دفعها إلى الإمام فجائز) أقول: إنَّ دفع

---

(١) فالدواب التي تجب فيها الزكاة هي بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم والنصاب فيها ما ورد في السنة فقد روى البخاري في كتاب الزكاة باب زكاة الغنم قال حدثنا محمد بن عبدالله بن المثنى الأنصاري قال حدثني أبي قال حدثني ثمامة بن عبدالله بن أنس أنَّ أنسا حدثه: «أن أبا بكر رضي الله عنه كتب له هذا الكتاب لما وجهه إلى البحرين بسم الله الرحمن الرحيم هذه فريضة الصدقة التي فرض رسول الله ﷺ على المسلمين والتي أمر الله بها رسوله فمن سئلها من المسلمين على وجهها فليعطها ومن سئل فوقها فلا يعط في أربع وعشرين من الإبل فما دونها الغنم في كل خمس شاة إذا بلغت خمسا وعشرين إلى خمس وثلاثين ففيها بنت مخاض أنثى فإذا بلغت ستا وثلاثين إلى خمس وأربعين ففيها بنت لبون أنثى فإذا بلغت ستا وأربعين إلى ستين ففيها حقة طروقة الجمل فإذا بلغت واحدة وستين إلى خمس وسبعين ففيها جذعة فإذا بلغت يعني ستا وسبعين إلى تسعين ففيها بنتا لبون فإذا بلغت إحدى وتسعين إلى عشرين ومائة ففيها حقتان طروقتا الجمل فإذا زادت على عشرين ومائة ففي كل أربعين بنت لبون وفي كل خمسين =

الزكاة إلى الإمام هذا هو الواجب، فإن أمر الإمام بردها على الفقراء عند ذلك يقسمها الجابي هذا هو قول أهل السنَّة والجماعة، وأنَّه لا يوكل إلى من وجبت عليه الصدقة قسمتها إلَّا في زكاة الفطر، والأموال السرية وهي النقود الخفية. وما عدى ذلك، فتدفع إلى الإمام هذا قول أهل السنَّة ومن خالف ذلك فهو مبتدعٌ، إذ لو قلنا بما قاله المؤلف لأمكن أن يدِّعي كثيرٌ ممن وجبت عليه الزكاة أن يدَّعي أنَّه قسَّمها، وبرئت ذمته منها وهذا خلاف ما دلت عليه السنَّة، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: «بعث رسول الله ﷺ عمر ﷺ على الصدقة فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد، والعباس عم رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله، وأما خالدٌ فإنكم تظلمون خالداً قد احتبس

= حقة ومن لم يكن معه إلا أربع من الإبل فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها فإذا بلغت خمسا من الإبل ففيها شاة وفي صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين إلى عشرين ومائة شاة فإذا زادت على عشرين ومائة إلى مائتين شاتان فإذا زادت على مائتين إلى ثلاث مائة ففيها ثلاث شياه فإذا زادت على ثلاث مائة ففي كل مائة شاة فإذا كانت سائمة الرجل ناقصة من أربعين شاة واحدة فليس فيها صدقة إلا أن يشاء ربها وفي الرقة ربع العشر فإن لم تكن إلا تسعين ومائة فليس فيها شيء إلا أن يشاء ربها» وبنت مخاض: ما تمَّ له سنة وبنت لبون: هي ما تمَّ لها سنتان، والحقة: ما تمَّ لها ثلاث سنين والجذعة: ما تمَّ لها أربع سنين وعن معاذ ﷺ قال: «لما بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن أمره أن يأخذ من كل ثلاثين من البقر تبيعا أو تبيعة، ومن كل أربعين مسنة ومن كل حالم دينارا أو عدله معافري» الحديث أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة باب زكاة السائمة والترمذي في كتاب الزكاة باب ما جاء في زكاة البقر وقال عنه حديثٌ حسن وابن ماجة في كتاب الزكاة باب صدقة البقر والنسائي في كتاب الزكاة باب زكاة البقر وصححه ابن حبان والحاكم، والتبيع والتبيعة: ما تمَّ له سنة من البقر والمسنة: ما تمَّ لها سنتان وذكر أهل العلم أنَّ هذه البهائم لا تجب فيها الزكاة بعد بلوغها النصاب المحدد شرعاً إلَّا بشرطين:

١ـ أن تكون سائمةً أي راعيةً في جميع الحول أو أكثره في الصحاري أو الغابات أو نحوها فإن لم تكن سائمةً فلا زكاة فيها إلَّا إن أعدت للتجارة فتزكى زكاة عروض التجارة.

٢ـ أن تكون معدةً للاستفادة من ألبانها ونسلها فإن كانت للعمل عليها بالحرث أو سقي أو غيرهما لم تجب فيها الزكاة، وبالله التوفيق.

اعلم أنَّ أول الإسلام: شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله وأنَّ ما قال الله كما قال، ولا خلاف لما قال، وهو عند ما قال [١].

أدراعه، وأعتاده في سبيل الله، وأما العباس، فهي علي ومثلها معها ثم قال: يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه»(١) فهذا دليلٌ من الأدلة وواحدٌ من عدَّة أحاديث، والتي تدل على أنَّ النبي ﷺ كان يرسل الجباة لجمع الصدقات ممن تجب عليهم، وبالله التوفيق.

[١] قوله: (اعلم أنَّ أول الإسلام: شهادة أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ محمداً عبده ورسوله) أي أنَّه لا يدخل أحدٌ في الإسلام إلاَّ بأن يقول هاتين الجملتين معترفاً بهما مصدِّقاً بما تضمنته بأنَّ الألوهية لا تنبغي إلاَّ لله، وأنَّ كلَّ إلهٍ سوى الله باطل، وأنَّ محمداً عبد الله ورسوله لا تصح العبادة إلاَّ أن تكون على ما شرع، ولايصح إسلام عبدٍ إلاَّ أن يشهد له بالرسالة ويذعن لحكمه ﷺ كما قال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء:٦٥]، وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب:٣٦]. قوله: (وأنَّ ما قال الله كما قال) أي أنَّ ما أخبر الله به عن الماضي أو المستقبل من أخبارٍ فهي كما قال، وما أمر من أوامر فهي كما أمر واجبٌ تنفيذها، وما نهى من نواهي فهي كما نهى يحرم إتيانها، فأخباره تعالى صدقٌ وحق لا تتخلَّف أبداً يجب أن نؤمن بذلك حقَّ الإيمان ونصدقه حقَّ التصديق، ولا يخالجنا شكٌّ في تصديق أخباره، ووجوب فعل أوامره وتحريم فعل مناهيه، وأنَّ من وقف عند ذلك، فهو المؤمن حقًّا، وبالله التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ في صحيحه في كتاب الزكاة باب في تقديم الزكاة ومنعها. وأخرج نحوه البخاري في كتاب الزكاة أيضاً باب قول الله تعالى: ﴿وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

والإيمان بالشرائع كلها [١].

واعلم أنَّ الشراء والبيع حلالٌ إذا بيع في أسواق المسلمين على حكم الكتاب والسنَّة من غير أن يدخله تغرير أو ظلم أو[١] غدرٌ أو خلافٌ للقرآن أو خلافٌ للعلم [٢].

---

[١] *وأقول:* يجب علينا نحن المسلمين أن نؤمن بالشرائع جميعاً؛ إيماناً إجمالياً فيما أجمل الله، وتفصيلياً فيما فصَّل الله عزَّ وجل.

فما أخبر الله عز وجل في كتابه بأنَّه شرعه لأهل الكتاب قبلنا يجب علينا أن نؤمن به مفصَّلاً كقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: من الآية٤٥] وما عدا ذلك أي غير الذي فصَّله القرآن نؤمن به إجمالاً، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: من الآية٢٨٥]. قال السلف: (نؤمن بالله وبما جاء عن الله على مراد الله ونؤمن برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ)[٢] وبالله التوفيق.

[٢] البيع والشراء قد بينهما الله في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ بيَّن ما أحل، وبيَّن ما حرم، وأنكر على من جعل البيع مثل الربا، وتوعدهم بما تضمنته آية البقرة حينما قالوا: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: من الآية٢٧٥] وردَّ عليهم بقوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: من الآية٢٧٥] إذاً فكلُّ بيع حلال إذا لم يخالف كتاب الله أو يخالف شيئاً من الأحكام الفقهية أي الاعتقادية منها والعملية والبيوع المباحة معلومة عند المسلمين معروفة بشروطها في كتب الشرع المتداولة من تفسيرٍ وحديث، وفقهٍ، وغير ذلك فمن حرَّم ما أحلَّ الله أو أحل ما حرم الله فهو الظالم

---

(١) وفي نسخة الردادي: (من غير أن يدخله تغييرٌ أو ظلم أو جور أو غدر).

(٢) انظر في اول كتاب لمعة الاعتقاد وهو من قول الإمام محمد بن إدريس الشافعي (تخريج الشيخ عبدالله بن محمد النَّجمي حفظه الله).

واعلم أنَّه ينبغي للعبد أن تصحبه الشفقة أبداً ما صحب الدنيا، لأنَّه لا يدري على ما يموت عليه، وبم يختم له، وعلى ما يلقى الله عزَّ وجل، وإن عمل كلَّ عملٍ من الخير وينبغي للرجل المسرف على نفسه ألاَّ يقطع رجاءه عند الموت(١)، ويحسن ظنَّه بالله ويخاف ذنوبه، فإن رحمه الله فبفضله، وإن عذَّبه فبذنبه [١].

المعتدي يُردُّ عليه قوله. والأحكام الشرعية بينةٌ ظاهرةٌ واضحة ترتادها أمَّة محمدٍ ﷺ من عصر الصحابة إلى الآن قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء:١١٥] وبالله التوفيق.

[١] قوله: (واعلم أنَّه ينبغي للعبد أن تصحبه الشفقة أبداً ما صحب الدنيا لأنَّه لا يدري على ما يموت عليه، وبم يختم له) وأقول: إنَّ الواجب على العبد أن يكون في هذه الدنيا بين الخوف والرجاء كما تقدم لنا الكلام على ذلك(٢)، وقد قرر أهل العلم أنَّه ينبغي للمسلم أن يكون الخوف عليه أغلب في حال صحته، وأن يكون الرجاء عليه أغلب عند الموت، وقد جاء في الحديث عن أنس ﷺ: «أن النبي ﷺ دخل على شاب وهو في الموت فقال: كيف تجدك؟ قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله، وإني أخاف ذنوبي، فقال رسول الله ﷺ: لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو، وآمنه مما يخاف»(٣) رواه ابن ماجة والترمذي واللفظ له، وقال عنه الترمذي:

---

(١) وفي نسخة الردادي: (أن لا يقطع رجاءه من الله تعالى عند الموت).

(٢) تقدم الحديث عن ذلك في شرح المتن.

(٣) الحديث أخرجه الإمام ابن ماجة في سننه في كتاب الزهد باب ذكر الموت والاستعداد له وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب الجنائز باب ما جاء أنَّ المؤمن يموت بعرق الجبين. قال الإمام الألباني رحمه الله في مشكاة المصابيح ج١/٥٠٦ برقم ١٦١٢: «وفي نسختنا من السنن (١/١٨٤) حسن غريب وهذا هو اللائق بحال إسناده فإنَّ رجاله ثقات وفي سيار بن حاتم كلام لا يضر فالسند حسن». اهـ

هذا حديث حسن غريب، وقد روى بعضهم هذا الحديث عن ثابت عن النبي ﷺ مرسلاً.

اللهمَّ لا تأمنَّا مكرك، ولا تله قلوبنا عن ذكرك، ولا تولِّ علينا غيرك اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه، ونفثه، ونفخه، ونزغاته اللهمَّ آمين.

ثمَّ قال: (لأنَّه لا يدري على ما يموت عليه) هذه الجملة تعليلية كما تقدَّم من وجوب استصحاب الخوف من تقليب القلوب، وتحويلها عمَّا كانت عليه من الإيمان إلى الخذلان فإنَّ الله إذا تخلَّى عن العبد تسلطت عليه الشياطين، وألقته فيما يوقع له الشكوك، وشككته في حقائق الإيمان حتَّى يموت كافراً والعياذ بالله، فيستحق الخلود في النار، وقد أخبر الله عزَّ وجل عن قوم بأنَّه قلَّب أفئدتهم وأبصارهم فقال جلَّ من قائل: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام:١١٠]، وكما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: من الآية٥]، فالإنسان لا يدري كيف يكون حاله في المستقبل فينبغي له أن يستشعر الخطر ما دام حيًّا، ولهذا فقد كان النبي ﷺ مع أنَّه رسول الله دائماً يدعو بقوله: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك يا مصرف القلوب صرِّف قلبي على طاعتك، فعن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فقلت يا رسول الله: آمنا بك، وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء»(١) قال أبو عيسى الترمذي: وفي الباب عن

(١) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب القدر باب ما جاء أنَّ القلوب بين أصبعي الرحمن وفي كتاب الدعوات باب دعاء يوم عرفة وأخرجه الإمام ابن ماجة أيضاً في سننه في المقدمة باب فيما أنكرت الجهمية وفي كتاب الدعاء باب دعاء رسول الله ﷺ وأخرجه الإمام أحمد رحمهم الله جميعاً في باقي مسند المكثرين برقم ١١٦٩٧ وبرقم ٩١٣٩. وقد أشار الألباني رحمه الله إلى صحته في صحيح سنن الترمذي برقم ٢١٤٠ في الباب المذكور سابقاً وكذا في صحيح سنن ابن ماجة برقم ٣٨٣٤ في نفس الباب الذي تقدم ذكره.

والإيمان بأنَّ الله تعالى أطلع نبيه ﷺ على ما يكون في أمته إلى يوم القيامة [١].

النواس بن سمعان، وأم سلمة، وعبدالله بن عمرو وعائشة، وهذا حديث حسن، وهكذا روى غير واحد عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس، وروى بعضهم عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ وحديث أبي سفيان عن أنس أصح، وفي رواية لمسلم: «إنَّ قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء، ثم قال رسول الله ﷺ: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك»(١) لذلك فإنَّه ينبغي أن ندعو بهذا الدعاء، وأن نخاف من سوء الخاتمة؛ نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

قَولُه: (وعلى ما يلقى الله عز وجل) أي وعلى أيِّ شيءٍ يلقى الله. هل يلقاه على عمل خيرٍ وطاعة أو على عمل شرٍّ ومعصية؟!!

ثمَّ قال: (وينبغي للرجل المسرف على نفسه ألاَّ يقطع رجاءه عند الموت وأن يحسن ظنَّه بالله ويخاف ذنوبه) قد سبق لنا الحديث بذلك(٢)، وقوله ﷺ: «لا يموتنَّ أحدكم إلاَّ وهو يحسن الظنَّ بالله»(٣) قوله: (وإن رحمه الله فبفضله وإن عذَّبه فبذنبه) أقول: إنَّ كلَّ موحدٍ تحت مشيئة الله إن رحمه الله فبفضله وإن عذَّبه فبعدله، ولا يظلم ربك أحداً، وبالله التوفيق.

[١] ***وأقول:*** إنَّ هذا القول فيه شيء من الإجمال، فالله سبحانه وتعالى لم يطلع نبيه على كلِّ شيءٍ يكون في أمَّته إلى يوم القيامة؛ لأنَّ هذا من

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب القدر باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء.
(٢) الحديث سبق تخريجه في الصفحة السابقة.
(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في صفة الجنة ونعيمها باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنه.

واعلم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ستفترق أمتي على ثلاثٍ وسبعين

علم الغيب الذي اختص به ربُّ العزة والجلال، ولكن أطلعه على بعض الوقائع وبعض الأمور، ولهذا ورد في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيت لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دُهْم بُهْمٍ ألا يعرف خيله؟! قالوا: بلى يا رسول الله قال: فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض ألا ليُذَادنَّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال أناديهم ألا هلم فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً»[1] فهذا دليلٌ على أنَّه لم يخبر بجميع ما يكون في أمته لكن أخبر ببعض الأشياء التي لها تأثيرٌ فأخبر النبي ﷺ ببعضِ ذلك كما هو مدوَّنٌ في كتب السنة وليس معنا ذلك أنَّه اطلع على كلِّ ما يجري من أمته، ويجري فيهم وعليهم كما يعتقده بعض الناس، وقد بحثت ذلك في ردِّي على ابن الحاج في كتاب أوضح الإشارة في الرد على من أجاز الممنوع من الزيارة فارجع إلى ذلك البحث فإنَّه مفيدٌ في بابه وذلك من فضل الله وإحسانه وتوفيقه وإيَّاك يا طالب العلم أن تني أو تتكاسل عن هضم هذه المسألة فإنَّها مهمَّة جداً، وببحثها وهضمها تتخلص من العقائد الشركية وتعرف مذهب السلف جيداً في هذا الباب، وبالله التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء وفي كتاب الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته.
وأخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الرقاق باب في الحوض وفي كتاب الفتن باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ وما كان النبي ﷺ يحذر من الفتن.

فرقة كلها في النار إلاَّ واحدة» وهي الجماعة، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»(١) وكان الدين إلى خلافة عمر بن الخطاب ﷺ الجماعة كلها وهكذا في زمن عثمان. فلما قتل عثمان ﷺ جاء الاختلاف والبدع، وصار الناس فرقاً فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير، وقال به، وعمل به ودعا إليه وكان الأمر مستقيماً حتى كانت الطبقة الرابعة في خلافة فلان(٢) انقلب الزمان، وتغير الناس جدًّا، وفشت البدع، وكثر الدعاء إلى غير سبيل الحق والجماعة، ووقعت المحنة في كل شيء لم يتكلم به رسول الله ﷺ ولا أحدٌ من الصحابة، ودعوا إلى الفرقة.

وقد نهى الله عزَّ وجل عن الفرقة، وكفَّر بعضهم بعضاً وكلٌّ دعا إلى رأيه وإلى تكفير من خالفه، فضلَّ الجهَّال والرعاع ومن لا علم له وأطمعوا الناس في شيءٍ من أمر الدنيا وخوفوهم عقاب الدنيا فاتبعهم الخلق على خوف في دينهم(٣)، ورغبةً في دنياهم فصارت السنَّة، وأهل السنَّة مكتومين، وظهرت البدعة وفشت، وكفروا من حيث لا يعلمون من وجوه شتَّى ووضعوا القياس وحملوا قدرة الرب وآياته وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم وآرائهم، فما وافق عقولهم قبلوه، وما خالف عقولهم ردوه، وصار الإسلام غريباً والسنَّة غريبة، وأهل السنَّة غرباء في جوف ديارهم [١].

---

[١] *أقول:* حديث الافتراق قد رواه جماعةٌ من الصحابة عن النبي ﷺ ولفظه متقارب إلاَّ أنَّه في آخره في بعضها قال: «هم الجماعة» وفي بعضها قال: «هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي» وقد تقدم لنا في أول هذا الشرح أنَّه ليس المراد بقوله: «كلها في النار إلاَّ

---

(١) هذا الحديث سبق تخريجه.

(٢) وفي نسخة الردادي: (في خلافة بني فلان).

(٣) وفي نسخة الردادي: (دنياهم) ونسخت القحطاني أصح، لوضوح العبارة، وسلامتها من التكرار، والعلم عند الله.

واحدة»[1] أنَّهم كلهم كفار مخلَّدون؛ بل أنَّ هذه الفرق مختلفة منها ما تبلغ بدعتهم إلى حدِّ الكفر فيخرجون من الإسلام، ويحكم عليهم بالكفر، ويكونون مخلدين في النار يوم القيامة ومنها فرق لا تبلغ بدعهم إلى حدِّ الكفر بل تكون مفسقة فهؤلاء يرجون ما يرجوه الموحدون إذا ماتوا على التوحيد، وبهذا يتبيَّن على أنَّ قَولَه: «كلها في النار إلاَّ واحدة» ليس المراد به أنَّهم كلهم مخلدون في النار فيما نعتقد، ثم إنَّ هذه الواحدة المستثناة هي التي تدين بما دان به الصحابة عقيدةً، وعملاً، وتعاملاً، وهي عقيدة أهل السنَّة والجماعة وأنَّ الألوهية لله وحده، وأنَّه لا يجوز أن يدعى غيره، ولا يستغاث بغيره، وأنَّ من فعل ذلك فإنَّه مشرك شركاً أكبر، وأنَّ المتابعة تكون لرسول الله ﷺ لا يقدم قول أحد على قوله، ولا رأي أحدٍ على سنته، وعقيدتهم في توحيد الأسماء والصفات هو الإيمان بها، واعتقاد معناها الذي تدل عليه باللسان العربي، وامرارها كما جاءت بلا تكييفٍ ولا تمثيل، ولا تشبيه، ولا تعطيل وأنَّ أمَّة محمدٍ ﷺ يجب أن تكون أمَّةً واحدة، وأنَّ الاختلاف، والافتراق مبتدع إلى آخر ما هو مذكورٌ في عقيدة أهل السنَّة والجماعة.

وأنَّ القائمين على السنَّة هم أهل الأثر أهل الحديث، ومن سواهم فإنَّه إن أصاب من وجهٍ أخطأ من وجهٍ آخر، ولا ينجو من الاختلاف ولا يستقيم على العقيدة الصحيحة إلاَّ أهل الحديث.

قَولُه: (هكذا كان الدين إلى خلافة عمر بن الخطاب الجماعة كلَّها وهكذا في زمن عثمان، فلمَّا قتل عثمان رضي الله عنه جاء الاختلاف والبدع وصار الناس فرقاً، فمن الناس من ثبت على الحق عند أول التغيير، وقال به وعمل به، ودعا إليه) وأقول: إنَّ الاختلاف بدأ من خروج الخوارج على عثمان، ثمَّ لمَّا قتل حصل الافتراق بعد قتل عثمان، ونبتت نابتة الخوارج فظهروا بدعوة ابن السوداء، وظهرت القدرية في آخر حياة المعمرين من

---

(١) سبق تخريجه والكلام عليه.

الصحابة كعبدالله بن عمر، وجابر بن عبدالله، وعبدالله بن عباس رضي الله عنهم وعلى رأس المائة ظهرت فتنة الاعتزال، والقول بالمنزلة بين المنزلتين والتخليد في النار لأصحاب الكبائر، ثمَّ تتابعت الفتن، وظهرت البدع شيئاً فشيئاً، وظهرت في أول المائة الثانية بدعة التجهم، وإنكار الصفات، ثمَّ بعدما كانت بدعة المعتزلة ضعيفة مردودة استمالوا إلى صفهم الخليفة المأمون فوقعت في آخر عصره بدعة القول بخلق القرآن، وتوفي وهو يدعو إليها، واستمر بعده عليها المعتصم، والواثق على التحدي لأهل السنَّة ونبذهم في السجون، وقتل بعضهم حتى أظهر الله الحق على يد الخليفة المتوكل على الله، وظهرت في عصره السنَّة، وانقمعت البدع والحمد لله فهذه خلاصة ما حصل من المبتدعة في أزمنة شتَّى.

وفي المائة الثالثة ظهرت بدعة التصوف أصحاب الشطحات، وكان أول من أظهر شطحه منهم الحلاَّج، وهذا معنى ما قاله المؤلف: (وكان الأمر مستقراً حتى كانت الطبقة الرابعة) فلعلَّه أراد بالطبقة الرابعة أي القرن الرابع، لأنَّ الثلاثة القرون وإن ظهرت فيها بدعٌ إلاَّ أنَّ النبي ﷺ قد زكَّاها على العموم بقوله: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة قال النبي ﷺ: إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفون، ويظهر فيهم السمن»[1] متفقٌ عليه، وهذه التزكية على العموم لأصحاب القرون الثلاثة. وقد قيل إنَّ هذه القرون انتهت بمائتين وعشر سنوات، إذ أنَّ كلَّ قرنٍ سبعون سنة، وفي سنة مائتين واثنا عشر ظهرت بدعة القول بخلق القرآن: أي بدأت في الظهور. أمَّا قوله: (في خلافة فلان) فهذه الأزمنة التي ذكرناها ذكرت فيها البدع في خلافة خلفاء أكثرهم صالحين كأنَّه كما قال المعلِّق يشير إلى دعوة القول بخلق القرآن، والله تعالى أعلم، لأنَّ قوله: (انقلب الزمان، وتغير الناس جداً وفشت البدع، وكثر الدعاة إلى غير سبيل الحق والجماعة ووقعت المحنة في كلِّ شيء لم

(١) الحديث سبق تخريجه في المقدمة.

واعلم أنَّ متعة النساء، والاستحلال حرام إلى يوم القيامة [١].

يتكلم به رسول الله ﷺ ولا أحدٌ من الصحابة، ودعوا إلى الفرقة وقد نهى الله عز وجل عن الفرقة، وكفَّر بعضهم بعضا وكلٌ دعا إلى رأيه، وإلى تكفير من خالفه، فضلَّ الجهال والرعاع، ومن لا علم له، وأطمعوا الناس في شيءٍ من أمر الدنيا وخوفوهم عقاب الدنيا فاتبعهم الخلق على خوفٍ في دينهم ورغبةً في دنياهم. فصارت السنَّة وأهل السنَّة مكتومين، وظهرت البدعة، وفشت وكفروا من حيث لا يعلمون من وجوهٍ شتَّى) ***أقول:*** إنَّ هذا الكلام ينطبق على زمن فتنة القول بخلق القرآن.

أمَّا قوله: (ووضعوا القياس، وحملوا قدرة الرب، وآياته، وأحكامه وأمره ونهيه على عقولهم، وآرائهم، فما وافق عقولهم قبلوه، وما خالف عقولهم ردوه، فصار الإسلام غريباً) لعلَّه يريد بهذا العقلانيين المعتزلة والجهمية الذين ردوا الصفات حين زعموا أنَّ فيها مشابهةً بين المخلوق والخالق، ولعلَّه يريد بذلك أصحاب الرأي من الفقهاء، والذين ردُّوا كثيراً من السنن، وقالوا بما فرضته آرائهم أو آراء شيوخهم. ولعلَّه يريد الجميع غير أنَّ الذي ينبغي للمسلم أن يعتبر هذه الآراء كلَّها خروجٌ عن الصراط المستقيم، والدين الحق الذي كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ فمن بعدهم من أهل الحديث والأثر، وأئمة الهدى في كلِّ زمانٍ ومكان، رحمهم الله تعالى جميعاً، وأحيانا الله على طريقتهم، وحشرنا في زمرتهم وبالله التوفيق.

[١] نكاح المتعة تعريفه: أن يتزوج المرأة إلى أجلٍ محدود كشهر أو ما أشبه ذلك أي بقدر إقامته في هذا البلد، فهذا النكاح كان مباحاً في أول الإسلام وحرِّم عام خيبر، ثمَّ بعد ذلك أبيح في غزوة الفتح، ثمَّ بعد ذلك حرِّم تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة، وقد أجمع علماء الأمَّة على تحريم التمتع بالنساء(١)، وخالف في ذلك بعض الشيعة،

---

(١) قال الشيخ القحطاني صاحب هذه النسخة المحققة بين يدي القارئ: «وللتوسع في ذلك انظر رسالة تحريم نكاح المتعة لنصر بن إبراهيم المقدسي تحقيق الشيخ حماد الأنصاري نشر دار طيبة».

واعرف لبني هاشمٍ فضلهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ واعرف فضل قريش والعرب وجميع الأفخاذ، فاعرف قدرهم، وحقوقهم في الإسلام [١].

وخلافهم لا ينظر إليه لأنَّهم أهل بدعٍ يصل بعضها بأصحابه إلى الكفر، وبالله التوفيق.

[١] ***وأقول:*** إنَّ بني هاشمٍ لهم فضلٌ بسبب قرابتهم من رسول الله ﷺ والله سبحانه وتعالى قال لرسوله ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: من الآية٢٣] فقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ بمعنى أنَّه ليس من الأجر، ولكن رسول الله ﷺ يطلب من الأمة أن يعرفوا لقرابته حقَّهم فيحترموهم لاحترامه، ويكرمونهم لإكرامه، فإذا كان للمسلم حقٌّ على المسلم فإنَّ للمسلم من بني هاشم المتمسك بدينه حقُّ الإسلام وحقُّ قرابته من النبي ﷺ وكذلك سائر أفخاذ قريش إلاَّ أنَّ الله لم يكلفنا بحب من ليس على العقيدة الصحيحة وليس له استقامة على الإسلام توجب حبَّه، ولقد تبرأ النبي ﷺ ممن يكون مخالفاً لهديه، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «ألا إنَّ آل أبي يعني فلاناً ليسوا لي بأولياء إنما وليي الله وصالح المؤمنين»[1] رواه مسلم والبخاري.

قَولُه: (وسائر الأفخاذ) أي أفخاذ قريش، وقبائل العرب يعرف لهم حقُّهم في الإسلام[2] وبالله التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله واللفظ له في كتاب الإيمان باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم وأخرجه الإمام البخاري في كتاب الأدب باب تبلُّ ببلالها من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٢) وذلك لأنَّ القرآن الكريم كلام الله نزل بلغة العرب: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ ولأنَّ النبي ﷺ من بني هاشم وبني هاشم من قريش وقريشاً من كنانة، وكنانة من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام كما في حديث أبي عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسمعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم» رواه مسلم في أول كتاب الفضائل.

ومولى القوم منهم، واعرف فضل الأنصار، ووصية رسول الله ﷺ فيهم وآل الرسول ولا تسبَّهم(١)، واعرف فضلهم(٢)، وجيرانه من أهل المدينة فاعرف فضلهم [١].

---

[١] ***أقول:*** إنَّ قوله: (ومولى القوم منهم) هذا حديثٌ صحيح عن النبي ﷺ من حديث ابن أبي رافع عن أبيه أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً من بني مخزوم على الصدقة، فأراد أبو رافع أن يتبعه، فقال رسول الله ﷺ: «إن الصدقة لا تحل لنا، وإن مولى القوم منهم»(٣) وهذا يشمل أنَّ مولى القوم منهم أن يكونوا منهم أيضاً في الاحترام لصلته بهم، وتعلقه فيهم.

أمَّا الأنصار فقد قال النبي ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»(٤) فهم الذين آووا رسول الله ﷺ ونصروه، ونصر الله بهم الدِّين فيجب أن يعرف لهم حقَّهم ولا يجوز لأحدٍ أن يسبهم أو يهجوهم أو ينال منهم ومن فعل شيئاً من ذلك فقد عصى الله ورسوله.

قَولُه: (وجيرانه من أهل المدينة فاعرف فضلهم) المقصود بالجيران

---

(١) وفي نسخة الردادي (فلا تنساهم).

(٢) وفي نسخة الرادادي (وأعرف فضلهم، وكراماتهم).

(٣) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في سننه في كتاب الزكاة باب ما جاء من تحل له الصدقة من الغارمين وغيرهم وأخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب الزكاة باب الصدقة على بني هاشم، وأخرجه الإمام النسائي واللفظ،له في كتاب الزكاة باب مولى القوم منهم وأخرجه الإمام أحمد في مسنده في مسند القبائل برقم الحديث ٢٦٦٤١ وقد أشار إلى تصحيح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج١/٣٤١ برقم الحديث ١٦٦٣.

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري واللفظ له في كتاب الإيمان باب علامة الإيمان وحب الأنصار، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق من حديث أنس رضي الله عنه.

واعلم أنَّ أهل العلم لم يزالوا يردون قول الجهمية حتى كان في خلافة[1] بني العباس تكلمت الرويبضة في أمر العامة، وطعنوا على آثار رسول الله ﷺ وأخذوا بالقياس والرأي، وكفَّروا من خالفهم، ودخل في قولهم الجاهل، والمغفل، والذي لا علم له حتى كفروا من حيث لا يعلمون، فهلكت الأمة من وجوه، وكفرت من وجوه وتزندقت من وجوه، وضلَّت من وجوه[2]، وابتدعت من وجوه إلاَّ من ثبت على قول رسول الله ﷺ وأمره، ونهيه، وأصحابه[3]، ولم يتخطَّ أحداً منهم[4] ولم يجاوز أمرهم ووسعه ما وسعهم، ولم يرغب عن طريقتهم ومذهبهم، وعلم أنَّهم كانوا على الإسلام الصحيح والإيمان الصحيح، فقلَّدهم دينه واستراح [١].

الذين لم يكونوا من الأنصار، ولا من قريش، ولكنَّهم مسلمون، فلهم حقُّ الإسلام ولهم فضلٌ لصبرهم على لأواء المدينة[5]، فيجب أن يعرف لأهل الفضل فضلهم وبالله التوفيق.

[١] هذا حكايةٌ حال، وخلافة بني العباس كانت في أولها على خيرٍ، ثمَّ تغيرت الأمور من بعد المائتين حين قبل المأمون دعوة المعتزلة، واقتنع بأنَّ القرآن مخلوق ودعا أهل العلم إلى قبول هذه البدعة والقول بهذا الكفر، فحصلت فتنةٌ عظيمة استمرت من بعد سنة مائتين واثنتي عشر في خلافة المأمون، والمعتصم، والواثق حتَّى تولَّى الخلافة المتوكل على الله، فوجد أهل السنَّة والجماعة وحملة الحديث متنفَّساً وكُبحَ جماح أهل الباطل إلاَّ أنَّه بعد المتوكل على الله سلب الخلفاء سلطتهم وظلت الخلافة اسمٌ بلا رسم ومظهرٌ بلا

---

(١) في نسخة الردادي قال: (بني فلان).
(٢) وفي نسخة الردادي: (وتفرقت وابتدعت من وجوه).
(٣) وفي نسخة الردادي (وأمر أصحابه)
(٤) وفي نسخة الردادي (ولم يخطىء احداً منهم).
(٥) لأواء المدينة: أي الشدة والجوع وتعذر الكسب وسوء الحال.

واعلم أنَّ الدِّين إنَّما هو التقليد، والتقليد لأصحاب رسول الله ﷺ [١].

حقيقة ذلك أنَّ الأتراك تسلَّطوا عليهم، وأخذوا حقيقة السلطة فصرفوا الخلفاء كما يشاؤون يأتون بهذا ويقتلون هذا، ثمَّ بعد ذلك انتقلت السلطة من الأتراك إلى بني بويه، ثمَّ إلى الجراكسة حتَّى قضي على الخلافة في عام ٦٥٦هـ وتحقق فيهم قول عمر ﷺ: (إنَّا كنَّا أذلَّ قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العز بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله)(١) إلاَّ أنَّ أهل السنة والجماعة وأصحاب الحديث وأهل العقيدة الحقة لم يزالوا قائمين على عقيدتهم لم يضرهم من خالفهم ولهذا استثنى بقوله: (إلاَّ من ثبت على قول رسول الله ﷺ وأمره، ونهيه وسلك نهج أصحابه، ولم يتخط أحداً منهم، ولم يجاوز أمرهم، ووسعه ما وسعهم ولم يرغب عن طريقتهم كانوا على الإسلام الصحيح، وقلَّدهم دينه واستراح) أي أنَّ هؤلاء هم الذين سلموا من معرَّة الكفر، والجهل والضلال، وبالله التوفيق.

[١] *أقول:* إنَّ قول المؤلف رحمه الله: (واعلم أنَّ الدِّين إنَّما هو التقليد) يلاحظ عليه هذا التعبير، لأنَّ التقليد هو الاتباع بلا دليل، ولو قال أنَّ الدين هو الاتباع لكتاب الله عز وجل، وسنة رسول الله ﷺ على فهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ من حملة الحديث والأثر لكان هذا التعبير هو الصواب، لأنَّه يوافق ما أمر الله به في كتابه حيث يقول: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام:١٥٣] ويقول: ﴿ٱتَّبِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف:٣] فالاتباع لمن سلف قبلنا على أثر الدليل من كتاب وسنة هذا هو الحق، وبالله التوفيق.

---

(١) هذا الأثر رواه الحاكم في المستدرك (٦٢/١) وصححه ووافقه الذهبي. نقلًا من موسوعة نضرة النعيم (العزة) ج٢٨٤٧/٧,

ومن قال لفظه بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن سكت ولم يقل مخلوقٌ ولا غير مخلوق فهو جهمي[١] هكذا قال أحمد بن حنبل، وقال رسول الله ﷺ: «إنَّه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فإياكم ومحدثات الأمور فإنَّها ضلالة وعليكم بسنتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ»[٢] [١].

---

[١] ***وأقول:*** إنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، والأدلة على ذلك كثيرةٌ قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: من الآية٦] والله تعالى يقول أيضاً: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: من الآية١٦٤] والله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: من الآية٢٥٣]، إلى غير ذلك من الآيات فالقرآن كلام الله غير مخلوق، وكلام الله صفةٌ من صفاته، ومن قال إن شيئاً من صفات الله مخلوق، فهو كافرٌ؛ هكذا قرر أهل السنة والجماعة[٣]، وقد ذكر اللالكائي عن خمس مائةٍ وخمسين عالماً من السلف أنَّهم قالوا: من قال القرآن مخلوقٌ فهو كافرٌ، ومن قال: بأنَّ لفظه بالقرآن مخلوق فهو مبتدع جهمي ضال، وكذلك من سكت ولم يقل أنَّه مخلوق، ولا أنَّه غير مخلوق فهو أيضاً جهميٌّ ضالٌّ، فإخبار الله صريحٌ بأنَّ القرآن كلام الله، ومن لم يقل ذلك فقد كذَّب الله في خبره، وإنَّما حذَّر أهل العلم وعلى رأسهم الإمام أحمد رحمه الله حذروا من أن يقول قائلٌ: لفظه بالقرآن مخلوق، لأنَّ إطلاق اللفظ يحتمل أن يراد به نفس اللفظ أو الملفوظ به، ومن أجل هذا الاحتمال حكموا على من قال بأنَّ لفظه بالقرآن مخلوق بأنَّه مبتدعٌ جهمي وبالله التوفيق.

---

(١) وفي نسخة الردادي: (فهو مبتدع).

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) انظر أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي بتحقيق الشيخ الدكتور أحمد بن سعد الغامدي المجلد الأول ج٢/٣٤٤.

واعلم أنَّه إنَّما جاء هلاك الجهمية من أنَّهم فكروا في الرب عزَّ وجل، فأدخلوا لم وكيف؟ وتركوا الأثر، ووضعوا القياس، وقاسوا الدين على رأيهم، فجاءوا بالكفر عياناً لا يخفى، فكفَرُوا(١) وكفَّروا الخلق، واضطرهم الأمر إلى أن قالوا بالتعطيل [١].

قال بعض العلماء منهم أحمد بن حنبل: الجهمي كافرٌ ليس من أهل القبلة، حلال الدم لا يرث، ولا يورث، لأنَّه قال: لا جمعة، ولا جماعة ولا عيدين، ولا صدقة وقالوا: من لم يقل القرآن مخلوقٌ فهو كافر، واستحلوا السيف على أمَّة محمدٍ ﷺ وخالفوا من كان قبلهم وامتحنوا الناس بشيء لم يتكلم فيه رسول الله ﷺ ولا أحدٌ من أصحابه، وأرادوا تعطيل المساجد، والجوامع، وأوهنوا الإسلام، وعطلوا الجهاد وعملوا في الفرقة، وخالفوا الآثار وتكلموا بالمنسوخ، واحتجوا بالمتشابه فشككوا الناس في أديانهم(٢)، واختصموا في ربهم وقالوا: ليس هناك عذاب قبرٍ ولا حوضٍ ولا

---

[١] ***وأقول:*** إنَّ صفات الله عز وجل لا يعلم كيفيتها غيره لاملكٌ مقرب ولانبيٌّ مرسل ولايجوز لغيره أن يتكلم في صفاته بالرأي والتقدير بل يجب أن يكون المرجع في ذلك أي في صفات الله وأسماءه الوحي لاشيء غيره فمن أراد أن يتكلم في أسماء الله وصفاته بالرأي والتقدير فإنَّه يعتبر قد ضلَّ وأضل لأنَّ الرأي والتقدير والقياس لادخل له في صفات الله، وأسماءه وقد أرسل الله الرسل إلى عباده ليعلموهم العبادة التي يرضاها الله فمن اتبع ما جاءت به الرسل نجا ومن ترك ما جاءت به الرسل هلك ووقع في الشرك والكفر والضلال وعلينا أن نؤمن بصفات الله أي بمعناها الذي تقتضيه في اللغة العربية أمَّا الكيفية فإنَّها لا يعلمها غيره سبحانه وتعالى كما تقدم، وبالله التوفيق.

---

(١) وفي نسخة الردادي: (لا يخفى إنَّه كفر)

(٢) وفي نسخة الردادي: (فشككوا الناس في آرائهم وأديانهم).

شفاعة والجنة والنار لم يخلقا، وأنكروا كثيراً مما قال رسول الله ﷺ فاستحل من استحل تكفيرهم ودماءهم من هذا الوجه، لأنَّه من ردَّ آيةً من كتاب الله فقد ردَّ الكتاب كلَّه، ومن ردَّ حديثاً عن رسول الله ﷺ فقد ردَّ الأثر كلَّه، وهو كافرٌ بالله العظيم، فدامت لهم المدة، فوجدوا من السلطان معونةً على ذلك، فوضعوا السيف والسوط على من دون ذلك، فدرس علم السنَّة وأوهنوها(١)، فصاروا(٢) مكتومين لإظهار البدع، والكلام فيها ولكثرتهم، فاتخذوا المجالس، وأظهروا آراءهم ووضعوا فيها الكتب، وأطمعوا الناس(٣) وطلبوا لهم الرياسة فكانت فتنةٌ عظيمة لم ينج منها إلاَّ من عصم الله، فأدنى ما كان يصيب الرجل من مجالستهم أن يشك في دينه أو يتابعهم أو يرى رأيهم على الحق ولا يدري(٤) أنَّهم على حقٍّ أو على باطل فصار شاكاً، فهلك الخلق حتَّى كانت أيام جعفر الذي يقال له المتوكل(٥)، فأطفأ الله به البدع وأظهر به الحق، وأظهر به أهل السنَّة، وطالت ألسنتهم مع قلتهم(٦)، وكثرة أهل البدع إلى يومنا هذا(٧)، فالرسم والبدع وأهل الضلالة قد بقي منهم قومٌ يعملون بها، ويدعون إليها لا مانع يمنعهم ولا حاجز يحجزهم عمَّا يقولون ويعملون [١].

---

[١] نقل المؤلف رحمه الله في هذه الفقرة تكفير الجهمية، وأنَّهم ليسوا من

---

(١) وفي نسخة الردادي: (وأوهنوهما).
(٢) وفي نسخة الردادي: (فصارتا).
(٣) وفي طبعة ثالثة: (وأطغوا الناس).
(٤) وفي نسخة الردادي: (ولا يدري أنَّه على الحق).
(٥) قال الشيخ الردادي وفقه الله: (هو الخليفة العباسي المتوكل على الله أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله بن محمد بن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور القرشي العباسي البغدادي توفي رحمه الله سنة (٢٤٧) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٢/٣٠) والشذرات (٢/١١٤)) اهـ.
(٦) أي بقول الحق، والصدع به.
(٧) أي في زمن المؤلف رحمه الله، وما يزال الحق وأهله منصورين بإذن الله في كل زمان ومكان ما عاد الناس إلى ربهم عودة صادقة.

أهل القبلة وأنَّهم حلال الدم بأقوالهم الفظيعة، التي خالفوا بها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وقد جمع الجهمية كلَّ شر، فأنكروا صفات الله، وأنكروا أسماءه، وجعلوا معبودهم بمنزلة الجماد الذي لا يتكلم، ولا يسمع ولا يبصر وقالوا: إنَّ القرآن مخلوقٌ، وقالوا: إنَّ الله لا يرى في الآخرة وأنكروا القدر وزعموا أنَّ الجنة والنار ليست مخلوقتان الآن، وأنكروا السنة واستحلوا دماء المسلمين، وأنكروا الحوض، والشفاعة، وأنكروا عذاب القبر، واستذلوا أولياء الله بضربهم لجلودهم، وسجنهم لهم، إلى غير ذلك من الأمور التي يكفي بعضها في تكفيرهم، فكان هذا هو السبب بل قالوا أشدَّ من ذلك، فأنكروا أنَّ الله فوق عرشه بائنٌ من خلقه وزعموا أنَّ الله مختلطٌ بخلقه أو حالٌّ فيهم، فقد أثر أنَّ الجهم بن صفوان لقي قوماً من الدهرية، فشككوه في ربه، فجلس أربعين يوماً شاكاً لم يصل، ثم بعد ذلك خرج وزعم أنَّه وجد الحقيقة، وأنَّ الإله هو الهواء الطلق، وهو كلُّ مخلوقٍ يرى إلى غير ذلك من الكفريات التي لا حصر لها، وقد انطلى مذهب المعتزلة على المأمون بواسطة أحمد بن أبي دؤاد، فحمله، وأشار عليه بأن يحمل العلماء على قبول القول بخلق القرآن فوقعت فتنة لا حصر لها ثبت فيها أحمد بن حنبل، فضرب حتى أغمي عليه وانخلعت يده وبقي في السجن ما يقارب سنتين، ومنع من التحديث وبقيت هذه الفتنة زمن ثلاثةٍ من الخلفاء هم المأمون، والمعتصم، والواثق فلما تولى الخلافة المتوكل على الله أطلق سراح السجناء في مثل هذه البدعة وأكرم الإمام أحمد إكراماً كثيراً جداً، وأكرم أهل السنة فانقمع الباطل وظهرت السنة ووجد أهلها متنفساً، والحمد لله رب العالمين.

وبسبب هذا فقد سلبت منهم السلطة؛ يعني بني العباس فكان الخليفة يوضع اسماً، ولا يستطيع أن ينفذ شيئاً، وهذا تسليطٌ من الله على الأمة والعقوبة تعم، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

وقوله: (لأنَّه من ردَّ آيةً من كتاب الله فقد ردَّ الكتاب كلَّه، ومن ردَّ حديثاً عن رسول الله ﷺ فقد ردَّ الأثر كلَّه، وهو كافرٌ بالله العظيم) أقول:

واعلم أنّه لم تجئ زندقة[(١)] قط إلاَّ من الهمج الرعاع وأتباع كلِّ ناعق يميلون مع كلِّ ريح فمن كان هكذا فلا دين له قال الله عز وجل: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ[(٢)]﴾ [الجاثية: من الآية١٧] وهم علماء السوء أصحاب[(٣)] الطمع [١].

من ردَّ آيةً من كتاب الله فقد كفر لا شك في ذلك، ومن ردَّ حديثاً من سنة رسول الله ﷺ ففي كفره تفصيل، وفيه نظر.

[١] تجيء الزندقة ممن لم يؤمنوا بالكتاب والسنة، وهم مع ذلك يتظاهرون بالعلم، فإن أخذوا شيئاً من العلم، فإنّما يأخذونه لأغراضٍ دنيوية، وأطماعٍ وقتية، ومَنْ هذا حاله فلا يعدُّ من العلماء، والذي يظهر والله أعلم أنَّ الناس في هذا الباب ينقسمون إلى قسمين:

١ ـ قسمٌ دخلوا في الدين من أجل الكيد له، والدس فيه، فهم يلقون الشبه من أجل أن يوقعوا الغير بالشكوك.

٢ ـ قسمٌ آخر نشأوا بين أهل الدين، لكنهم لم يؤمنوا بالدين في قرارة أنفسهم فانطلت عليهم تلك الشبه التي ألقاها من كان دخولهم في الدين من أجل الكيد والدس فيه، فنشأت الزندقة بين هؤلاء أي بين هذين القسمين، فنعوذ بالله من حال من قدم أقوال الرجال على كلام الباري وعلى سنة خير الخليقة ﷺ الذي أخبر الله عز وجل أنّه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ والزندقة: هي الخروج عن الأديان والقول بعدم التكليف، والذين يزعمون بأنَّ الإنسان حرٌّ يختار ما يشاء وهي مقارنةٌ للعلمانية[(٤)] أو قريبةٌ منها.

---

(١) وفي نسخة الردادي: (بدعة).

(٢) ثمّ في نسخة الردادي زيادة آية وهي قول الله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: من الآية٢١٣]

(٣) وفي نسخة الردادي زيادة قوله: (والبدع).

(٤) العلمانية: هي فصل الدين عن شؤون الحياة وعزله في الضمير وفي الكنيسة أو نبذ الدين كله.

واعلم أنّه لا يزال الناس في عصابةٍ من أهل الحق والسنّة يهديهم الله، ويهدي بهم غيرهم، ويحيي بهم السنن، فهم الذين وصفهم الله تعالى مع قلتهم عند الإختلاف فقال: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ ثمَّ استثناهم فقال: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: من الآية٢١٣] **وقال رسول الله ﷺ:**

«لا تزال عصابةٌ من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون»(١) [١].

---

[١] ***وأقول:*** هذه الفقرة خاصةً بوصف الطائفة المنصورة التي أخبر الرسول ﷺ عنها بقوله: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»(٢) رواه مسلمٌ وغيره، والتي جاءت في قوله في حديث

---

(١) الحديث ورد بلفظ العصابة وبلفظ الطائفة فأمّا بلفظ العصابة فمن عدة طرق منها أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسند باقي المكثرين من الصحابة برقم الحديث ٨١٢٨ وذلك من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لن يزال على هذا الأمر عصابة على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك» وما أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب الإمارة باب لا تزال طائفة من أمتي.. من حديث عقبة بن عامر ﷺ بلفظ: «لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك».

(٢) وأمّا ورود الحديث فيه بلفظ الطائفة كما في هذه الصفحة فقد أخرج هذه الرواية الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»، وكذا في كتاب الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ وأخرج بنحوه أيضاً البخاري بدون ذكر لفظ الطائفة في كتاب العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، وفي كتاب فرض الخمس باب قول الله تعالى ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ يعني للرسول قسم ذلك قال رسول الله ﷺ: «إنما أنا قاسم وخازن والله يعطي» وفي كتاب المناقب باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، وفي كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق يقاتلون وهم أهل العلم»، وكتاب التوحيد باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾.

واعلم أنَّ العلم ليس بكثرة الرواية والكتب، ولكنَّ العالم من اتبع الكتاب والسنة[(١)] وإن كان قليل العلم والكتب، ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعةٍ وإن كان كثير الرواية[(٢)] والكتب [١].

الافتراق: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة» وفي رواية: «هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي»[(٣)] وليس أحدٌ من المليين (المليين: أتباع الملة المحمدية) على مثل ما عليه النبي ﷺ وأصحابه إلاَّ أصحاب الحديث، وأتباع الأثر، وقرر أهل العلم من السلف بأنَّ الطائفة المنصورة هم أصحاب الحديث، وهم الذين ينجون من كلِّ فتنة، ويفندون كلَّ شبهة ويردون كلَّ ضلالة بما قال الله عز وجل، وقال رسوله ﷺ وما قاله سلف الأمة. نسأل الله أن يجعلنا منهم، وأن يوفقنا لأعمالهم، وأن يحشرنا في زمرتهم إنَّه جوادٌ كريم.

[١] ***وأقول:*** إنَّ العلم هو في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ وما خالف ذلك فهو جهلٌ وضلالة، وبدعٌ، فمن زعم أنَّه على الحق، وأنَّه على الطريق السوي المستقيم فينْظر في أقواله وأفعاله، وفي أمره، ونهيه، هل هو متبعٌ للكتاب والسنة أو متبعٌ لغيرهما؟

فإن كان قد خلط اتباع الكتاب والسنة بغيره، فإنَّه يعدُّ من أصحاب البدع وإن كان كثير التأليف وكثير الرواية، والحق هو اتباع الأثر كما قال الله

---

(١) وفي نسخة الردادي: (إنَّما العالم من اتبع العلم والسنن).
(٢) وفي نسخة الردادي: (وإن كان كثير العلم والكتب).
(٣) الحديث سبق تخريجه.

جلَّ وعلا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران:٣١] وكما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: من الآية٧].

وكما قال النبي ﷺ في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل يا رسول الله: كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا، فقال: أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»(١).

وكقوله ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يا رسول الله: ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى»(٢) وكما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: «كنا عند عمر رضي الله عنه فقال: أيكم سمع رسول الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهله وجاره؟ قالوا: أجل قال: تلك تكفرها الصلاة، والصيام، والصدقة، ولكن أيكم سمع النبي ﷺ يذكر الفتن التي تموج موج البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القوم فقلت: أنا قال: أنت لله أبوك قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عودا، فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفا، ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه»(٣) رواه مسلم.

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإيمان باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يأرز بين المسجدين.

واعلم أنَّ من قال في دين الله برأيه، وقياسه، وتأوله من غير حجةٍ من السنة والجماعة فقد قال على الله ما لم يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم فهو من المتكلفين، والحق ما جاء من عند الله عز وجل، والسنة ما سنَّه رسول الله، والجماعة ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله في خلافة أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، ومن اقتصر على سنة رسول الله، وما كان عليه الجماعة فَلَج (انتصر) على أهل البدعة كلهم واستراح بدنه، وسلم له دينه إن شاء الله لأنَّ رسول الله ﷺ قال: «ستفترق أمتي» وبين لنا رسول الله ﷺ الفرقة الناجية منها فقال: «ما أنا عليه وأصحابي»(١) فهذا هو الشفاء والبيان، والأمر الواضح، والمنار المستقيم(٢)، وقال رسول الله ﷺ: «إيَّاكم والتنطع وإيَّاكم والتعمق، وعليكم بدينكم العتيق»(٣) [١].

---

[١] قوله: (واعلم أنَّ من قال في دين الله برأيه، وقياسه، وتأوله من غير حجةٍ من السنة والجماعة، فقد قال على الله ما لم يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم فهو من المتكلفين).

أقول: لقد ذمَّ الله عز وجل القول عليه بغير علم، وجعله مساوياً للشرك بالله عز وجل قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣] فالقول على الله هو القول في كتابه بغير علم، والقول في شرعه بغير علم هذا حرام فلا يجوز الكلام في الشرع إلاَّ من حملة الشرع الذين يعرفون كتاب الله، ويعرفون دليل كل مسألةٍ من المسائل الشرعية.

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) وفي نسخة الردادي: (والمنار المستنير).

(٣) الشيخ أبو ياسر الردادي وفقه الله: (جاء هذا من قول ابن مسعود وليس من قول النبي ﷺ أخرجه عبد الرزاق في السنة (٨٥) والطبراني في الكبير (١٨٩/٩) واللالكائي في السنة (١٠٨) والبيهقي في المدخل (٣٨٧، ٣٨٨) وابن عبدالبر في جامع بيان العلم (١٥٢/١) والخطيب في الفقيه والمتفقه (٤٣/١) وهو صحيح.

واعلم أنَّ الدين العتيق ما كان من وفاة رسول الله ﷺ إلى قتل عثمان ابن عفان ﷺ وكان قتله أول الفرقة، وأول الاختلاف، فتحاربت الأمة وافترقت، واتبعت الهوى والطمع، والميل إلى الدنيا [١].

قوله: (والحق ما جاء من عند الله عز وجل، والسنة ما سنَّه رسول الله والجماعة ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله في خلافة أبي بكرٍ، وعمر وعثمان) أقول: إنَّ ما قاله المؤلف هو عين الصواب، فالحق ما جاء من عند الله عز وجل، والسنة ما سنَّه رسول الله ﷺ والجماعة ما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ في عهد الخلفاء الراشدين، وما بعدهم، وإنَّ خلافة عليٍّ، ومعاوية كانت على الحق إلاَّ من شذَّ، وكذلك الدين ما زال مستقيماً، وإن شذَّ الشواذ في الثلاثة القرون[١] التي انتهت بمائتين وعشرة هجرية، ثمَّ دخل القرن الرابع، وبدأ الامتحان بالقول بخلق القرآن إلاَّ أنَّ السواد الأعظم وأهل الحديث ما زالوا على الحق، وكذلك أهل الحديث الذين يتبعون الأثر في كل الأزمنة، فهم على الحق دائماً كما أخبر النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»[٢] وهذه الطائفة هي التي أشار إليها النبي ﷺ في حديث الافتراق بقوله: «هم الجماعة» أو: «هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي»[٣].

[١] *أقول:* إنَّ ما وصف به المؤلف رحمه الله الدين العتيق (أي القديم) بذلك لأنَّه في هذا الزمن لم يكن اختلاف أي بعد وفاة النبي ﷺ وكانت الكلمة واحدة، ولكن كان الشيطان حريصاً على التفريق،

---

(١) ما المقصود بالقرون هنا؟ قال شيخنا النَّجمي: (هذا باعتبار أنَّ القرن هم الجماعة من الناس يشتركون في عصرٍ واحد وتحديده بسبعين سنة لحديث: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلّهم من يجوز ذلك» [رواه الترمذي في كتاب الدعوات باب في دعاء النبي ﷺ وابن ماجة في كتاب الزهد باب في الأمل والأجل، وقد صحح الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج١/٢٤٣ برقم الحديث [١٠٧٣].

(٢)(٣) الحديث سبق تخريجه.

فانبعث ابن السوداء اليهودي الخبيث يشيع التفريق، ويتكلم في الخلفاء، وبالأخص في عثمان ﷺ ويزعم أنَّ الخلافة كانت لعليٍّ ﷺ وأنَّ أبا بكرٍ وعمر وعثمان ﷺ كانوا مغتصبين لها، وهو أول من أشاع الوصاية لعليٍّ ﷺ فبذر أول بذور الخلاف بدعوته السرية، ونقده لعثمان بن عفان ﷺ فيما يزعم وأنَّه عمل وعمل كقولهم أنَّه أتمَّ الصلاة بمنى، وقولهم أنَّه طرد أبا ذرٍّ من المدينة وغير ذلك من الأمور التي كان يتكئ عليها عبدالله بن سبأ عليه لعائن الله من أجل أن يبغض عثمان ﷺ إلى الناس، فاستجاب له من استجاب، وهم الخوارج أي أول نشأة الخوارج، فتكاتبوا، وجاءت فرقةٌ من مصر وفرقةٌ من العراق، إلى غير ذلك، فاجتمعوا في المدينة، وكلمهم بعض الصحابة منهم علي بن أبي طالب ﷺ ثمَّ خرجوا، فسافروا يومين، ثمَّ رجعوا وزعموا أنَّهم وجدوا كتاباً من عثمان ﷺ بقتل محمد بن أبي بكر ﷺ فحصروا عثمان في داره حتى أدَّى بهم الأمر إلى أن قتلوه.

فالمؤلف وصف الزمن الذي سبق قتل عثمان ﷺ وكان بعد وفاة رسول الله ﷺ بأنَّه زمن الدين العتيق، وهذه الكلمة ربما يؤخذ على المؤلف فيها ملحظ، لأنَّ الدين العتيق هو كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ وهما باقيان ولا شك أنَّ هذا الزمن كان سليماً من الاختلاف في الظاهر، ولكن أعداء الدين الأشرار بذروا بذور الخلاف كما سمعت، فوصف الخلاف مع أنَّ الدين هو ما أخذ من كتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ من الاعتقادات والأحكام وتلك قد استقرت بموت رسول الله ﷺ فكان ينبغي أن يعبر بعبارةٍ أخرى بأن يقول: إنَّ زمن الخلفاء الراشدين ﷺ قبل وفاة عثمان كان هو الزمن الذي اتفق فيه أهل الحل والعقد على أحكام الدين، ولم يظهر فيه خلاف على الساحة الظاهرة؛ لأنَّ الدين الذي كان ذلك الوقت هو الدين الذي كان بعده هذا هو الأولى، ثمَّ هناك أيضاً عليه ملحظٌ آخر في قوله: (فتحاربت الأمة، وافترقت، واتبعت الهوى، والطمع، والميل إلى الدنيا) والذي نعتقده أنَّ الصحابة ﷺ الذين اشتركوا في هذه الفتنة كانوا مرغمين على الاشتراك فيها، ولم يكن يحدوهم إلى ذلك طمعٌ ولا هوى، ولا رغبةٌ في الدنيا، ولكن اختلفت

وليس لأحد رخصة في شيء أخذ[١] به مما لم يكن عليه أصحاب رسول الله ﷺ أو يكون رجل يدعو إلى شيء أحدثه من قبله من أهل البدع[٢]، فهو كمن أحدثه، فمن زعم ذلك أو قال به فقد رد السنة، وخالف الحق والجماعة، وأباح الهوى[٣]، وهو أشر[٤] على هذه الأمة من إبليس،

آراؤهم فيما يضمن المصلحة ويرأب الصدع، ويجمع الكلمة بعد قتل عثمان، فأدّى ذلك إلى الاختلاف ثم إلى القتال فمعاوية يقول: لا أبايع حتى يخرج إليّ عليٌّ قتلة عثمان فأقتلهم به ثمّ أبايع، وعلي رضي الله عنه يقول: لا نستطيع أن نأخذ قتلة عثمان في الحالة الراهنة، ولكن ينبغي لمعاوية أن يبايع، فإذا بايع معاوية، واجتمعت الكلمة عند ذلك نأخذ قتلة عثمان شيئاً بعد شيء، ومن أجل هذا كان الافتراق مع العلم أنَّ أصحاب ابن سبأ حينما اجتمع عليٌّ والزبير وطلحة وعائشة رضي الله عنهم وكادوا يتفقون، وكان بعضهم في جيش عليٍّ، وبعضهم في جيش طلحة والزبير، فاتفقوا على أنَّهم يفتحون القتال في الصباح الباكر وبدأوا بالترامي، وحصل القتال على غير رغبةٍ من خيار الصحابة، فهذا تبريرٌ لجانب الصحابة رضي الله عنهم وهو الحق.

أمّا سائر الناس، فقد يكون منهم من هو منساقٌ بالطمع والهوى ومنهم من يريد جمع الكلمة، ورأب الصدع، ولكن ذلك لا يحصل إلاَّ من طريق القادة، فنسأل الله أن يغفر للشيخ البربهاري تعميمه هذا.

وكان الأولى أن يخرج أصحاب النبي ﷺ من هذا التعميم، أنَّ الصحابة الذين أثنى الله عليهم ومدحهم في كتابه لا يمكن أن يكونوا متبعين للدنيا ومحبين للافتراق ومتأثرين بالطمع، والهوى؛ لأنّ إيمانهم أعلى من ذلك بكثير وبالله التوفيق.

---

(١) وفي نسخة الردادي: (ي شيءٍ أحدثه).
(٢) وفي نسخة الردادي: (أصحاب البدع).
(٣) وفي نسخة الردادي: (وأباح البدع).
(٤) وفي نسخة الردادي: (وهو أضر).

ومن عرف ما ترك أهل البدع من السنة، وما فارقوا منها فتمسك به، فهو صاحب سنة، وصاحب جماعة، وحقيقٌ أن يتَّبع، وأن يعاون وأن يحفظ، وهو ممن أوصى به رسول الله ﷺ [١].

---

[١] قَولُه: (وليس لأحد رخصة في شيء أخذ به مما لم يكن عليه أصحاب رسول الله ﷺ) الدليل على ذلك قول النبي ﷺ عن الفرقة الناجية حين سئل عنها فقال: «هم الذين على مثل ما أنا عليه وأصحابي»(١) ويظهر لي من قول المؤلف هذا أنَّه لا يجوز لأحدٍ أن يأخذ شيئاً لم يكن عليه أصحاب رسول الله ﷺ وهذا ربما يحتاج إلى تفصيل، فإذا كان الأمر الذي أخذ به هذا الآخذ لم يكن له نظير في عهد الصحابة، فاجتهد هذا الآخذ وقاس على بعض ما كان في عِهد الصحابة، فإنَّ هذا ينبغي أن يقال أنَّه جائزٌ إن شاء الله إذا كان هذا القائس مؤهلاً للاجتهاد، وعالماً بما جرى عليه الاتفاق والافتراق، وعالماً بالنصوص الشرعية أمَّا ما عدا ذلك فينبغي للمجتهد فيه أن يتَّبع ما كان عليه أصحاب الرسول ﷺ.

وهناك مسألةٌ أخرى، وهو أنَّ من اجتهد في نصٍ، وقال فيه بقولٍ لم يقل فيه أحد من أصحاب رسول الله ﷺ إلاَّ أنَّه محتملٌ للصواب موافقٌ لعمومات الكتاب والسنة، وما جرى عليه الصحابة، فهذا أيضاً قد يكون أنَّه قولٌ مقبولٌ إن شاء الله فيما أحسب والله أعلم.

وقوله: (أو يكون رجل يدعو إلى شيء أحدثه من قبله من أهل البدع فهو كمن أحدثه، فمن زعم ذلك أو قال به فقد رد السنة، وخالف الحق والجماعة وأباح الهوى، وهو أشر على هذه الأمة من إبليس) وأقول: إنَّ من اتبع أهل الإحداث فهو محدث، ومن جارى أصحاب البدع أي تابعهم فهو مبتدع ومن ابتدع في الدين فقد رد السنة، وخالف الحق أي ردَّ من

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

واعلم أن أصول البدع أربعة أبواب، يتشعب[١] من هذه الأربعة اثنان وسبعون هوى ثم يصير كل واحد من البدع يتشعب حتى تصير كلها إلى ألفين وثمان مائة ضلالة[٢] وكلها في النار إلا واحدة، وهو من آمن بما في هذا الكتاب[٣]، واعتقده من غير ريبة في قلبه، ولا شكوك، فهو صاحب سنة، وهو الناجي إن شاء الله [١].

السنة ما هو مخالفٌ لبدعته، ومبطلٌ لها، ومن ردَّ بعض السنة فإنَّ عليه من الإثم والوزر بقدر ما خالف من الحق، وأباح فيه الهوى.

قَولُه: (وهو أشر على هذه الأمة من إبليس) يعني أنَّ إفساده قد يكون مقبولاً عند كثيرٍ من الناس، فبسبب ذلك ينطلي شره؛ لأنَّه يمزج الحق بالباطل، والسنة بالبدعة، وأمَّا من فارق البدع لمعرفته للنصوص التي تردها وتمسَّكَ بالنصوص، وترك ما خالفها، فهذا ينبغي أن يؤيد، ويعان وينصر، لأنَّ في نصره نصرٌ للحق، وتركه وخذلانه تركٌ لنصرة الحق وعلى من فعل ذلك من الإثم ما عليه، وبالله التوفيق.

[١] المعروف أنَّ أصول البدع خمس هي:

١ - بدعة الخوارج.

٢ - بدعة الرفض.

٣ - بدعة التجهم.

٤ - بدعة الاعتزال.

٥ - بدعة الإرجاء.

---

(١) وفي نسخة الردادي: (الشعب من هذه الأربعة).

(٢) وفي نسخة الردادي بدلًا من ضلالة: (قالة) وضلالة أصح وأوضح في العبارة لأنَّ القالة هي النميمة كما في الحديث عند مسلم: «ألا أنبئكم ما العضه؟ هي النميمة القالة بين الناس وإن محمداً ﷺ قال إن الرجل يصدق حتى يكتب صديقاً ويكذب حتى يكتب كذاباً».

(٣) يقصد المؤلف رحمه الله بالكتاب كلام الله (القرآن الكريم).

واعلم أنَّ الناس لو وقفوا عند محدثات الأمور ولم يجاوزوها بشيء، ولم يولدوا كلاماً مما لم يجئ[(١)] فيه أثرٌ عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه لم تكن بدعة [١].

هذه الخمس تشعبت منها البدع.

أمَّا قوله: (أصول البدع أربعة أبواب) فلا أدري ما وجه المؤلف إلاَّ أن يكون بإسقاط واحدةٍ من أصول البدع المذكورة؛ نسأل الله أن يبصرنا بالحق، وأن يرزقنا العمل به والمتابعة له.

أمَّا قَولُه: كلها في النار إلاَّ واحدة وهي من آمن بما في الكتاب واعتقده من غير ريبة في قلبه، ولا شكوكٍ، وهو صاحب سنةٍ، وهو الناجي إن شاء الله. *وأقول:* إنَّ الإيمان بما في الكتاب لا بدَّ أن يكون معه الإيمان بما في السنة وإلاَّ فإنَّ إيمان من آمن بالقرآن ولم يؤمن بالسنة كالخوارج يعتبر زائغاً. وكان من حق المؤلف أن يقول: وهو من آمن بما في الكتاب والسنة وعمل بما كان عليه الصحابة، واعتقده في قلبه، فهو الناجي، لأنَّ من لم يؤمن بالسنة عموماً أو من لم يؤمن إلاَّ بالمتواتر، ولم يؤمن بالآحاد كالعقلانيين أصحاب المذهب الاعتزالي فهؤلاء ضلال، نسأل الله العافية من مسلكهم وبالله التوفيق.

[١] *وأقول:* إنَّ الواجب على كل مسلم واجه أمراً لا يعرف ما موقفه فيه فإنَّه يجب عليه إن كان طالب علَم أن يرجع إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ وأقوال الصحابة، والتابعين وأتباعهم من أهل العلم. فإن وجد لتلك المسألة حلاً في كتاب الله أو في صحيح سنة رسول الله ﷺ أخذ به، وإن لم يجد استشار من هو أكثر منه علماً، فإن وجد عنده حلاً فذاك وإلاَّ توقف حتى يجد حلاً لتلك المسألة. أمَّا إذا لم يكن من طلاب العلم بل كان من العامة، فإنَّ الواجب عليه أن يسأل أهل

---

(١) قال شيخنا: والصواب: «ولم يوجد فيه أثر عن رسول الله ﷺ».

واعلم أنَّه ليس بين العبد وبين أن يكون مؤمناً حتى يصير كافراً إلاَّ أن يجحد شيئاً مما أنزل الله أو يزيد في كلام الله أو ينقص أو ينكر شيئاً مما قال الله عز وجل أو شيئاً مما تكلم به رسول الله ﷺ فاتق الله(١)، وانظر لنفسك، وإياك والغلو في الدين فإنَّه ليس من طريق الحق في شيء [١].

العلم ويعمل بما دلوه عليه؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: من الآية٨٣] وإنَّما يأتي الخطأ والمخالفة من أمرين:

١ ـ أن يكون عنده جهلٌ مركب، فيظن أنَّ عنده علم وليس كذلك.

٢ ـ أن يغتر بأحد أصحاب البدع، ويوقعه ذلك الشخص في البدعة ومن هنا ينشأ الوقوع في البدع، وفق الله المسلمين للرجوع إلى كتابه، وسنة رسوله ﷺ وبالله التوفيق.

[١] ***أقول:*** يكون العبد مسلماً إذا أقرَّ بأركان الإسلام بأن استيقنها بقلبه وأقرَّ بذلك بلسانه، وعمل ذلك بجوارحه، ويكون مؤمناً إذا أقرَّ بأركان الإيمان، وعمل على ضوءها راجياً ثواب الله عز وجل، وخائفاً من عقابه؛ ثمَّ إنَّه قد يصير كافراً إذا جحد شيئاً مما أنزل الله أو جحد حكماً مجمعاً عليه وأنكره، فإنَّه في هذه الصورة يكون قد ارتدَّ عن الإسلام.

أمَّا إن عمل بذلك الشيء وهو مقرٌّ بوجوبه كأن يعمل محرَّماً، وهو مقرٌّ بحرمته كالربا والزنا، وشرب الخمر، وما أشبه ذلك، فإنَّه لا يخرج عن الإسلام بل يكون مسلماً فاسقاً.

أمَّا إذا جحد فرضاً مجمعاً على فرضيته كالصلاة، والزكاة، وصوم رمضان، وما أشبه ذلك فهو إذا فعل ذلك كفر، لكن إذا ترك هذا المفروض وهو معترفٌ بأنَّه فرض، وواجبٌ عليه وعلى غيره، فإنَّه لا يكفر إلاَّ فيما نصت النصوص الشرعية على أن تركه كفر كالصلوات الخمس.

---

(١) وفي نسخة الردادي (فاتق الله رحمك الله).

وجميع ما وصفت لك في هذا الكتاب فهو عن الله تعالى، وعن رسوله ﷺ وعن أصحابه وعن التابعين، وعن القرن الثالث إلى القرن الرابع فاتق الله يا عبدالله وعليك بالتصديق والتسليم، والتفويض، والرضى بما في هذا الكتاب ولا تكتم هذا الكتاب أحداً من أهل القبلة، فعسى الله أن يرد به

أمّا ما عدا ذلك فإنّه لا يكفر بتركه إلاّ إذا صحبه الجحد، وعدم الإقرار بالوجوب أو الحرمة ومن كان مقرًا بالوجوب العيني أو الكفائي، ولكنّه ترك هذا الواجب تكاسلاً فإنّه لا يكفر بذلك كما أنّه لا يكفر بفعل المحرم إلاّ إذا صحبه الجحود، والدليل على ذلك من حديث أبي هريرة قال: أتي النبي ﷺ بسكران، فأمر بضربه، فمنّا من يضربه بيده، ومنا من يضربه بنعله ومنا من يضربه بثوبه، فلما انصرف قال رجل: ما له أخزاه الله فقال رسول الله ﷺ: لا تكونوا عون الشيطان على أخيكم»[1] رواه البخاري فسمّاه أخاً مع شربه للخمر وقد أجمع أهل السنة والجماعة أنّ ارتكاب الكبائر لا يترتب عليه كفر إلاّ إذا صحبه جحود، وقد ذهبت الخوارج إلى كفر من ترك فرضاً أو فعل محرّماً ولو لم يجحد وحكموا عليه بالتخليد في النار، وذهبت المعتزلة أيضاً إلى أنّه بذلك يكون في منزلةٍ بين المنزلتين التي هي الكفر والإيمان، وحكموا بتخليده أيضاً في النار.

أمّا أهل السنة والجماعة، فإنّهم يعتقدون جميعاً أنّ الكبائر لا توجب كفراً وأنّ صاحبها يكون فاسقاً مليّاً، وهو في الآخرة تحت مشيئة الله إن شاء عفا عنه وأدخله الجنّة بدون عذاب وإن شاء عذّبه في النار بقدر جنايته ثمّ تكون نهايته الجنة، وقد حذّر المؤلف رحمه الله من الغلو، لأنّ الغلو سببٌ في الوقوع في مثل هذه المآزق، والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [النساء: من الآية١٧١] ونحن مخاطبون بما خاطب الله به أهل الكتاب، وبالله التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وإنه ليس بخارج من الملة.

حيراناً من حيرته أو صاحب بدعةٍ من بدعته أو ضالاً عن ضلالته فينجو به، فاتق الله، وعليك بالأمر الأول العتيق وهو ما وصفت لك في هذا الكتاب، فرحم الله عبداً ـ ورحم والديه ـ قرأ هذا الكتاب وبثَّه وعمل به، ودعا إليه واحتج به، فإنَّه دين الله، ودين رسوله ﷺ وأنَّه من استحل شيئاً خلافاً لما في هذا الكتاب فإنَّه ليس يدين الله بدينٍ، وقد ردَّه كله كما لو أنَّ عبداً آمن بجميع ما قال الله عز وجل إلاَّ أنَّه شكَّ في حرفٍ فقد شك(١) في جميع ما قال الله، وهو كافرٌ كما أنَّ شهادة أن لا إله إلاَّ الله لا تقبل من صاحبها إلاَّ بصدق النية وخالص اليقين وكذلك لا يقبل الله شيئاً من السنة في ترك بعض، ومن خالف وردَّ من السنة شيئاً، فقد ردَّ السنة كلها(٢)، فعليك بالقبول، ودع المحال، واللجاجة(٣) فإنَّه ليس من دين الله في شيء وزمانك خاصة زمان سوء فاتق الله [١].

---

[١] ***وأقول:*** رحم الله الشيخ، وغفر لي، وله، ولكل قارئ قرأ كتابه، إنَّ هذه مبالغةٌ يغفر الله للمؤلف فيها، فإنَّ الله لم يوجب الإيمان بكتابٍ أي بكل ما في ذلك الكتاب إلا كتابه سبحانه وتعالى، وحتى سنة النبي ﷺ لا يجب الإيمان إلاَّ بما صحَّ منها، وثبت عن رسول الله ﷺ وليس يجب الإيمان بكل ما نسب إلى رسول الله ﷺ لأنَّه ليس كل ما نسب إليه يكون صحيحاً عنه صلوات الله وسلامه عليه ولهذا قال ﷺ: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»(٤) رواه البخاري، ومسلم.

---

(١) وفي نسخة الردادي: (فقد ردَّ).

(٢) وفي نسخة الردادي: (ومن ترك من السنة شيئاً فقد ترك السنة كلها).

(٣) وفي نسخة الردادي: (ودع عنك المحك واللجاجة).

(٤) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم باب اثم من كذب على النبي ﷺ وفي كتاب الجنائز باب ما يكره من النياحة على الميت وفي كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل وفي كتاب الأدب باب من سمى بأسماء الأنبياء وقال أنس قبل النبي إبراهيم ﷺ يعني ابنه. وأخرجه الإمام مسلم في المقدمة باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ وفي كتاب الزهد والرقاق باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.

وإنَّ قول المؤلف: (أنَّه من استحلَّ شيئاً خلافاً لما في هذا الكتاب فإنَّه ليس يدين الله بدينٍ وقد ردَّه كلَّه) هذه المبالغة لا يوافقه عليها الراسخون من أهل العلم، فإنَّه لا يستطيع أن يضمن بأنَّ كل ما في كتابه حقٌّ، فقد يلتبس على العبد الحقّ بالباطل، وقد يظن الإنسان ولو كان عالماً جليلًا ومجتهداً بارعاً قد يعتقد أنَّ ذلك الشيء حقٌّ وهو باطل أو فيه شيءٌ من الباطل، وإن هذه المبالغة كان ينبغي للمؤلف ألَّا يقولها، وكلٌّ يؤخذ من قَوله ويرد إلَّا رسول الله ﷺ وكلٌّ يجوز عليه الخطأ إلَّا من لا ينطق عن الهوى والحق غالباً يكون بين الإفراط والتفريط، والغلو والتقصير، رحم الله أبا محمد الحسن بن علي البربهاري.

أمَّا القرآن فإنَّه كله حقٌّ، ومن شك في كلمةٍ من كلماته أو في حرفٍ من حروفه ولم يعتقد صحتها فإنَّه يكفر إذا كان هذا الحرف متفقاً عليه في القراءات السبع.

وأمَّا قوله: (كما أنَّ شهادة أن لا إله إلَّا الله لا تقبل من صاحبها إلَّا بصدق النية، وخالص اليقين) وأقول لا شكَّ أنَّ شهادة أن لا إله إلَّا الله لا تقبل من صاحبها إلَّا إذا اجتمعت فيها الشروط، وهذه ثلاثة شروط وهي: الصدق، والإخلاص واليقين[1]، ذلك لأنَّ من ترك شيئاً من هذه الشروط بطلت شهادته لفقد واحدٍ منها.

---

(١) وأيضاً من شروط لا إله إلَّا الله: العلم بمعناها، والقبول، والانقياد، والمحبة، وقد جمع هذه الشروط السبعة الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي رحمه الله في منظومته سلم الوصول ثمَّ قام بشرحها في كتابه معارج القبول بشرح سلم الوصول في ج٢/٤١٨:

وبشروطٍ سبعة قد قيدت ... وفي نصوص الوحي حقاً وردت
فإنَّه لم ينتفع قائلها ... بالنطق إلاَّ حيث يستكملها
العلم واليقين والقبول ... والانقياد فادر ما أقول
والصدق والإخلاص والمحبة ... وفقك الله لما أحبَّه

ثم ذكر العلماء رحمهم الله شرطاً ثامناً من شروط لا إله إلَّا الله وهو الكفر بما يعبد من دون الله واستدلوا بقول الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: من الآية٢٥٦] وبقوله ﷺ: «من قال لا إله إلَّا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله» رواه مسلم وقد جمعت هذه الشروط الثمانية في بيتين قيل فيها: -
=

فإذا وقعت الفتنة فالزم جوف بيتك، وفرَّ من جوار الفتنة، وإيَّاك والعصبية، وكل ما كان من قتالٍ بين المسلمين على الدنيا فهو فتنة، فاتق الله وحده لا شريك له ولا تخرج فيها، ولا تقاتل فيها، ولا تهوى، ولا تشايع ولا تمايل، ولا تحب شيئاً من أمورهم، فإنَّه يقال: من أحبَّ فعال قومٍ خيراً

أمَّا قوله: (ومن خالف وردَّ من السنة شيئاً فقد ردَّ السنة كلها) فهذا القول فيه تفصيل: فإن كان ردَّ شيئاً من السنة لتأويل أو ردَّ شيئاً شكَّ في ثبوته، فهذا لا يكفر، وإنَّما يكفر من ردَّ شيئاً مجمعاً عليه من السنة بغير تأويل. قَولُه: (فعليك بالقبول، ودع عنك المحال واللجاجة) المحال هو: المماحلة في الحق، والمجادلة فيه، واللجاجة هي: كثرة الكلام.

قَولُه: (فإنَّه ليس من دين الله في شيء) يعني أنَّ الحق يكون في غير اللجاجة والمجادلة إذا كانت بالباطل، ونصرةً له.

قَولُه: (وزمانك خاصة زمان سوء) وأقول: إذا كان هذا في القرن الرابع الهجري فكيف في زمننا، والذي يجب على المسلم التسليم لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ بدون مجادلةٍ فيها ومماطلة لإبطال معانيها، وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾ [آل عمران:٧] قالت: قال رسول الله ﷺ: فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»[(١)] متفقٌ عليه، وبالله التوفيق.

= علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقك مع محبة وانقيادٍ والقبول لها
وزيد ثامنها الكفران منك بما سوى الإله من الأوثان قد ألها

(١) أخرجه الإمام البخاري في كتاب تفسير القرآن باب منه آياتٌ محكمات، وأخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب العلم باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن.

كان أو شرًا كان كمن عمله، وفقنا الله وإيَّاكم لمرضاته وجنبنا وإيَّاكم معاصيه [١].

وأَقِلَّ من النظر في النجوم إلاَّ بما تستعين به على مواقيت الصلاة، والْهُ عمَّا سوى ذلك فإنَّه يدعو إلى الزندقة [٢].

[١] وبعد فهنا حثٌّ من المؤلف على لزوم الإنسان بيته عند الفتنة أخذاً بحديث محمد بن مسلمة وغيره من الأحاديث مثل حديث عقبة بن عامر ﵁ قال: «قلت يا رسول الله: ما النجاة؟ قال: املك عليك لسانك وليسعك بيتك، وابك على خطيئتك»(١) رواه الإمام أحمد والترمذي وقال عنه: حديثٌ حسن، وفي ذلك التحذير من مقارفة الفتنة، وإعانة أهلها أو الاشتراك فيها أو الرضا بعمل من يحركها ويثيرها حتى لقد أمر النبي ﷺ من أدركها أن يكف يده، ويلزم بيته حتى قال: «إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف، فألق طرف ردائك على وجهك، فيبوء بإثمه وإثمك فيكون من أصحاب النار»(٢) رواه أبو داود، وأحمد وابن ماجة واللفظ له ومن الآثار المأثورة عن عبدالله بن مسعود ﵁ أنَّه قال: (إنَّها ستكون أمورٌ مشتبهات فعليكم بالتؤدة فإنَّك إن تكن تابعاً في الخير خيراً من أن تكون رأساً في الشر)(٣).

[٢] *أقول:* النظر في النجوم، وتعلم علم النجوم ينقسم إلى قسمين:

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسند باقي الأنصار برقم الحديث ٢١٧٣٢ وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب الزهد باب ما جاء في حفظ اللسان، وقد صححه الإمام الألباني في صحيح الجامع في ج١/٢٩٥ برقم الحديث ١٣٩٢ وقال انظر السلسلة الصحيحة برقم ٨٩٠.

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في الفتن والملاحم باب النهي عن السعي في الفتنة، وأخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن باب التثبت في الفتنة، وأخرجه الإمام أحمد في مسند الأنصار برقم ٢٠٩٣٤، والحديث صححه الإمام الألباني رحمه الله في صحيح سنن ابن ماجة رحمه الله في الباب السابق الذكر وأحال أيضاً في هذا إلى الإرواء برقم الحديث ٢٤٥١ فمن شاء فليرجع إليه.

(٣) الأثر سبق تخريجه.

وإيَّاك والنظر في الكلام، والجلوس مع أصحاب الكلام وعليك بالآثار، وأهل الآثار وإياهم فاسأل، ومعهم فاجلس، ومنهم فاقتبس [١].

---

١ ـ علم تسيير: وهو العلم الذي تعرف به المنازل، وأوقات الزراعة، وما أشبه ذلك، فهذا جائز.

٢ ـ علم التأثير: وهو ما يقوله المنجِّمون من أنَّ النجوم لها تأثيرٌ في وقائع الأرض، وما يحوي ذلك من كتبٍ مضلة كشمس المعارف، وأبي المعشر الفلكي، وغير ذلك التي يقول مؤلفوها: من تزوج في ليلة كذا عند اقتران القمر بكذا حصل له كذا، ومن سافر في ليلة كذا حصل له كذا وهذا فيه الكفر والشرك الأكبر، إذ أنَّه مزدوج بالطلاسم، والاستغاثة بالجن وكل ذلك شركٌ وكفر، وتحكمٌ في علم الغيب وعلم الغيب لله وحده عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلَّا من ارتضى من رسول، وقد جاء في الأثر عن قتادة رحمه الله أنَّه قال: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: من الآية٥]، خلق الله هذه النجوم لثلاث جعلها زينة للسماء، ورجوماً للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها بغير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به)[1] رواه البخاري.

وأقول: إنَّ علم الغيب، والتأثير في الكون، وتقدير وقائعه قد كتبها الله في اللوح المحفوظ وأخبر بأنَّ علم الغيب إليه وحده، وأنَّ مقادير هذا الكون هي مقدرة بإرادته. فمن زعم أنَّ النُّجوم لها تأثيرٌ في حياة الناس فقد خرج من الإسلام وكفر كفراً يحتم عليه الخلود في النار وحرمان الجنة قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: من الآية٧٢] فالواجب على المسلم أن يكون متبعاً لما جاء به النبي ﷺ مؤمناً بأنَّ التصرف في الكون لله رب العالمين دون سواه وبالله التوفيق.

[١] قد ورد عن السلف رحمهم الله التحذير من الكلام من تعلمه، وتعليمه

---

(١) الأثر عن قتادة رحمه الله أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في باب النجوم من كتاب بدء الخلق.

واعلم أنَّه ما عُبد الله بمثل الخوف من الله، وطريق الخوف[(١)]، والحذر، والشفقات والحياء من الله تبارك وتعالى، واحذر أن تجلس مع من يدعو إلى الشوق، والمحبة ويخلو مع النساء، وطريق المذهب، فإنَّ هؤلاء كلهم على ضلالة [١].

والنظر فيه والكلام: وهو علم المنطق المأخوذ عن الفلاسفة، لهذا جاء عن الشافعي رحمه الله أنَّه قال: (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام)[(٢)]. وكم ندم الذين اشتغلوا فيه وأمضوا أعمارهم في النظر في الكتب التي تعج بالكلام، والمنطق، ندموا عند الموت وتحسروا حين لا ينفع التحسر فقال بعضهم: (ليتني أموت على دين العجائز)[(٣)] ولقد أفتى ابن الصلاح وكثيرٌ من العلماء؛ أفتوا بتحريمه، والنظر فيه[(٤)]. وبالله التوفيق.

[١] *وأقول:* إنَّ هذا المقطع في هذه الفقرة تعريضٌ بالصوفية، وتحذيرٌ

---

(١) وفي نسخة الردادي: (وطريق الخوف والحزن).

(٢) انظر شرح ابن أبي العز للعقيدة الطحاوية ص١٧ثمَّ ذكر المحققان الشيخان عبدالله التركي، وشعيب الأرناؤوط إلى أنَّ الأثر عزاه البيهقي في مناقب الشافعي ٤٦٢/١ والخطيب في شرف أصحاب الحديث ١٦٨ وابن حجر في توالي التأسيس ص٦٤ والذهبي في السير ٢٩/١٠.

(٣) لقدْ مرَّ معنا الحديث عن نحو ذلك من العبارات التي رجع فيها بعض الذين تأثروا بعلم الكلام إلى منهج أهل السنة.

(٤) نقل الشيخ الردادي نقولاتٍ عن السلف فيها ذم تعلم علم الكلام ومجالسة أهله ص١١٠ من تحقيقه لمتن البربهاري رحمه الله مما يدل ذلك على تحريم تعلمه من ذلك: قول الشافعي رحمه الله: «لئن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خيرٌ له من أن ينظر في علم الكلام» أخرجه ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي ص١٨٢ وابو نعيم في الحلية ١١١/٩ وابن عبدالبر في الإنتقاء ص٧٨ وقال الإمام أحمد رحمه الله: (لايفلح صاحب كلام أبدا علماء الكلام زنادقة) أخرجه ابن الجوزي في مناقب أحمد ص٢٠٤ ط التركي وقالَ الإمام أحمد أيضاً: «لا تجالسوا أصحاب الكلام وإن ذبوا عن السنة» أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى ٤٢١/٣ وابن الجوزي في المناقب ص٢٠٤ ـ ٢٠٥ وأورده ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة ٣٣٤/١. اهـ.

واعلم أنَّ الله تعالى دعا الخلق كلهم إلى عبادته، ومَنَّ من بعد ذلك على من يشاء بالإسلام تفضلاً منه [١].

منهم ومن أعمالهم السيئة، وسلوكياتهم الضالة، ومذاهبهم المأفونة، فإنَّ أقوالهم وأعمالهم كلها ضلال، ورجس وفساد، وحدة وجود، وعشقٌ كاذب ومقالات كاسدة فاسدة تناقلها بعضهم عن بعض، فليس هناك أضل ممن شبه ربه بمنكوحة كما يقرر ذلك ابن عربي(١) عليه لعائن الله وإنَّ من يذكرون العشق في محبة الله إنَّما ذلك الشيطان يتجارى بهم في الكفر ويوقعهم في أوحال الضلال الذي ليس بعده ضلال، ولا يشبهه ضلال فمن جعل الله هو الصخرة الصماء، والبهيمة العجماء، والأرض الموطوءة والحلقة الملقاة، فكفره أشدُّ من كفر الملحد الذي لا يعترف بالله، ولا يؤمن بوجوده، نسأل الله أن يعصمنا مما وقعوا فيه وأن يعيذنا من شر مقالاتهم الخبيثة، وبالله التوفيق.

[١] قوله: (واعلم أنَّ الله تعالى دعا الخلق كلهم إلى عبادته) يشير بهذا إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝٢١﴾ [البقرة: ٢١].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر: ٥].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: ١، ٢].

---

(١) انظر كتاب مصرع التصوف أو تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي للعلامة الشيخ برهان الدين البقاعي ص ١٣١ رب الصوفية امرأة، وانظر كذلك إلى كتاب صغير بعنوان الصوفية في ميزان الكتاب والسنة للشيخ محمد جميل زينو ص ١٨,

والكف عن حرب علي، ومعاوية، وعائشة، وطلحة والزبير رحمهم الله أجمعين، ومن كان معهم لا تخاصم فيهم، وكِلْ أمرهم إلى الله تعالى، فإن رسول الله ﷺ قال:

«إياكم وذكر أصحابي، وأصهاري، وأختاني» وقال: «إن الله تعالى نظر إلى أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»(١) [١].

ثمَّ بعد أن دعا الله الناس جميعاً إلى دينه وعبادته اختص من شاء منهم بالهداية إلى هذا الدين تفضلاً منه ومنًّا، فهدى من شاء بفضله وأضلَّ من شاء بعدله وقال جلَّ من قائل: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: من الآية١٧]. وقد قام هؤلاء الذين اختصهم بالهداية بما أوجب الله عليهم من العبادة المبنية على التوحيد، وقال لإمامهم وقدوتهم محمدٍ ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾﴾ [الزمر: ١٤،١٥] فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله وبالله التوفيق.

[١] *وأقول:* إنَّ اللفظ المشهور الذي أعرفه، وإن كان هناك ألفاظٌ في النهي عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ بما لا ينبغي، فيه ألفاظ متعددة كلها يفيد هذا المعنى أي يفيد النهي عن سب أصحابه منها قوله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»(٢) متفقٌ عليه، ونقل المعلق على النسخة المطبوعة: «الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني،

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب المغازي باب غزوة بدر وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم، وقصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه.

ومن آذاني فقد آذى الله تعالى ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه» أشار المعلق إلى أنه (أخرجه أحمد ج٥/٥٤ ـ ٥٧ والترمذي في المناقب حديث رقم ٣٨٦١ وحسنه وابن حبان في الموارد رقم ٢٢٨٤ غير أنَّ الشيخ الألباني ضعف رواية الترمذي انظر ضعيف الجامع رقم ١٢٥٩) وأقول: إنَّ تحريم الكلام في أصحاب رسول الله ﷺ مجمعٌ عليه بين أهل السنة والجماعة، ونصوص الكتاب والسنة تؤيد هذا الإجماع كما في الآيات من آخر سورة براءة: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟...﴾ [التوبة: من الآية ١١٧، ١١٨].

وقوله في آخر سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ الآية، والآيات في سورة الحشر(١)، ومن السنة قوله ﷺ لعمر بن الخطاب في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنهما: «وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدرٍ، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» رواه البخاري ومسلم، وبالله التوفيق.

ملحوظة: إنَّ أهل السنة والجماعة متفقون على عدم جواز الخوض فيما جرى بين أصحاب رسول الله ﷺ من حروبٍ، ودماءٍ، وغير ذلك، وإنَّ الذي ينبغي للمسلم أن يعذرهم، ويحملهم على أنَّهم كلهم مجتهدون فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجرٌ واحد، كما أنَّ أهل السنة اتفقوا على أنَّه لا يتكلم فيهم إلاَّ ضال، ومن وجد منه كلامٌ في حقهم فهو دليل على ضلاله، فالرافضة، والخوارج، والمعتزلة وأمثالهم كل هؤلاء

(١) وهي ما جاء في الآية ٨ وما بعدها وهي قول الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ....﴾.

واعلم أنَّه لا يحل مال امرىء مسلم إلاَّ بطيبةٍ من نفسه وإن كان مع رجلٍ مالٌ حرامٌ فقد ضمنه لا يحل لأحدٍ أن يأخذ منه شيئاً إلاَّ بإذنه، فإنَّه عسى أن يتوب هذا فيريد أن يرده على أربابه فأخذت حراماً [١].

مذاهبهم مبنية على ضلال، وقد قال قائل أهل السنة(١):

وما جرى بين الصِّحاب نسكت عنه وأجر الاجتهاد نثبت

وقد ظهرت في زمننا هذا أشرطةٌ تروي ما جرى بين الصحابة بدون احترام لهم ولا تنبيهٍ على أنَّ ما جرى بينهم لا ينشر بل يكون قيد الكتمان وقد تَصدر في هذا المجال رجلٌ يقال له طارق السويدان، فردَّ عليه العالم الجليل الشيخ السلفي أحمد بن عبدالعزيز التويجري بعد تتبع أخطاءه والتنبيه عليها في كتابٍ سمَّاه الإيضاح والبيان في أخطاء طارق السويدان فجزاه الله خيرا، وبارك فيه، وكثَّر الله من أمثاله، وبالله التوفيق.

[١] حرمة مال المسلم أمرٌ مسلَّمٌ به مجمعٌ عليه تطابقت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: من الآية١٨٨]. وقال النبي ﷺ في خطبة يوم عرفة:

«ألا تدرون أي يوم هذا؟! قالوا: الله ورسوله أعلم قال: حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس بيوم النحر؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال: أي بلد هذا أليست بالبلدة الحرام؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ألا هل بلغت؟!! قلنا: نعم. قال: اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رب مبلغ يبلغه، لمن هو أوعى له»(٢) رواه

---

(١) وهو الإمام أحمد بن رسلان الشافعي في منظومته المعروفة بالزبد.

(٢) الحديث بهذا اللفظ أخرجه الإمام البخاري في كتاب الحج باب الخطبة أيام منى وفي كتاب الفتن باب قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض» =

المكاسب ما بان لك صحته فهو مطلق إلاَّ ما ظهر فساده، فإن كان فاسداً يأخذ من الفاسد ممسكةً نفسه، ولا تقول: اترك المكاسب(١) وآخذ ما أعطوني لم يفعل هذا الصحابة، ولا العلماء إلى زماننا هذا، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كسب فيه بعض الدنية خير من الحاجة إلى الناس(٢) [١].

البخاري ومسلم وفي قول المؤلف: (وإن كان مع رجلٍ مال حرام فقد ضمنه) أي ذلك الرجل الذي أخذ المال الحرام قد ضمنه.

وقوله: (لا يحل لأحدٍ أن يأخذ منه شيئاً إلَّا بإذنه، فإنَّه عسى أن يتوب هذا فيريد أن يرده على أربابه فأخذت حراماً) يعني فلا يتمكن، وأنت تعتبر قد أخذت حراماً، ومعنى ذلك:

١ ـ أنَّك تشارك صاحبه في الحرمة.

٢ ـ أنَّك تكون مثله عندما تأخذ المال الحرام فتصبح لا تبالي.

٣ ـ أنَّك تكون قد أضعت عليه الفرصة فيما إذا كان يريد أن يتوب منه حيث يريد أن يرد ذلك المال فلا يجده، فتكون قد جنيت عليه، وأضعت عليه الفرصة لذلك فإنَّ الواجب عليك ألاَّ تفعل.

[١] *أقول:* معنى هذا الكلام أنَّك لا تمتنع من الكسب الحلال، ولو كان فيه دنية بل الكسب من المهنة التي فيها دنية خيرٌ لك من أن تسأل الناس والكسب الذي فيه دنية هي بعض الأشياء التي يعدها بعض الناس دناءة كالحجامة والحلاقة، والبيع لبعض الأشياء التي تعتبر دناءة ما لم تكن حراماً فالمؤلف يقول: (وكسب فيه بعض الدنية خيرٌ من الحاجة إلى الناس).

= وأخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

(١) وفي نسخة الردادي: (والمكاسب مطلقة)

(٢) قال الشيخ أبو ياسر الردادي حفظه الله يعني الأثر: أخرجه وكيع بن الجراح كما في كنز العمال (١٢٢/٤) وأورده ابن الجوزي في مناقب عمر (١٩٤).

والصلوات الخمس جائزة خلف من صليت إلا أن يكون جهمياً فإنه معطل، وإن صليت خلفه، فأعد صلاتك، وإن كان إمامك يوم الجمعة جهمياً وهو سلطان فصل خلفه، وأعد صلاتك وإن كان إمامك من السلطان وغيره صاحب سنة فصل خلفه ولا تعد صلاتك [١].

ملحوظة: المطلق مباح لك الكسب منه. أمّا قوله: (يأخذ من الفاسد ممسكةً نفسه) فمعنى ذلك أن تأخذ من الفاسد ما يمسك عليك الحياة إذا اضطررت إليه كالميتة، وما عدا ذلك فلا يجوز لك أن تقربه.

قوله: (ولا تقول: أترك المكاسب، وآخذ ما أعطوني) يعني أنّك لا يجوز لك أن تترك المكاسب التي فيها غضاضة عليك، وتسأل الناس بل خذ من المكاسب الحلال ما يعفك عن الناس، وعن سؤالهم حتى ولو كان في ذلك غضاضة عليك. قوله: (وما بان لك صحته فهو مطلق) أي حلال والمطلق يجوز لك الكسب منه ومزاولته، وبالله التوفيق.

[١] *وأقول:* بيَّن المؤلف رحمه الله أنَّ الصلوات الخمس جائزة خلف من صليتها وراءه من المسلمين ما لم يكن جهمياً فإنَّه معطلٌ، وإن صليت خلفه فأعد صلاتك يعني إذا صليت وراء الجهمي فأعد صلاتك.

والجهمي: هو الذي يعطل الأسماء والصفات(١)، ويقول: القرآن مخلوق ولم يذكر المؤلف غير الجهمي من أصحاب البدع وإن كانت غليظة قد تصل بصاحبها إلى الكفر كبدع الشيعة الغلاة الذين يسبون أبا بكرٍ، وعمر وعائشة رضي الله عنهم ويقولون: إنَّ أهل البيت معصومون ويقولون: أنَّ جبريل كان مرسلاً إلى علي فألقى بالرسالة إلى محمدٍ خطأً منه، إلى غير ذلك من رعوناتهم، ومثل ذلك المعتزلة الذين يقولون: إنَّ القرآن مخلوق، وينفون القدر وأنَّ الأمر أنف، ومثل هؤلاء أيضاً الصوفية الغلاة في التصوف الذين يقولون بوحدة الوجود وأمثال هؤلاء، فإنَّ حكمهم حكم الجهمي.

---

(١) أي ينكر أنَّ لله أسماءً حسنى وصفاتٍ عليا تليق بجلال الله وعظيم سلطانه تعالى الله عمّا يقول الظالمون.

والإيمان بأنَّ أبا بكر، وعمر رحمة الله عليهما في حجرة عائشة مع رسول الله ﷺ قد دفنا هنالك معه، فإذا أتيت القبر، فالتسليم عليهما بعد رسول الله ﷺ واجب [١].

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر واجب إلا من خفت سيفه وعصاه، والتسليم على عباد الله أجمعين [٢].

أمَّا أصحاب البدع الذين لا تبلغ بدعهم إلى الكفر، بل هي بدعٌ مفسقة فالظاهر أنَّ الصلاة وراءهم جائزةٌ بدون إعادة. ثمَّ قال: (وإنَّ كان إمامك من السلطان وغيره صاحب سنة فصلِّ خلفه، ولا تعد صلاتك) وأقول: إنَّ إئتمام المأموم المسلم بصاحب سنة أمرٌ مطلوب، والصلاة وراءه صحيحة، لكن إذا كان الإمام صاحب بدعةٍ خفيفة لا تبلغ إلى حدِّ الكفر، ولا تخرجه عن ملة الإسلام، فالصلاة جائزةٌ وراءه، ولا تلزم الإعادة وبالله التوفيق.

[١] *وأقول:* الإيمان بذلك إيمانٌ بالتواتر الذي لا يخالف فيه أحد، وهو أنَّ أبا بكرٍ، وعمر دفنا مع رسول الله ﷺ ورضي الله عنهما، وهو أمرٌ لا يخالف فيه أحدٌ، ولا ينكره إلاَّ مكابر وأنَّهما أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلوات الله وسلامه عليه ومن قال خلاف ذلك أو كفَّرهما أو انتقص من حقهما فهو مبتدعٌ ضال وربما وصلت به حالته إلى الكفر والعياذ بالله وإنَّ أهل السنة لا يعتقدون فيهما العصمة بل يعتقدون أفضليتهما على سائر الأمة.

قوله: (فإذا أتيت القبر، فالتسليم عليهما بعد رسول الله ﷺ واجب) أقول: نعم التسليم عليهما مشروع. أمَّا الوجوب ففيه نظر، وبالله التوفيق.

[٢] الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر فرض على المسلمين جميعاً بإجماع الأمة على ذلك المؤيد بالنصوص من الكتاب والسنة، والنقول الصحيحة عن الصحابة رضوان الله عليهم قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية١١٠] إلاَّ إذا كان على من خفت سيفه وعصاه،

ومن ترك صلاة الجمعة والجماعة في المسجد من غير عذر فهو مبتدع، والعذر: كمريض لا طاقة له بالخروج إلى المسجد أو خوف من سلطان ظالم، وما سوى ذلك فلا عذر له ومن صلى خلف إمام فلم يقتد به فلا صلاة له [١].

فأنت تكون معذوراً عند ربك سبحانه وتعالى، وقد أشير إلى ذلك في حديث تميم الداري ﷺ حيث قال: قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة قلنا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامتهم»(١) رواه مسلم وفي حديث أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(٢) رواه مسلم.

[١] قوله: (من ترك صلاة الجمعة والجماعة في المسجد من غير عذرٍ فهو مبتدع) *أقول:* إطلاق اسم مبتدع على تارك الصلاة في المسجد قد لا يكون مأخوذاً على عمومه فإنَّ من ترك الجمعة والجماعة تحرجاً من الصلاة وراء بعض الولاة، لأنَّه يرى أنَّه كافر أو فاسق لا يجوز الاقتداء به فهو مبتدع، لكن إن تركها بغير هذا القصد فهو فاسق، وقد يكون منافقاً إذاً فلا يكون مبتدعاً إلاَّ من ترك صلاة الجمعة والجماعة بناءً على اعتقادٍ عنده أنَّ ذلك الإمام لا ينبغي أن يصلى بعده يعني وراءه. أمَّا غيره فلا يطلق عليه الابتداع، بل من ترك صلاة الجماعة تهاوناً فهو فاسق، ومن تركها غير مؤمن بها فهو منافق.

ثمَّ بين العذر فقال: (كمرضٍ لا طاقة لصاحبه بالخروج إلى المسجد أو خوفٍ من سلطان ظالم، وما سوى ذلك فلا عذر له).

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر باليد واللسان، والقلب بلا سيف، والمستور من المسلمين من لم يظهر منه ريبة [١].

ثمَّ أشار إلى مسألةٍ قد يفعلها بعض المبتدعة بحيث أنَّه يصلي خلف الإمام بنية أنَّه منفرد فقال: (ومن صلى خلف إمام فلم يقتد به فلا صلاة له) الدليل على ذلك قول النبي ﷺ: «إنما جعل الإمام ليؤتم به فلا تختلفوا عليه، فإذا ركع فاركعوا، وإذا قال: سمع الله لمن حمده فقولوا: ربنا لك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلى جالساً فصلوا جلوساً أجمعون وأقيموا الصف في الصلاة، فإن إقامة الصف من حسن الصلاة»(١) متفقٌ عليه، وبالله التوفيق.

[١] الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر باليد، واللسان، والقلب هذا مقتضى حديث رواه مسلمٌ وغيره عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»(٢) علماً بأنَّ التغيير باليد يكون لأصحاب السلطة، وللرجل في بيته، ومن لم يقدر على اليد أو كان ليس من أهلها انتقل إلى اللسان، فأنكر باللسان، وهي المرتبة الثانية، وإن لم يستطع باللسان أنكر بالقلب، وهو أن يكره المنكر وفاعله، ويكره المقصر عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا كان قادراً.

وقَولُه: (بلا سيف) فيه ردٌّ على المعتزلة والخوارج الذين يعتقدون جواز الخروج بالسيف على الولاة، ويعتبرونه من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. قوله: (والمستور من المسلمين من لم يظهر منه ريبة) ومعنى الريبة أن يعمل عملاً فيه احتمال ظاهر أو قرينةٌ ظاهرة تدل على تحريمه وبالله التوفيق.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب الأذان باب باب إقامة الصف من تمام الصلاة، وأخرجه الإمام مسلم رحمهما الله في كتاب الصلاة باب ائتمام المأموم بالإمام من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث سبق تخريجه.

وكل علم ادعاه العباد من علم الباطن لم يوجد في الكتاب ولا في السنة فهو بدعة وضلالة، ولا ينبغي لأحد أن يعمل به، ولا يدعو إليه [١].

وأي امرأةٍ(١) وهبت نفسها لرجل: فإنها لا تحل له يعاقبان إن نال منها شيئاً، إلا بولي وشاهدي عدل، وصداق [٢].

---

[١] ***وأقول:*** إنَّ هذه الفقرة فيها ردٌّ على الصوفية الذين يزعمون أنَّ قلوبهم تتلقَّى الإلهامات من الله سبحانه وتعالى، ويعتبرون ذلك وحياً، فيقول أحدهم: حدثني قلبي عن ربي، وما ذلك إلاَّ من الشياطين التي تلعب به وتوهمه أنَّ ذلك من الكرامات، وما هو إلاَّ من لعب الشيطان وإضلاله إيَّاهم، ومن وجد منه ذلك ـ وهو يوجد من الصوفية كثير ـ فهو مبتدع ضال، وبالله التوفيق.

[٢] النكاح بالهبة لا يصح، لأنَّه من خصائص النبي ﷺ حيث يقول الله عز وجل: ﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ﴾ [الأحزاب: من الآية٥٠]، فهذا فيه تخصيصٌ للنبي ﷺ بنكاح الهبة، فإن نكح رجلٌ امرأةً بوليٍّ وشاهدي عدل، ولكنَّه لم يسمِّ لها صداقاً، صحَّ النكاح، ووجب لها مهر المثل، وفي ذلك حديث معقل بن سنان: «عن علقمة عن ابن مسعود أنه سئل عن رجل تزوج امرأة ولم يفرض لها صداقاً، ولم يدخل بها حتى مات، فقال ابن مسعود: لها مثل صداق نسائها لا وكس، ولا شطط، وعليها العدة، ولها الميراث فقام معقل بن سنان الأشجعي فقال: قضى رسول الله ﷺ في بروع بنت واشق امرأة منا مثل الذي قضيت، ففرح بها ابن مسعود رضي الله عنه»(٢) رواه الترمذي وغيره وقال أبو

---

(١) وفي نسخة الردادي: (وأيما امرأةٍ).

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي في كتاب النكاح باب ما جاء في الرجل يتزوج المرأة فيموت عنها قبل أن يفرض لها، ثمَّ قال عقب ذكر الحديث: هذا حديثٌ حسن صحيح، =

وإذا رأيت الرجل يطعن[1] على أصحاب النبي ﷺ فاعلم أنه صاحب قول سوء وهوى لقول رسول الله ﷺ: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا»[2] فقد علم النبي ﷺ ما يكون منهم من الزلل بعد موته، فلم يقل فيهم إلا خيراً.

عيسى الترمذي: حديث ابن مسعود حديث حسن صحيح، وحديث ابن عباس: «لا نكاح إلاَّ بولي وشاهدي عدل»[3] رواه البيهقي، وقد ذهب الجمهور إلى اشتراط الولي، وخالفهم الحنفية.

أمَّا اشتراط العدالة في الشاهدين، فهذا أيضاً محل خلاف، وهذا الحديث يدل على صحة اشتراط الشاهدين، وأن يكونا عدلين، وبالله التوفيق.

= وقد روي عنه من غير وجه والعمل على هذا عند بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم وبه يقول الثوري وأحمد، وإسحاق، وقال بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ منهم علي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وابن عباس وابن عمر إذا تزوج الرجل المرأة ولم يدخل بها، ولم يفرض لها صداقاً حتى مات قالوا: لها الميراث، ولا صداق لها وعليها العدة، وهو قول الشافعي قال: لو ثبت حديث بروع بنت واشق لكانت الحجة فيما روي عن النبي ﷺ وروي عن الشافعي أنه رجع بمصر عن هذا القول، وقال بحديث بروع بنت واشق، والحديث أيضاً أخرجه الإمام أحمد في مسند ٤٢٦٤ المكثرين من الصحابة وبرقم ١٧٩٩٤ في مسند الكوفيين، والحديث أيضاً أخرجه الإمام النسائي في كتاب النكاح باب إباحة التزوج بغير صداق وفي كتاب الطلاق باب عدة المتوفى عنها زوجها قبل أن يدخل بها وأخرجه الإمام أبو داود في كتاب النكاح باب فيمن تزوج ولم يسم صداقاً حتى مات وأخرجه الإمام ابن ماجة في كتاب النكاح أيضاً باب الرجل يتزوج ولا يفرض لها فيموت على ذلك، وأخيراً أخرجه الإمام الدارمي في كتاب النكاح باب الرجل يتزوج المرأة فيموت قبل أن يفرض لها، وقد صحح الحديث الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي ج١/٥٨٢.

(١) وفي نسخة الردادي: (يطعن على أحد من أصحاب النبي ﷺ).

(٢) الحديث سبق تخريجه.

(٣) رواه البيهقي انظر صحيح الجامع للألباني برقم ٧٥٥٧.

وقال ﷺ: «ذروا أصحابي لا تقولوا فيهم إلا خيراً»(١) ولا تحدث بشيء من زللهم، ولا حربهم ولا ما غاب عنك علمه، ولا تسمعه من أحد يحدث به، فإنه لا يسلم لك قلبك إن سمعته [١].

---

[١] قَولُه: (وإذا رأيت الرجل يطعن على أصحاب النبي ﷺ... الخ) هذا هو قول أهل السنة والجماعة خلافاً لأصحاب البدع من رافضةٍ وخوارج، فإنَّهم يطعنون في أصحاب النبي ﷺ الذين زكاهم الله في كتابه وأخبر بالتوبة عليهم في قوله عز وجل: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧]، وفي قوله تعالى في آخر سورة الفتح: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح: من الآية٢٩] وقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الحشر: من الآية٨]، ثمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: من الآية٩]. إلى أن قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]،

---

(١) قال المحقق الردادي حفظه الله ورعاه عن الحديث: لم أجده بهذا اللفظ ويبدو أنَّ المؤلف لفَّقه من حديثين متغايرين وإليك شرحه: فقوله: «ذروا أصحابي» أخرجه البزار (٣/٢٩٠ كشف الأستار) بإسنادٍ حسن. وقوله: «لا تقولوا فيهم إلَّا خيرا» أخرجه خيثمة بن سليمان في فضائل الصحابة كما في جزء طرق حديث: «لا تسبوا أصحابي» لابن حجر (ص٧٠) وإسناده ضعيف.

وقال صلوات الله وسلامه عليه: «لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»(١) رواه البخاري، ومسلم.

ومن أجل هذه النصوص فإنَّ أهل السنة والجماعة يرون توقير أصحاب النبي ﷺ وإجلالهم وعدم الكلام فيهم، وأنَّ ما جرى بينهم نسكت عنه هكذا قرر أئمة الهدى كأحمد بن حنبل والشافعي، ومالك، وعبدالله بن المبارك، والسفيانان، والحمَّادان، ومن تبعهم من أصحاب الحديث، وأنَّه لا ينبغي التحدث بشيءٍ مما وقعوا فيه من الحروب، وأنَّهم يحملون في ذلك على الاجتهاد، وأنَّهم مجتهدون، فمن أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ منهم فله أجر واحد، وأنَّ صحبتهم للنبي ﷺ وجهادهم معه يكفِّر ما وقعوا فيه، وبالله التوفيق.

أمَّا قول المؤلف رحمه الله: (فقد علم النبي ﷺ ما يكون منهم من الزلل بعد موته، فلم يقل فيهم إلا خيراً الخ) فهذا لا أدري على أي شيءٍ استند المؤلف في قوله هذا، مع أنَّ أهل السنة والجماعة يعتقدون بأنَّ النبي ﷺ لم يعلم شيئاً من الغيب إلاَّ ما علَّمه الله إياه فكونه علَّمه الله بما قد يقع من بعضهم، وأخبر به النبي ﷺ هذا لا ينكر.

أمَّا أنَّه علم كلٍ ما يصير منهم بعد موته، فهذا لا يقوله أحدٌ من السلف ولا يعتقده إلاَّ أصحاب الاعتقادات المنحرفة، وقد نفى الله سبحانه وتعالى عن نبيه علم الغيب، وأمره أن ينفيه عن نفسه كما في قول الله تعالى في آخر سورة الأعراف آية ١٨٨: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾ وقوله: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ﴾ [الأنعام: من الآية٥٠] إلى غير ذلك من الآيات.

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار أو يريد غير الآثار، فاتهمه على الإسلام، ولا تشك أنّه صاحب هوى مبتدع [١].

[١] *أقول:* هذا القول تطابقت عليه أقوال كثيرٍ من السلف، واتفقوا جميعاً على أنَّ من ردَّ السنن أو أبغض حملتها وطالبيها أو طلب الحق من غيرها فإنَّه صاحب بدعة، وزندقة وضلالة، ولهذا أثر عن الإمام أحمد أنّه لما ذكر له أنَّ ابن أبي قتيلة يطعن على أصحاب الحديث، ويقدح فيهم، ويتكلم في حقهم قام وجعل ينفض ثوبه ويقول: زنديقٌ، زنديقٌ زنديق(١) وقد ورد عن سهل بن حنيف ﷺ في صحيح الإمام البخاري ومسلم قال: «يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم لقد رأيتني يوم أبي جندل، ولو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته، وما وضعنا سيوفنا على عواتقنا إلى أمر يفظعنا إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه غير هذا الأمر. قال: وقال أبو وائل: شهدت صفين، وبئست صِفُّون»(٢).

والشاهد منه قوله ﷺ: «اتهموا رأيكم على دينكم» وقد جاء في الحديث: «لا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله»(٣) أو قال: «حتى يأتي وعد الله» فلمَّا سئل الإمام أحمد بن حنبل عن هذه الطائفة قال: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم(٤)!!

---

(١) انظر في مقدمة معرفة علوم الحديث للحاكم (تخريج الشيخ عبدالله بن محمد النّجمي).

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري بهذا اللفظ في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلف القياس وفي كتاب المغازي باب غزوة الحديبية والحديث أخرجه أيضاً الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الجهاد والسير باب صلح الحديبية في الحديبية.

(٣) الحديث قد سبق تخريجه.

(٤) رواه الإمام الحاكم في معرفة علوم الحديث ص٢ (تخريج الشيخ عبدالله بن محمد النّجمي حفظه الله).

وقد ذكر أهل السنة والجماعة: (إذا رأيت الرجل يبغض فلاناً، وفلاناً وعدُّوا رجالًا من أصحاب الحديث فاتهمه على الدِّين)[١].

ونحن اليوم قد تبيَّن لنا من ذلك ما تبيَّن، واتضح لنا من أمر الحزبيات[٢] المبتدعة ما جعلنا نتيقَّن صدق هذه الأخبار، وأنَّ أصحاب البدع والحزبيات هم أعداء لأصحاب الحديث ولأهل السنة والجماعة، ولدعاة

---

(١) ذكر الشيخ خالد بن ضحوي الظفيري في كتابه الممتع إجماع العلماء على الهجر والتحذير من أهل الأهواء ص٣٦ بعض مواقف أهل السنة من المبتدعين ليحسن الاقتداء بالسلف في ذلك عند الحديث عن الفصل الثاني: (شدة أهل السنة على أهل البدع منقبة وليست مذمة حيث قال وفقه الله: (والآثار عن الصحابة في معاملتهم لأهل البدع كثيرة، وما هذا إلّا غيضٌ من فيض) ثمَّ قال: وهذا أيضاً الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو سلمة حماد بن سلمة البصري (ت: ١٦٧) قال الذهبي في ترجمته: قال شيخ الإسلام (أبو إسماعيل الأنصاري) في الفاروق له: قال أحمد بن حنبل: إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام فإنَّه كان شديداً على المبتدعة) ثمَّ أضاف في حاشية كتابه هذا بقوله: «كان السلف رحمهم الله يعدُّون الطعن على أهل السنة، والذابين عنها من علامات أهل البدع والضلال بل قد يعدُّون الرجل من أهل البدع بمجرد طعنه عليهم قال أبو زرعة رحمه الله: (إذا رأيت الكوفي يطعن على سفيان الثوري، وزائدة فلا تشك أنَّه رافضي، وإذا رأيت الشامي يطعن على مكحول والأوزاعي فلا تشك أنَّه مرجئ، واعلم أنَّ هذه الطوائف كلها مجمعة على بغض أحمد بن حنبل لأنَّه ما من أحد إلّا وفي قلبه منه سهمٌ لا برء له) [طبقات الحنابلة (١٩٩/١-٢٠٠)] وقال نعيم بن حماد: (إذا رأيت العراقي يتكلم في أحمد بن حنبل فاتهمه في دينه، وإذا رأيت الخراساني يتكلم في إسحاق بن راهويه فاتهمه في دينه» [تاريخ بغداد (٣٤٨/٦) وتاريخ دمشق (١٣٢/٨)] اهـ.

(٢) الأحزاب جمع حزب وهم كل قوم تشاكلت أهواؤهم وأعمالهم وفي التنزيل العزيز: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ انظر المعجم الوسيط ص١٧٠ والمقصود بهم جميع من خالف باجتهادٍ أو قياس الكتاب والسنة وعمل سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعلى رأسهم بعض الجماعات المعاصرة كجماعة الإخوان المسلمين بشتى فصائلها وكذا جماعة التبليغ وغيرهما من الجماعات التي خالفت طريقة السلف، ولمزيد من التقصي عن حال مؤسسي هذه الجماعات وما وقعوا فيه من الغي والضلال، والذي قد يصل بأهلها إلى الكفر الصراح، فليرجع في ذلك إلى كتابي شيخنا أحمد النجمي (المورد العذب الزلال فيما انتقد على بعض المناهج الدعوية من العقائد والأعمال، والرد الشرعي المعقول على المتصل المجهول) فحريٌّ بكل طالب علم أن يقرأ ما في هذين الكتابين ليعرف الحق من الباطل ليجتنب كل دخيلٍ على المنهج السلفي، وبالله التوفيق.

واعلم أن جور السلطان لا ينقص فريضة من فرائض الله التي افترضها على لسان نبيه ﷺ جوره على نفسه، وتطوعك، وبرك معه تام لك إن شاء الله تعالى يعني الجماعة، والجمعة، والجهاد معهم، وكل شيء من الطاعات فشاركهم فيه، فلك نيتك، وعليك وزره [١].

التوحيد والعقيدة السلفية الصحيحة بينما طلاب العلم السلفيون يدعونهم إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ وإلى عمل السلف الصالح، وهم يدعون طلاب العلم السلفيين إلى رأي فلانٍ، وفلان، وهذا الحزب، وذاك الحزب لا يستحيون من الله، ولا يخشون بطشه وعقوبته العاجلة والآجلة بصدهم عن سبيل الله وقلبهم الحقائق واتباعهم لغير ما أمر الله به، ومع ذلك يقولون عن السلفيين بأنَّهم هم الذين فرقوا، وإنَّما التفريق جاء من أصحاب التحزب على حدِّ قول القائل: رمتني بدائها وانسلت، وعند الله تجتمع الخصوم، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وبالله التوفيق.

[١] معنى هذه الفقرة أنَّ أهل السنة والجماعة يرون وجوب طاعة السلطان سواءً كان مؤمناً أو فاجراً، وسواءً كان برًّا أو فاسقاً، فإنَّ فجوره أو فسقه على نفسه، وعليك يا عبدالله أن تعلم أنَّ طاعة السلطان طاعةٌ لله وفريضةٌ من الله، وقد قال النبي ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»(١) متفقٌ عليه. فلا يجوز لك أن تثير على السلطان، وأن تذكر جوره، ومثالبه للتوصل بذلك إلى الخروج عليه، فالأدلة متوافرة على وجوب الطاعة، وعدم الخروج هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وفي حديث ابن عباس: «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية وأخرجه الإمام البخاري في كتاب الأحكام باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾.

وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى وإذا سمعت(١) الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله. يقول فضيل بن عياض: لو كان لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في السلطان قيل له: يا أبا علي فسر لنا هذا قال: إذا جعلتها في نفسي لم تَعْدُني وإذا جعلتها في السلطان صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد، فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين(٢) [١].

جاهلية»(٣) رواه البخاري ومسلم، وفيه أيضاً عن ابن عمر أنَّ النبي ﷺ قال: «من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»(٤) رواه مسلم.

فعليك يا عبد الله أن تطيع الله، ثمَّ تتقرب إليه بطاعة السلطان حتى ولو كان فاسقاً جائراً فإنَّه إذا فسق ففسقه على نفسه، وجهادك معه وصلاتك وراءه هي طاعة لله رب العالمين واتباع لما أمر به، ولا يغرنَّك من يقول: يجب عليك أن تغضب لله، وتخرج عن السلطان الجائر؛ فإنَّ قوله باطل ومردود على مقتضى النصوص الشرعية، والعقيدة السلفية، وبالله التوفيق.

[١] *أقول:* رحم الله الإمام البربهاري، فهذه علامةٌ واضحة للحزبيين أنَّهم يدعون على السلطان، ولا يدعون له، والعلامة الفارقة بين الحزبيين وغيرهم أنَّ الحزبيين يدعون على السلطان والدعاء على السلطان إفسادٌ

---

(١) وفي نسخة الردادي: (رأيت) والأولى أصح.

(٢) وأضاف الردادي حفظه الله عبارةً طويلة نسبها إلى غير البربهاري تؤيد ما نقل عن الإمام فضيل بن عياض فقال: (أنا أحمد بن كامل قال حدثنا الحسين بن محمد الطبري حدثنا مردويه الصائغ قال سمعت فضيلًا يقول: لو أنَّ لي دعوةً مستجابة ما جعلتها إلَّا في السلطان) اهـ.

(٣) الحديث سبق تخريجه.

(٤) الحديث سبق تخريجه

وليس بإصلاح، وخرابٌ وليس ببناء، ومضرَّةٌ وليس بمبرة، فالسلطان بصلاحه تصلح العباد والبلاد، وبخرابه يفسد ما يفسد، ولكنَّا نهينا أن ندعو عليه أو أن نخرج عن طاعته أو أن نثير عليه الدهماء أو أن نذكر مثالبه ومعايبه أو ننازع السلطان الذي ولاَّه الله ما ولاَّه الله إياه، فكل ذلك محرم وممنوعٌ، فإن قيل: إنَّ السلطان إذا فسد فسدت بفساده العباد والبلاد لذلك فإنَّ الدعاء عليه يكون سبباً في إزالة الشر الواقع منه، فنقول إنَّ الذي حرَّم الخروج عليه أعلم بالمصلحة منَّا، فالله سبحانه وتعالى حرَّم على لسان رسوله ﷺ الخروج على السلطان مهما كان فساده وخرابه ما لم يصل إلى حدِّ الكفر، ففي حديث أم سلمة رضي الله عنها في صحيح الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: «ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع. قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا»[1] وفي حديث عوف الأشجعي رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم. قيل يا رسول الله: أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة»[2] رواه مسلم.

وحينئذٍ يتبيَّن لنا تحريم الخروج على السلطان مهما كان فساده ما لم يصل إلى حد الكفر فالذي فرض عدم الخروج هو أعلم بالمصلحة منَّا.

ومن ناحية أخرى فإنَّ المشاهد أنَّه لا تقوم دولةٌ بدل دولة إلاَّ بإراقة دماء وإزهاق أرواح وربما حصل بناءً على ذلك انقطاع السبل، وإخافة الآمنين وانتهاك محارم، وبهذا نعلم أنَّ الله ما حرَّم الخروج على الولاة إلاَّ

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم من حديث أمِّ سلمة رضي الله عنها.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم.

ولا تذكر أحداً من أمهات المؤمنين إلا بخير [١].

لما فيه من المفاسد، فلكون المفاسد التي تترتب على تغيير والٍ بدل والٍ أو أميرٍ بدل أمير أو سلطانٍ بدل سلطان أكثر من المفاسد التي تصدر منه لذلك منع الخروج عليه، ولكن تجب مناصحته في السر، فنسأل الله عز وجل أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

أمَّا قَولُه: (وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله) فنقول هذه علامة فارقةٌ بين أهل السنة وأهل البدعة، فإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله وإذا رأيته بخلاف ذلك فاعلم أنَّه صاحب بدعةٍ وبالله التوفيق.

قَولُه: (ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا، لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين) وأقول لا شكَّ أنَّ جورهم وظلمهم إن حصل فهو عليهم وحدهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين، لذلك فإنَّا لم نؤمر بالدعاء عليهم بل أمرنا بالدعاء لهم، وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي ﷺ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم. قيل يا رسول الله: أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يداً من طاعة»(١) رواه مسلم، وبالله التوفيق.

[١] *وأقول:* أمهات المؤمنين زوجات النبي ﷺ والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: من الآية٦] فقد جعل الله زوجات النبي ﷺ بمنزلة الأمهات للمؤمنين، ويترتب على

---

(١) سبق تخريجه.

وإذا رأيت الرجل يتعاهد الفرائض في جماعة مع السلطان وغيره، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى، وإذا رأيت الرجل يتهاون بالفرائض في جماعة، وإن كان مع السلطان، فاعلم أنه صاحب هوى [١].

ذلك أمور: **أولاً**: أنهنَّ محرَّمات على المؤمنين، لا يجوز لأحدٍ من المسلمين أن يتزوج امرأةً من زوجات النبي ﷺ اللاتي دخل بهنَّ، فإن لم يكن دخل بهنَّ فلا جناح عليهنَّ، ولا على من تزوجهنَّ ولا يعتبرن زوجات للنبي ﷺ وإنَّما يعتبرن زوجاته من دخل بهنَّ، وعاشرهنَّ، وعشن تحت كنفه.

ثانياً: أنَّه لا يجوز لأحدٍ من المسلمين أن يقدح في واحدةٍ منهنَّ أو يتكلَّم فيها فإن فعل فإنَّه يعتبر صاحب ضلالة يستتاب، فإن تاب وإلاَّ قتل، وقد يقال إنَّه يقتل بدون استتابة لأنَّه آذى رسول الله في أهله.

ثالثاً: أنَّهنَّ يلحقن بالنبي ﷺ في الجنة، وينلن الدرجة التي نالها، ولو كانت فوق خليل الله إبراهيم أو نبيه نوح عليه السلام(١)، وبالله التوفيق.

[١] ***وأقول:*** ما ذكره المؤلف هنا من علامة بعض الحزبيين، وهو أنَّ بعضهم يتهاون في الجماعة إذا كانت مع السلطان زاعماً أنَّه لا يصلي وراء السلطان لأنَّه يعتقد كفره، فإذا صلَّى وراء السلطان وغيره عرفنا أنَّه صاحب سنة.

أمَّا إذا كان يتهاون في صلاة الفرائض مع السلطان، فذلك دليلٌ على

---

(١) قال الإمام ابن كثير رحمه الله عند تفسيره للآية رقم ٣١ من سورة الأحزاب وهي قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [الأحزاب: ٣١] قال: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الأحزاب: من الآية ٣١] أي يطيع الله ورسوله ويستجيب ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ أي في الجنة فإنهنَّ في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش اهـ

الهوى الذي عنده وهذا من العلامات في بعضهم كالخوارج الذين يكفرون بالكبيرة، والمعتزلة الذين يرون أنَّ صاحب الكبيرة في منزلةٍ بين المنزلتين أي لا مؤمن ولا كافر، وكذلك الشيعة الذين يقولون لا تصح الجمعة إلاَّ وراء الخارج من أهل البيت(١).

أمَّا الحزبيون في زماننا، فإنَّهم يصلون الجمعة والجماعة مع الإمام ويتملقون له إذا كان حاضراً بل إنَّهم يتملقونه أكثر من عوام المسلمين لكن إذا خلوا فإنَّهم يقولون عن السلطان والعلماء غير ما يقولونه في حضرته، وهذا هو النفاق بعينه.

والمهم أنَّ الحزبيين في زماننا أيضاً أجناس، فالحزبيون السياسيون لا يمتنعون من الصلاة وراء السلطان، ولكنَّهم من أصحاب ذي الوجهين واللسانين، فنسأل الله أن يهديهم، وأن يلهمهم رشدهم، وقد جاء في

(١) ويقصدون به الحسن العسكري أو لده محمد المهدي المنتظر والذي سيعود في آخر الزمان عندما يأذن الله له بالخروج ويملأ الأرض عدلًا كما ملئت جوراً وظلماً ويقتص من خصوم الشيعة على مدار التاريخ كما زعموا، ولقد قالت الإمامية (الإثنا عشرية) قاطبةً بالرجعة وقالت بعض فرقهم الأخرى برجعة بعض الأموات. اهـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ج١/٥٦ ـ ٥٨ بتصرف.

وقد أورد الشيخ يوسف بن عبدالله الوابل في كتابه أشراط الساعة حول كلامه عن مكان المهدي ص٢٥٠ وأورد فيه كلاماً لابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر المؤلف حديثاً عن مكان المهدي وهو ما جاء عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقتتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثمَّ لا يصير إلى واحدٍ منهم، ثمَّ تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلًا لم يقتله قوم. .» وقال: وذكر شيئاً لا أحفظه (يعني ثوبان) فقال: «فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج، فإنَّه خليفة الله المهدي» والحديث قال فيه الألباني رحمه الله صحيح المعنى إلَّا قوله: «خليفة الله» وقال: هي منكرة «والمهم أنَّ ابن كثيرٍ قال: (والمراد بالكنز المذكور في هذا السياق كنز الكعبة يقتتل عنده ليأخذوه ثلاثة من أولاد الخلفاء حتى يكون آخر الزمان فيخرج المهدي، ويكون ظهوره من بلاد المشرق لا من سرداب سامرًا كما يزعمه الرافضه من أنَّ المهدي موجودٌ فيه الآن، وهم ينتظرون خروجه في آخر الزمان فإنَّ هذا نوعٌ من الهذيان وقسطٌ كبيرٌ من الخذلان؛ شديدٌ من الشيطان؛ إذ لا دليل على ذلك ولا برهان لا من كتابٍ، ولا سنة، ولا معقول صحيح ولا استحسان) اهـ بتصرف.

والحلال: ما شهدت عليه، وحلفت عليه أنه حلال، وكذلك الحرام ما حاك في صدرك فهو شبهة [١].

الحديث: «من كان ذا وجهين ولسانين في الدنيا كان له وجهان ولسانان من نار»(١) وبالله التوفيق.

[١] قَولُه: (والحلال: ما شهدت عليه، وحلفت عليه أنه حلال) يعني أنَّ الحلال هو البيِّن الذي لا يشك فيه معظم المسلمين، والذي لا شبهة فيه.

أمَّا إذا كان في صدرك شكٌّ منه وشبهةٌ فيه، فينبغي لك أن تتجنَّبه حتى تأخذ حكمه من العلماء، وفي الحديث عن وابصة بن معبد الأسدي ﷺ أن رسول الله ﷺ قال لوابصة: «جئت تسأل عن البر والإثم؟ قال: قلت: نعم.

قال: فجمع أصابعه فضرب بها صدره وقال: استفت نفسك. استفت قلبك يا وابصة ثلاثاً. البر ما اطمأنت إليه النفس، واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس، وتردد في الصدر، وإن أفتاك الناس وأفتوك» رواه أحمد، والدارمي.

وفي رواية عند مسلم من حديث النواس بن سمعان الأنصاري قال: «سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم؟ فقال: البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس»(٢) وبالله التوفيق.

---

(١) الأثر سبق تخريجه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب البر والصلة والآداب باب تفسير البر والإثم والإمام الدارمي في سننه في كتاب البيوع باب دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وفي كتاب الرقاق باب في البر والإثم وأخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين برقم ١٣٢٠و١٧٣١٥ وفي مسند باقي الأنصار برقم ٢١١٧٤.

والمستور من بان ستره، والمهتوك من بان هتكه وإذا سمعت الرجل يقول: فلانٌ ناصبي فاعلم أنَّه رافضي، وإذا سمعت الرجل يقول: فلانٌ مشبه أو فلانٌ يتكلم بالتشبيه(١) فاعلم أنَّه جهمي، وإذا سمعت الرجل يقول: تكلم بالتوحيد واشرح لي التوحيد فاعلم أنَّه خارجي معتزلي أو يقول: فلانٌ مجبر أو يتكلم بالإجبار أو تكلم بالعدل فاعلم أنه قدري لأنَّ هذه الأسماء محدثة أحدثها أهل(٢) البدع، وقال عبدالله بن المبارك: ولا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئاً، ولا عن أهل الشام في السيف شيئاً ولا عن أهل البصرة في القدر شيئاً، ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئاً، ولا عن أهل مكة في الصرف ولا عن أهل المدينة في الغناء، لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئاً [١].

---

[١] هذه الفقرة ذكر فيها علامات لأهل البدع الذين عرفوا في ذلك الزمان وهو كما قال، فإنَّه إذا ذكر أحدٌ أحداً أو أكثر من قول فلانٍ ناصبي فاعلم أنَّه رافضي، وكذلك الجهمية يسمُّون أهل السنة مشبهة، وكذلك أيضاً إذا قال الرجل: تكلم بالتوحيد واشرح لي التوحيد فاعلم أنَّه خارجي معتزلي. وأقول: المقصود بالتوحيد عندهم هي الأصول الخمسة التي قررها المعتزلة(٣) وكذلك القول بالإجبار أو العدل، فالمراد بذلك القدر، فالمجبرة هم القدرية الغلاة، والذين يقولون بالعدل هم القدرية النفاة، الذين يزعمون أنَّ المعاصي من فعل الإنسان باستقلال عن القدر، وليست بقدر الله، ويزعمون أنَّ ذلك من العدل، وكذلك قول عبدالله بن المبارك: (لا تأخذوا عن أهل الكوفة في الرفض شيئاً) أهل الكوفة عرفوا بالتشيع والرفض؛ التشيع لأهل البيت والرفض لغيرهم، فلا ينبغي للمسلم أن يأخذ من هؤلاء، قال: (ولا

---

(١) وفي نسخة الردادي: (يتكلم في التشبيه)
(٢) وفي نسخة الردادي: (أهل الأهواء).
(٣) والمعتزلة يعنون بالتوحيد نفي الصفات لله تبارك وتعالى وهو كما قال الردادي حفظه الله.

عن أهل الشام في السيف شيئاً) وكأنَّ أهل الشام كانوا يرون الخروج على الولاة.

قَولُه: (ولا عن أهل البصرة في القدر شيئاً) والقدر يعم القدرية النفاة والقدرية الغلاة. قَولُه: (ولا عن أهل خراسان في الإرجاء شيئاً) والإرجاء هو جعل العمل خارج الإيمان. قَولُه: (ولا عن أهل مكة في الصرف شيئاً) وأقول: عبدالله بن عباس رجع عن قوله في الصرف[1] على الصحيح، لأنَّه كان في أول الأمر يجيز ربا الفضل ويستدل بحديث أسامة بن زيد: «لا ربا إلاَّ في النسيئة»[2] متفقٌ عليه، ثمَّ بعد ذلك رجع عن قوله هذا حينما حدثه أبو سعيد وغيره بما جاء عن النبي ﷺ: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلا بمثل، يداً بيد، فمن زاد أو استزاد فقد أربى الآخذ والمعطي فيه سواء»[3] رواه مسلم.

قَولُه: (ولا عن أهل المدينة في الغناء، لا تأخذوا عنهم في هذه الأشياء شيئا) أمَّا أهل المدينة فقد شاع عنهم إباحة الغناء، فكان الذين

---

(١) الصرف: «هو بيع نقدٍ بنقدٍ سواءً اتحد الجنس أو اختلف وسواءً كان النقد من الذهب أوالفضة أو من الأوراق النقدية المتعامل بها في هذا الزمان فإنَّها تأخذ حكم الذهب والفضة لاشتراكها في علة الربا وهي التنمية» أفاد ذلك الشيخ صالح بن فوزان الفوزان في الملخص الفقهي ج٢/٣٠ وقال شيخنا أحمد النجمي تعريف الصرف في كتابه تأسيس الأحكام شرح عمدة الأحكام «هو أن تحول عملة إلى عملة أو تبيع نقداً بنقد آخر».

(٢) قال شيخنا النَّجمي: «الربا في اللغة: مأخوذٌ من ربا الشيء بمعنى زاد ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ وفي الشرع: فهو زيادة مخصوصة في شيء مخصوص دلَّ عليه كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ وأنواعه كما قال شيخنا: ربا الفضل، وربا النسيئة:

١ـ ربا الفضل: هو بيع أحد الجنسين بالآخر متفاضلًا ولو اختلفت الأنواع.

٢ـ وربا النسيئة: أن يباع جنسٌ بغير جنسه أحدهما حاضراً والآخر غائب وهذا إنَّما يكون فيما اتفقت علة جنسه كمكيلٍ بمكيل وبرٍّ بشعير أو تمرٍ بملح أو ما أشبه ذلك. اهـ، والحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب البيوع باب بيع الدينار بالدينار سواء وأخرجه الإمام مسلم في كتاب المساقاة باب بيع الطعام مثلًا بمثل من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما.

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب المساقاة باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقداً.

وإذا رأيت الرجل يحب أبا هريرة، وأنس بن مالك، وأسيد بن حضير، فاعلم أنَّه صاحب سنةٍ إن شاء الله،وإذا رأيت الرجل يحب أيوب، وابن عون، ويونس بن عبيد وعبدالله بن إدريس الأودي، والشعبي، ومالك ابن مغول ويزيد بن زريع، ومعاذ بن معاذ، ووهب بن جرير، وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، ومالك بن أنس والأوزاعي، وزائدة بن قدامة، فاعلم أنَّه صاحب سنة، وإذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل، والحجاج بن المنهال، وأحمد بن نصر، وذكرهم بخير، وقال قولهم فاعلم أنه صاحب سنة [١].

يأخذون بالرخص ويتتبعون الرخص يأخذون بقول كل أهل بلد فيما خالفوا فيه وقد قال أهل العلم: (من تتبع الرخص فسق)(١) فقول عبدالله بن المبارك تحذير من اتباع الرخص، وليس هذا حكماً على جميع أهل المدينة أنَّهم يبيحون الغناء، ولا عن جميع أهل مكة أنَّهم يبيحون الصرف، وهكذا يقال في الجميع وقد قال مالك بن أنس حين سئل عن الغناء قال: (إنَّما يبيحه عندنا الفسَّاق)(٢) وبالله التوفيق.

[١] يعني أنه إذا أحبَّ هؤلاء من الصحابة، فذلك دليل على حبه لسائر الصحابة.

ثمَّ ذكر جماعةً من التابعين، وأتباع الأتباع، وهم أيوب السختياني وابن عون، ويونس بن عبيد، وعبدالله بن إدريس الأودي، والشعبي، ومالك بن مغول، ويزيد بن زريع ومعاذ بن معاذ، ووهب بن جرير،

---

(١) لم أجد مصدره.

(٢) انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥٥/١٤) عند تفسير آية رقم ٦ من سورة لقمان، وانظر عون المعبود بشرح سنن أبي داود (١٨٦/١٣، ١٨٧) طبعة دار الكتب العلمية بيروت لعام ١٤١٥هـ وانظر كذلك العلل ومعرفة الرجال (٧٠/٢) للإمام أحمد بن حنبل الطبعة الأولى بتحقيق وصي الله محمد عباس حفظه الله (تخريج الشيخ أحمد الحكمي وفقه الله)

وإذا رأيت الرجل يجلس مع أهل الأهواء[(١)] فاحذره واعرفه، فإن جلس معه بعدما علم فاتقه فإنه صاحب هوى [١].

وحماد بن زيد، وحماد بن سلمة، ومالك بن أنس والأوزاعي، وزائدة بن قدامة فاعلم أنَّه صاحب سنةٌ.

ثمَّ ذكر بعد ذلك أحمد بن حنبل، والحجاج بن المنهال السُّلمي وأحمد بن نصر الخزاعي وقال: (وإذا رأيت الرجل يحب أحمد بن حنبل والحجاج بن المنهال وأحمد بن نصر وذكرهم بخير وقال قولهم فاعلم أنَّه صاحب سنة. وما ذكره المؤلف دليل على عقيدة الرجل، فإنَّه إذا أثنى على أهل السنة وأحبَّهم فهو منهم، وإذا أثنى على أهل البدعة وأحبَّهم فهو منهم، وقد قال النبي ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار»[(٢)] متفقٌ عليه، فهذا الحديث يقتضي أنَّ من أحبَّ الأنصار الذين نصروا الدين ونشروه في ربوع الأرض بسيوفهم، وتعليمهم بالقول والفعل؛ من أحبَّهم فذلك دليلٌ على إيمانه، ومن أبغضهم فذلك دليل على نفاقه؛ نسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى، وأن يجنبنا الشرور، ويرزقنا السلامة من الفتن، وبالله التوفيق.

[١] قَولُه هنا: (فاحذره واعرفه) بهذه الصيغة فيما أرى أنَّه خطأ، لأنَّ قَولُه: (فإن جلس معه بعدما علم فاتقه) دليلٌ على أنَّ الصيغة الصحيحة (فحذِّره وعرِّفه) أي فحذِّره منهم وعرِّفه بهم وببدعهم التي هم واقعون بها.

قَولُه: (فإن جلس معهم بعدما علم فاتقه، فإنَّه صاحب هوى) أي صاحب بدعةٍ وصاحب البدعة لا حيلة فيه إلاَّ اجتنابه، والبعد عنه.

---

(١) وفي نسخة الردادي: (جالس مع رجلٍ من أهل الأهواء).

(٢) الحديث قد سبق تخريجه.

وإذا سمعت الرجل تأتيه بالأثر فلا يريده، ويريد القرآن فلا تشك أنه رجل قد احتوى على الزندقة، فقم من عنده ودعه [١].

واعلم أن الأهواء كلها رديَّةٌ تدعو إلى السيف وأردؤها وأكفرها الرافضة، والمعتزلة والجهمية، فإنهم يريدون الناس(١) على التعطيل والزندقة [٢].

---

[١] معنى هذه الفقرة أنَّ من لا يقتنع بسنة النبي ﷺ فهو رجلٌ مفتون ومضلَّلٌ به، لأنَّ سنة النبي ﷺ هي مبينةٌ للقرآن، مبينةٌ لمجمله، ومقيدةٌ لمطلقه، ومخصصة لعمومه، فكثيرٌ من الأحكام الشرعية ذكرت في القرآن على سبيل الإجمال، وبينتها السنة أعظم بيان، ولهذا يقول النبي ﷺ محذراً من هذا المسلك الوخيم: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ألا لا يحل لكم لحم الحمار الأهلي، ولا كل ذي ناب من السبع، ولا لقطة معاهد إلا أن يستغني عنها صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإن لم يقروه فله أن يعقبهم بمثل قراه»(٢) فدلَّ ذلك على أنَّ السنة أصلٌ، ومن أبى من السنة، فإنَّه يعلم من حاله أنَّه زنديق، ومبتدع أو فيه من الزندقة والبدعة ما فيه وبالله التوفيق.

[٢] قوله: (واعلم أن الأهواء كلها رديَّة تدعو إلى السيف الخ) معنى ذلك أنَّ المذاهب المبتدعة تدعو إلى الخروج على السلطان فالرافضة يكفِّرون الصحابة ما عدا علي بن أبي طالب وعدد قليلٍ معه لا

---

(١) وفي نسخة الردادي: (يردُّون الناس).

(٢) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه في كتاب السنة باب لزوم السنة وأخرجه الإمام أحمد في مسند الشاميين برقم ١٦٧٢٢ وقد صحح الحديث الإمام العلامة الألباني رحمة الله عليه في صحيح الجامع برقم ٢٦٤٣ وأحال إلى المشكاة برقم ١٦٣ فراجعهما إن شئت.

واعلم أنه من تناول أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه إنما أراد محمداً ﷺ وقد آذاه في قبره، وإذا ظهر لك من إنسان شيءٌ من البدع فاحذره، فإنَّ الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر، وإذا رأيت الرجل رديء الطريق والمذهب، فاسقاً فاجراً صاحب معاصٍ ظالماً وهو من أهل السنة[(١)] فاصحبه، واجلس معه فإنَّه لا تضرك معصيته وإذا رأيت الرجل عابداً،[(٢)] مجتهداً، متقشفاً؛ محترفاً بالعبادة؛ صاحب هوى، فلا تجلس معه[(٣)]، ولا تسمع كلامه، ولا تمش معه في طريق[(٤)] فإنِّي لا آمن أن تستحلي طريقه فتهلك معه، رأى يونس بن عبيد ابنه، وقد خرج من عند صاحب هوى،

يتجاوزون أصابع اليد الواحدة أما غيرهم فهم يكفرونهم بدءاً بأبي بكر وعمر وانتهاءً بكل صحابي، ولهم أقوالٌ سيئة يخالفون بها الحق، فالنبي ﷺ يشهد للعشرة بالجنة، والرافضة يقولون أبو بكرٍ وعمر صنما قريش، ويفسِّرون الجبت والطاغوت بأبي بكر وعمر ويزعمون أنَّ علياً وبنيه معصومون، ويساوونهم بالأنبياء، ويتهمون جبريل بأنَّه أرسل إلى علي فعدل بالرسالة إلى محمد، ولهم أقوالٌ قبيحةٌ جداً وتخون الخليلين جبريل ومحمدٌ صلى الله عليهما وسلم من أعظم الكفر.

والمعتزلة من أصولهم جواز الخروج على الولاة، ويسمونه الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويزعمون بأنَّ كلام الله مخلوق، ويتفقون مع الجهمية على تعطيل الأسماء والصفات ويزعمون بأنَّ الله لا يرى في الآخرة إلى غير ذلك من العقائد التي تخالف ما كان عليه النبي ﷺ والسلف الصالح من الصحابة، والتابعين؛ رضوان الله عليهم، وحشرنا الله في زمرتهم وبالله التوفيق.

---

(١) وفي نسخة الردادي: (وهو على السنة).

(٢) وفي نسخة الردادي: (وإذا رأيت الرجل مجتهداً في العبادة).

(٣) وفي نسخة الردادي: (فلا تجالسه، ولا تقعد معه).

(٤) وفي نسخة الردادي: (طريقته).

فقال: يا بني من أين خرجت[(١)]؟ قال: من عند[(٢)] عمرو بن عبيد، قال: يا بني لأن أراك خرجت من بيت هيتي[(٣)] أحبُّ إليَّ من أن أراك[(٤)] خرجت من بيت فلانٍ، وفلان[(٥)]، ولأنَّ تلقى الله زانياً سارقاً خائناً أحبُّ إليَّ من أن تلقاه بقول أهل الأهواء، أفلا تعلم أنَّ يونس قد علم أنَّ الهيتي لا يضل ابنه عن دينه، وأنَّ صاحب البدع يضله حتى يكفره[(٦)]؟ [١].

---

[١] إنَّ قول البربهاري رحمه الله يتضمن النهي عن الكلام في أحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ قال: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»[(٧)] رواه البخاري ومسلم، بل الكف عن أصحاب رسول الله ﷺ وعدم الكلام فيهم هو قول أهل السنة قاطبة، ومن خالف في ذلك فهو يدلل على نفسه أنَّه مبتدع.

وقَولُه: (وإذا ظهر لك من إنسان شيءٍ من البدع فاحذره، فإنَّ الذي أخفى عنك أكثر مما أظهر) هذا فيه تنفيرٌ من أصحاب البدع، وأنَّ أهل البدع يتسرَّرون ببدعهم، ويتخفون بها بخلاف أهل السنة، فأهل السنة يتحاشون التسرُّر في أمور الدين، ويرون أنَّ ذلك إنَّما هو طريقة أهل البدع، وقد قال عمر بن العزيز: (إذا رأيت قوماً يتناجون في أمر دينهم دون العامَّة، فاعلم أنَّهم على تأسيس ضلالة)[(٨)] لذلك فإنَّ أهل السنة يتحاشون

---

(١) وفي نسخة الردادي: (من أين جئت).
(٢) وفي نسخة الردادي: (من عند فلان).
(٣) وفي نسخة الردادي: (من بيت خنثى).
(٤) وفي نسخة الردادي بزيادة: (يا بني).
(٥) وفي نسخة الردادي: (بقول فلانٍ وفلان).
(٦) وفي نسخة الردادي: (ألا ترى أنَّ يونس بن عبيد قد علم أنَّ الخنثى لا يضل ابنه عن دينه وأنَّ صاحب البدعة يضله حتى يكفر)
(٧) الحديث سبق تخريجه.
(٨) انظر سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن الجوزي ص ٥٤ (تخريج الشيخ عبدالله بن محمد حسين النجمي حفظه الله).

التخفي في أمور الدين، ويبتعدون عنه، ويعتبرونه من علامات أهل البدع.

ثمَّ قال: (وإذا رأيت الرجل رديء الطريق والمذهب، فاسقاً، فاجراً صاحب معاصٍ ظالماً، وهو من أهل السنة فاصحبه، واجلس معه، فإنَّه لا تضرك معصيته) وأقول: لم يقل المؤلف هنا ما قاله إلاَّ على سبيل المفاضلة بين المبتدع والفاسق، فالمبتدع يرى أنَّه على حق ويستمر على ما هو عليه بينما أنَّ الفاسق يعتبر نفسه عاصياً وظالماً فلذلك ينتظر منه التوبة، ولا شك أنَّ صاحب الكبائر أقرب إلى الحق من صاحب البدعة، فلذلك يرى المؤلف أنَّ مجالسة الفاسق أهون وأخف جرماً من مجالسة المبتدع، وليس معنى ذلك أنَّه يأمر بمجالسة الفاسق، ويبنى على ذلك قوله: (وإذا رأيت الرجل عابداً مجتهداً، متقشفاً، محترفاً بالعبادة، صاحب هوى، فلا تجلس معه ولا تسمع كلامه الخ)، ***وأقول:*** لقد بحثنا عن كلمة الهيتي فلم نجد لها مصدراً مع أنَّا نظرنا في كتب اللغة المطولة ولعلَّ المراد بها المخنث نسبةً إلى هيت المخنث الذي طرده النبي ﷺ عن المدينة كما جاء في الصحيحين[1] وغيرهما أو المراد به الجرَّار الذي يجر على النساء بالحرام نسبة إلى امرأة العزيز حين قالت ليوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿هَيْتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: ٢٣] أو: ﴿هِيتُ لَكَۚ﴾ أو: ﴿هِئتُ لك﴾ هذه كلها قراءات، ومعناها: هلمَّ فقد تهيأت لك وهذا إنَّما قلته اجتهاداً منِّي، ولا أدري هل هو صوابٌ أو خطأ غير أنَّه هو الذي بلغه علمي. علماً بأنَّ كلام يونس بن عبيد لولده حين رآه خرج من عند عمرو بن عبيد القدري هذا فيه أنَّ من يخالط أصحاب

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب المغازي باب غزوة الطائف وقد جاء بلفظ: «عن أم سلمة رضي الله عنها: دخل علي النبي ﷺ وعندي مخنث فسمعته يقول لعبدالله بن أبي أمية: يا عبدالله أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غداً فعليك بابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان وقال النبي ﷺ: لا يدخلن هؤلاء عليكن» قال ابن عيينة: وقال ابن جريج: المخنث هيت، حدثنا محمود حدثنا أبو أسامة عن هشام بهذا وزاد وهو محاصر الطائف يومئذ. وأخرجه أيضاً في كتاب النكاح باب ما ينهى من دخول المتشبهين بالنساء على المرأة، وفي كتاب اللباس من صحيحه باب إخراج المتشبهين بالنساء من البيوت، وأخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله عن أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها في كتاب السلام باب منع المخنَّث من الدخول على النساء الأجانب.

فاحذر، ثمَّ احذر أهل زمانك خاصة، وانظر من تجالس، وممن تسمع، ومن تصحب فإنَّ الخلق كلَّهم كأنَّهم في ردة، إلاَّ من عصم الله وإذا رأيت[1] الرجل يذكر ابن أبي دؤاد، والمريسي[2] أو ثمامة، وأبا الهذيل، وهشام الفوطي أو واحداً من أتباعهم وأشياعهم فاحذره، فإنَّه صاحب بدعة، وإنَّ هؤلاء كانوا على الردة واترك هذا الرجل الذي ذكرهم بخير[3] [١].

المعاصي الكبائر خيرٌ ممن يخالط أصحاب البدع، وكان معهم في بدعهم، ولو كان مجتهداً في العبادة وبالله التوفيق.

[١] ***وأقول:*** إنَّ قول المؤلف رحمه الله: (فاحذر، ثمَّ احذر أهل زمانك خاصة وانظر من تجالس، وممن تسمع، ومن تصحب) في هذا تحذيرٌ لطالب العلم وأنَّه لا ينبغي أن يجالس، ولا يصاحب، ولا يسمع إلاَّ ممَّن يثق بعلمه وعقيدته، أمَّا قوله: (فإنَّ الخلق كلهم كأنَّهم في ردة) فهذا كان ينبغي ألاَّ يقوله ولا يجوز الحكم على الناس جميعاً، ولكن من اعتقد مذهب المعتزلة فهو في هذه الحالة يعدُّ منهم. ومن عظَّم رؤساء المعتزلة كأحمد بن أبي دؤاد، وبشر المرِّيسي أو ثمامة بن أشرس أو أبا الهذيل العلاف أو هشام الفُوَطِي هؤلاء كلهم من رؤساء المعتزلة، فمن رأيته يعظمهم، ويأخذ بآرائهم، فإنَّه يلتحق بهم ويكون في عدادهم، ويجب أن يهجر كما هجروا، لأنَّه إذا ذكر هؤلاء بخيرٍ فهو واقعٌ فيما وقعوا فيه.

قوله: (إلاَّ من عصم الله) هذا استثناءٌ، فكأنَّه لم ينجُوَ من الردة إلاَّ القليل ممن عصمه الله وهذا الكلام لا نوافقه عليه، بل أنَّ الأصل في المسلمين الإسلام، ولا يخرج من الإسلام إلاَّ من تبينت ردته، فإن كان قد

---

(١) وفي نسخة الردادي: (وانظر إذا سمعت الرجل يذكر ابن أبي دؤاد).

(٢) وفي نسخة الردادي: (وبشر المريسي).

(٣) وفي نسخة الردادي بزيادة: (ومن ذَكر منهم).

والمحنة في الإسلام بدعة، وأمَّا اليوم فيمتحن بالسنة، لقوله: (إنَّ هذا العلم دين، فانظروا ممن تأخذون دينكم)(١) ولا تقبلوا الحديث إلاً ممن تقبلون شهادته(٢) فانظر إن كان صاحب سنة له معرفة صدوقٌ كتبت عنه، وإلاً تركته [١].

وقع في شيءٍ من البدع غير المكفرة أو وقع في شيءٍ من المعاصي فنحن لا نحكم عليه بالكفر لأنَّ ذلك صعبٌ وقد نهينا عن التكفير إلاً بأمرٍ واضح يكون معنا فيه الدليل سواءً كان ما نكفره به قولٌ أوفعل أو اعتقاد أي أنَّا لا نكفره إلاً بما اتضح أنَّه فيه باعترافه أو ثبت عليه بقول الثقات من الناس وبالله التوفيق.

[١] ***وأقول:*** قوله: (المحنة في الإسلام بدعة) يعني أن يمتحن الرجل حتى يعرف هل هو من أهل السنة أم لا؟ والظاهر أنَّ عموم الناس على عموم الإسلام، ولا نمتحن أحداً إلاً إذا أظهر لنا خلاف مذهب أهل السنة، بأن يكون متهاوناً بالإرجاء أو بمعتقد الجهمية أو الصوفية أو الرافضة أو ما أشبه ذلك، فهو يُسأل عمَّا هو متهمٌ به، فإن كان مرجئاً يُسأل هل الإيمان يزيد وينقص؟ وهل هو اعتقادٌ، وقولٌ، وعمل، أم يكفي فيه التصديق؟ وإذا كان معتزلياً يسأل عن الأصول الخمسة التي عند المعتزلة، وإذا كان جهمياً سئل عن الصفات، وعن القول في

---

(١) قال الشيخ الردادي: (وقد صحَّ هذا من قول الإمام محمد بن سيرين رحمه الله أخرجه الإمام مسلم في المقدمة (١/١٤) وابن عدي في الكامل (١/١٥٥) وأبو نعيم في الحلية (٢/٢٧٨) والخطيب البغدادي في الكفاية (ص١٦١) والرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص٤١٤).

(٢) وقال أيضاً: (أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص٤١١) وابن عدي في الكامل (١/١٥٩، ٢/٧٩٨، ٤/١٣٦٩) والخطيب البغدادي في الكفاية (ص١٢٥ - ١٢٦) وفي تاريخه (٩/٣٠١) وابن الجوزي في الواهيات (١/١٣١) من حديث ابن عباس مرفوعاً وهو حديثٌ ضعيفٌ جداً. وقال الشيخ الألباني في ضعيف الجامع (٦١٩٣): موضوع.) اهـ مختصراً.

وإذا أردت الاستقامة على الحق، وطريق أهل السنة قبلك، فاحذر الكلام وأصحاب الكلام، والجدال، والمراء، والقياس، والمناظرة في الدين، فإنَّ استماعك منهم وإن لم تقبل منهم يقدح الشك في القلب، وكفى به قبولاً فتهلك، وما كانت قط زندقةٌ ولا بدعةٌ، ولا هوى، ولا ضلالة إلاَّ من الكلام، والجدال والمراء والقياس، وهي أبواب البدع، والشكوك، والزندقة [١].

كتاب الله، وإن كان رافضياً سئل عن أهل البيت هل هم معصومون أو لا؟ وهكذا يقال.

وقوله: (إنَّ هذا العلم دينٌ، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم) هذا قاله محمد بن سيرين رحمه الله، وعلى هذا فلا يؤخذ العلم إلاَّ عن أهل السنة وأهل الحديث، بل وأصحاب الاستقامة فيهم دون غيرهم، وبالله التوفيق.

[١] في هذه الفقرة تحذيرٌ من الكلام، والمراد به المنطق الذي وقع فيه كثيرٌ من الناس في الأزمنة المتقدمة، وأجهدوا أنفسهم إجهاداً عظيماً من أجل أن يصلوا إلى الحقيقة كما زعموا ولكنَّهم لم يصلوا إلى حقيقة، لذلك فقد ندم كثيرٌ ممن انغمسوا في الكلام حتى أنَّ بعضهم ليتمنَّى أن يموت على دين العجائز وهو اعتقاد العوام حتى قال بعضهم(١):

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... سيرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أرَ إلاَّ واضعاً كفَّ حائر ... على ذقنٍ أو قارعاً سنَّ نادم

لذلك فقد أوصى المؤلف رحمه الله، وحذر من الكلام، وأصحاب الكلام وحذر من الجدال، والمراء والقياس، والمناظرة في الدين، وبيَّن أنَّه

---

(١) وهو أبو الفتح محمد بن أبي القاسم الشهرستاني كما في أول كتابه نهاية الأقدام وهو يقول في وصف حال أهل الكلام انظر كتاب ارشادات البرية إلى شرعية الانتساب للسلفية ودحض شبهة البدعية ص ٣٤.

فالله الله في نفسك، وعليك بالآثار، وأصحاب الآثار والتقليد، فإنَّ الدين إنَّما هو التقليد يعني للنبي ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ومن قبلنا لم يدَعُونا في لَبْسٍ فقلدهم واسترح، ولا تجاوز الأثر، وأهل الأثر، وقف عند متشابه القرآن والحديث(١) ولا تقس شيئاً(٢)، ولا تطلب من عندك حيلةً ترد بها على أهل البدع فإنَّك أمرت بالسكوت عنهم، فلا تمكنهم من نفسك؛ أما علمت أنَّ محمد بن سيرين مع(٣) فضله لم يجب أحداً(٤) من أهل البدع في مسألةٍ واحدة، ولا سمع منه آية من كتاب الله عز وجل فقيل له؟ فقال: أخاف أن يحرفها فيقع في قلبي شيء(٥) [١].

كثيراً ما يقدح الشك في قلب المناظر، فيهلك بسببه، وأخبر أنَّه (ما كانت قط زندقةٌ ولا بدعةٌ، ولا هوى، ولا ضلالة إلَّا من الكلام والجدال والمراء والقياس وهي أبواب البدع، والشكوك، والزندقة).

وأقول: إنَّ هذا يحصل في الأغلب بسبب إعراضهم عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وزعمهم أنَّ الكتاب والسنة لا توصل إلى الحقيقة فلمَّا فعلوا ذلك إعراضاً منهم عن شريعة الله، واعتقدوا الحقائق في كلام الفلاسفة عند ذلك عاقبهم الله كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ وبالله التوفيق.

[١] ***وأقول:*** قول المؤلف رحمه الله: (فإنَّ الدين إنَّما هو التقليد) أقول

---

(١) وفي نسخة الردادي: (المتشابه) بدون قوله: (القرآن والحديث).

(٢) وفي نسخة الردادي: (ولاتفسر).

(٣) وفي نسخة الردادي: (في فضله).

(٤) وفي نسخة الردادي: (رجلًا) بدل أحداً.

(٥) هذا الأثر: أخرجه الدارمي في (٩١/١) وابن وضَّاح في البدع (ص٥٣) والآجري في الشريعة (ص٥٧) واللالكائي في السنة (٢٤٢) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٩٨، ٣٩٩) وهو صحيح، كما ذكر الشيخ الردادي وفقه الله.

وإذا سمعت الرجل يقول: إنَّا نحن نعظم الله إذا سمع آثار رسول الله ﷺ فاعلم أنَّه جهمي يريد أن يرد أثر رسول الله ﷺ ويدفعه بهذه الكلمة وهو يزعم أنَّه يعظم الله(١) وينزهه إذا سمع حديث الرؤية، وحديث النزول وغيره. أفليس قد رد أثر رسول الله ﷺ إذ قال إنَّا(٢) نعظم الله أن ينزل(٣)

رحم الله المؤلف فإنَّ اتباع النبي ﷺ وأصحابه، واتباع الآثار ليس بتقليد، وإنَّما التقليد هو متابعة من ليس بمعصوم على غير دليل.

أمَّا متابعة النبي ﷺ فهو الذي أمرنا الله به، وما كان ينبغي له أن يسمي هذا تقليداً.

وكذلك متابعة الصحابة، ومن بعدهم من السلف المتبعين للآثار لم تكن متابعتهم تقليداً وإنَّما هي متابعة للدليل إلاَّ أنَّ العامي الذي يتابع العالم السنِّي، ولا يعرف مأخذه، ولا دليله هذا هو التقليد.

أمَّا من تابع العلماء قبله بحيث عرف أدلتهم، وأخذ بها، وتابعهم على ذلك، فإنَّ هذا هو المطلوب من العلماء، وهو أنَّهم يبحثون عن الأدلة من مظانِّها، ويعملون بها، فهم يكونون بذلك مجتهدين من أصاب منهم فله أجران، ومن أخطأ فله أجر.

أمَّا قَولُه: (وقف عند متشابه القرآن، والحديث، ولا تقس شيئاً ولا تطلب من عندك حيلةً ترد بها على أهل البدع) فمعنى ذلك أنَّك لا تتكلف الرد على المبتدع، ولا تجهد نفسك بمحاورته، ومناظرته، فإنَّه يخاف عليك في ذلك، وليس هذا يكون لكل الناس، بل من أنس من نفسه القوة، والقدرة، والعلم على مناظرتهم بحجج يقرعهم بها كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية، فالظاهر أنَّ ذلك جائزٌ، وبالله التوفيق.

(١) وفي طبعة: (ويتزهد) كما ذكر ذلك الردادي وفقه الله.
(٢) وفي نسخة الردادي: (إنَّا نحن نعظم الله)
(٣) وفي نسخة الردادي: (أن يزول).

من موضع إلى موضع، فقد زعم أنّه أعلم بالله من غيره فاحذر هؤلاء، فإنَّ جمهور النّاس من السُّوَقة وغيرهم على هذا الحال وحذِّر الناس منهم، وإذا سألك الرجل[١] منهم عن مسألة في هذا الباب[٢] وهو مسترشد فكلمه وأرشده، فإذا جاءك يناظرك فاحذره، فإنَّ في المناظرة المراء والجدال، والمغالبة والخصومة، والغضب، وقد نهيت[٣] عن جميع هذا وهو يزيل عن طريق الحق، ولم يبلغنا عن أحدٍ من فقهائنا، وعلمائنا أنّه جادل أو ناظر أو خاصم قال الحسن[٤]: الحكيم لا يماري ولا يداري؛ حكمته ينشرها[٥] إن قبلت حمد الله وإن ردت حمد الله[٦]، وجاء رجلٌ إلى الحسن فقال: أنا أناظرك في الدين، فقال الحسن: أنا قد عرفت ديني، فإن كان دينك قد ضلَّ منك فاذهب فاطلبه[٧]، وسمع رسول الله ﷺ قوماً على باب حجرته يقول أحدهم: ألم يقل الله كذا[٨]؟ فخرج مغضباً فقال: «أبهذا أمرتكم[٩] أم بهذا بعثت إليكم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض»[١٠] فنهاهم عن

---

(١) وفي نسخة الردادي: (أحد).

(٢) وفي نسخة الردادي: (الكتاب).

(٣) وفي نسخة الردادي بعد قوله: (وقد نهيت عن هذا) زيادة: (جداً يخرجان جميعاً من طريق الحق).

(٤) وفي نسخة الردادي: (الحسن البصري).

(٥) وفي طبعة: (ولا يداري في حكمته أن ينشرها)

(٦) قال الشيخ الردادي حفظه الله: (أخرجه نعيم بن حماد في زوائده على الزهد لابن المبارك (٣٠) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٦١١) وإسناده ضعيف فيه راوٍ مبهم) اهـ.

(٧) قال الشيخ الردادي: (أخرجه الآجري في الشريعة (ص٥٧) واللالكائي في السنة (٢١٥) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٥٨٦) وهو صحيح) اهـ.

(٨) وفي طبعةٍ أخرى أوردها الردادي بزيادة: (وقال الآخر: الم يقل الله كذا).

(٩) وفي رواية عند الإمام أحمد: (أمرتم).

(١٠) قال الشيخ الردادي الحديث صحيح أخرجه أحمد (١٩٥/٢ - ١٩٦) وابن ماجة في (المقدمة باب في القدر، ٨٥) واللالكائي في (السنة ١١١٨، ١١١٩)وصححه البوصيري في(زوائد ابن ماجة١/١٤) والألباني في (حاشية شرح الطحاوية ص٢١٨). اهـ قال الشيخ القحطاني وفي، (السنة لعبدالله بن أحمد فقرة ٨٦ والبغوي في شرح السنة ١/٢٦٠) اهـ.

الجدال[(١)]، وكان ابن عمر يكره المناظرة، ومالك بن أنس ومن فوقه ومن دونه إلى يومنا هذا[(٢)]، وقول الله عز وجل أكبر من قول الخلق قال الله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: من الآية٤] وسأل رجل عمر بن الخطاب ﷺ فقال: ما الناشطات[(٣)] نشطاً؟ فقال: لو كنت محلوقاً[(٤)] لضربت عنقك[(٥)] وقال النبي ﷺ: «المؤمن لا يماري، ولا أشفع للماري يوم القيامة فدعوا المراء لقلة خيره[(٦)]» انتهى. [١].

---

[١] وأقول: إنَّ قول البربهاري رحمه الله: (وإذا سمعت الرجل يقول: إنَّا نحن نعظم الله إذا سمع آثار رسول الله ﷺ فاعلم أنَّه جهمي يريد أن يرد أثر رسول الله ﷺ ويدفعه بهذه الكلمة وهو يزعم أنَّه يعظم الله وينزهه، وإذا سمع حديث الرؤية، وحديث النزول وغيره أفليس قد رد أثر رسول الله ﷺ، إذا قال: إنَّا نحن نعظم الله أن ينزل من

---

(١) وفي طبعة: (فنهى عن الجدال).

(٢) قال الشيخ الردادي: (انظر المصادر الآتية ففيها مزيدٌ من البيان: سنن الدارمي (١/٧٧) والسنة للالكائي (١/١١٤ - ١٥٠) والإبانة الكبرى لابن بطة (٤٨٣ - ٥٤٩) والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (١/٢٣٠) والحجة للأصبهاني (١/٣١١)) اهـ

(٣) وفي نسخة الردادي: (النشطات).

(٤) قال الشيخ القحطاني: (محلوقاً) وذلك أنَّ سيما الخوارج التحليق. انظر تفصيل ذلك في آخر كتاب السنة لعبدالله بن أحمد) اهـ.

(٥) قال الشيخ الردادي: (الرجل الذي سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو صبيغ وقصته صحيحة مشهورة أخرجها الدارمي (١/٥١) وابن وضّاح في البدع (ص٥٦) والآجري في الشريعة (ص٧٣) واللالكائي في السنة (ص٦٣٤ - ٦٣٦) وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/٤١٤ - ٤١٥)) اهـ

(٦) الحديث قال عنه الشيخ الردادي: (ضعيفٌ جداً أخرجه الطبراني في الكبير (٨/١٧٨ - ١٧٩) والآجري في الشريعة (ص٥٥ - ٥٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١/١٥٦، ٧/٢٥٩): وفيه كثير بن مروان وهو ضعيفٌ جداً. وقال في (١/١٠٦): وفيه كثير بن مروان كذَّبه يحيى والدارقطني. انظر: ميزان الإعتدال للذهبي (٣/٤٠٩)، ثمَّ قال الردادي وفقه الله: (تنبيه وقع اسم كثير بن مروان عند الآجري مصحفاً إلى حكيم بن مروان!) اهـ.

موضعٍ إلى موضع، فقد زعم أنَّه أعلم بالله من غيره، فاحذر هؤلاء، فإنَّ جِمهور الناس من السَّوَقة وغيرهم على هذا الحال وحذِّر الناس منهم (الظاهر منه أنَّه شاع هذا في زمنه عند من يعطلون صفات الله عز وجل بأنَّهم يزعمون أنَّ ذلك من باب التعظيم لله عزَّ وجل، وهم يزعمون أنَّهم ينزهونه من النزول والصعود، والاستواء، وما أشبه ذلك، ويردون آثار رسول الله ﷺ من أجل ذلك، وما هذه إلاَّ خدعةٌ تعلموها من شيوخهم المبتدعة، فهم يخدعون الجاهل بقولهم إنَّا نعظِّم الله، ويردون آثار رسول الله ﷺ بهذه الحيلة، وهم مع ذلك يتركون آثار رسول الله ﷺ ويتركون كتاب الله حينما يلبِّسون على الناس هذا التلبيس، ولا والله ما عظَّم الله من ردَّ خبره وترك أمره، ولا عظَّم رسوله ﷺ من فعل ذلك في سنته صلوات الله وسلامه عليه فهذا تحذيرٌ من هذا الإمام من هؤلاء الجهلة الضالين الذين يتركون قول الله، وقول رسوله ﷺ ويأخذون بآرائهم أو آراء شيوخهم فأيُّ تعظيم لله ولرسوله قام به من يفعل ذلك فنسأل الله أن يعافينا مما ابتلاهمَ، علماً بأنَّهم إذا عطَّلوا صفات الله عز وجل يكونون قد جردوه من صفات الكمال وجعلوا له صفات الجماد الذي لا يتحرك والعياذ بالله.

قَولُه: (وإذا سألك الرجل منهم عن مسألة في هذا الباب وهو مسترشد فكلمه، وأرشده فإذا جاءك يناظرك فاحذره، فإنَّ في المناظرة المراء والجدال، والمغالبة، والخصومة والغضب، وقد نهيت عن جميع هذا وهو يزيل عن طريق الحق، ولم يبلغنا عن أحدٍ من فقهائنا، وعلمائنا أنَّه جادل أو ناظر أو خاصم) وأقول: قول المؤلف ههنا فيه تحذير من الجدال والخصام، والمناظرة، والمغالبة، وقد يقال أنَّ فيه تفصيل:

١ ـ إن كان الإنسان يغلب على ظنِّه أنَّه سيغلب في المناظرة لحفظه للنصوص التي تدين خصمه، فالظاهر أنَّه يجوز له ذلك، وكذلك فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لقد ناظر كثيراً من فئات البدع، والآراء الضالة فغلبهم وجادلهم، وخاصمهم، فبهرهم.

٢ ـ أمَّا إذا كان الإنسان يجد من نفسه الضعف عند استحضار الأدلة، والضعف في شخصيته، فإنَّ استحضار الأدلة قد يكون في بعض المواضع يحتاج إلى شخصيةٍ تعزِّزه، فإنَّه في هذه الحالة ينبغي له أن يترك المناظرة هذا هو الأولى في نظري أخذاً بما قرآناه عن ترجمة الإمام ابن تيمية رحمه الله وما أثر عن عليٍّ بن أبي طالب في إرساله لابن عباس رضي الله عنهما لمناظرة الحرورية[(١)].

أمَّا ما رواه عن الحسن أنَّه قال: (الحكيم لا يماري، ولا يداري حكمته ينشرها إن قبلت حمد الله، وإن ردَّت حمد الله[(٢)]) فهذا لا بأس به على وجهٍ مما قلناه، ليستعمل الإنسان البيان وليجتنب المناظرة، والمغالبة ولينشر الحق من طريق الدروس، والبيان الذي يستطيع عليه ولا يترك المجال لأهل البدع، فإنَّ في عمله هذا مدافعة عن الدين الإسلامي، وعن السنة بقدر ما يستطيع، هذا والتوفيق من الله.

إنَّ الداعية إلى الدين الحق بحاجةٍ إلى كثرة الدعاء، واللجوء إلى الله عز وجل أن يعينه ويثبته، ويوفقه.

ثمَّ إنَّ الحكاية التي حكاها إن صحت، فهي جيدة أي قوله: (أنا عرفت ديني، فلست بحاجةٍ أن أناظر عليه أو أخاطر به، فإن كنت يا أيها المبتدع قد أضللت دينك، فاذهب فابحث عنه أو اطلبه).

أمَّا قوله: (وسمع رسول الله ﷺ قوماً على باب حجرته يقول أحدهم ألم يقل الله كذا ويقول الآخر ألم يقل الله كذا، فخرج مغضباً، وقال: أبهذا أمرتكم أم بهذا بعثت إليكم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، فنهاهم عن الجدال) قال المعلق: أخرجه أحمد في المسند ج٢/١٧٨ - ١٨١ وابن ماجة

(١) لمزيدٍ من الاستقصاء حول هذا الأثر فليرجع في ذلك إلى كتاب الفرق بين الفرق ص٧٩ وشرح نهج البلاغة ٢/٢٧٥ والكامل للمبرد ج٢/١١٧ - نقلًا من كتاب فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها للشيخ غالب بن علي عواجي عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ج١/٧٢ الطبعة الثانية لعام ١٤١٤هـ.

(٢) سبق بيان ضعف هذه الرواية.

في المقدمة رقم الحديث ٨٥ وصححه صاحب الزوائد على ابن ماجة ففي هذا الحديث أنَّ النبي ﷺ خاف على أمته من أن يضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وطالب العلم بحاجةٍ أن يعرف الآيات المتعارضة، والتوفيق بينها إن كان التوفيق ممكناً، وأن يعرف الناسخ من المنسوخ، والمطلق من المقيد، والعام من الخاص، فإذا تعلم هذه المسائل وهضمها، فإنَّه ينبغي له أن يعمل بها، ويعلمها غيره.

ولاشكَّ أن ترك الجدال أولى إلاَّ أنَّ المناقشة التي تحصل من قوم يريدون أن يتوصلوا إلى الحق وإلى القول الراجح في المسألة من دون رغبةٍ في ظهور الشخصية أو الرياء للناس، وحبُّ الاستعلاء، ففي هذه الحالة لا شيء في ذلك.

ومثل ذلك القول في الجدال في الحج إذا كان الجدال مقصوداً به التوصل إلى الحق والبحث عنه، والأخذ به، فهذا لا يمنع إن شاء الله.

قَولُه: (وكان ابن عمر يكره المناظرة، ومالك بن أنس، ومن فوقه ومن دونه إلى يومنا هذا[١]، وقول الله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: من الآية٤] قد تقدم أن قلت ما ترجَّح لي في المناظرة وهو الذي اعتقد أنَّه الحق.

أمَّا الاستدلال بالآية على منع الجدال بالكلية، فهذا فيه نظر، لأنَّ هذه الآية نازلةٌ في جدال الكفار للمؤمنين، إذ أنَّ قصدهم أن يغلبوا المؤمنين بجدالهم الذي يريدون به نصرة الباطل.

قَولُه: (وسأل رجلٌ عمر بن الخطاب ﷺ فقال ما: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢﴾؟ فقال: لو كنت محلوقاً لضربت عنقك)[٢].

وأقول: شبيهاً بهذه الرواية ما ورد في قصة صبيغ بن عِسل العراقي

(١) تقدم تخريج هذا الأثر.
(٢) تقدم تخريج هذا الأثر.

عند الإمام الدارمي في مقدمته: (جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر، فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه فقال: أين الرجل؟ قال: في الرحل. قال عمر: أبصر أن يكون ذهب فتصيبك منه العقوبة الموجعة فأتاه به، فقال عمر: تسأل محدِثَةً، وأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتى ترك ظهره دَبَرة، ثم تركه حتى برأ، ثم عاد له، ثم تركه حتى برأ، فدعا به ليعود له. قال: فقال صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلاً جميلاً، وإن كنت تريد أن تداويني فقد والله برأت فأذن له إلى أرضه، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ﷺ أن لا يجالسه أحد من المسلمين فاشتد ذلك على الرجل فكتب أبو موسى ﷺ إلى عمر ﷺ أن قد حسنت توبته، فكتب عمر أن ائذن للناس بمجالسته)[١].

قَولُه: (وقال النبي ﷺ: «المؤمن لا يماري، ولا أشفع للمماري يوم القيامة، ودعوا المراء لقلة خيره» قال المعلق[٢]: انظر تخريجه في مجمع الزوائد ١٥٦/١ و ٢٥٩/٧ وأقول: هذا الحديث لا أدري الآن عن صحته[٣] ولكن يغنينا عنه الحديث الصحيح: «أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[٤] رواه أبو داود، وغيره وبالله التوفيق.

---

(١) رواه الإمام الدارمي رحمه الله في سننه في المقدمة باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع.

(٢) أي الشيخ محمد بن سعيد القحطاني.

(٣) قال الشيخ الردادي: (هذا الحديث ضعيفٌ جداً أخرجه الطبراني في الكبير (١٧٨/٨ - ١٧٩) والآجري في الشريعة (ص٥٥ - ٥٦) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٦/١، ٢٥٩/٧) وفيه كثير بن مروان وهو ضعيف جداً. وقال في (١٠٦/١) وفيه كثير بن مروان كذَّبه يحيى القطان والدارقطني. وانظر ميزان الاعتدال للذهبي (٤٠٩/٣) تنبيه: وقع اسم كثير بن مروان عند الآجري مصحَّفاً إلى حكيم بن مروان) اهـ

(٤) الحديث أخرجه الإمام أبو داود واللفظ له في كتاب الأدب باب ما في حسن الخلق، =

ولا يحل لرجل[1] أن يقول: فلان صاحب سنة حتى يعلم[2] أنه قد اجتمعت فيه خصال السنة، فلا يقال له: صاحب سنة حتى تجتمع فيه السنة كلها. قال عبدالله بن المبارك: أصل اثنين وسبعين هوى: أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت[3] الاثنان وسبعون هوى؛ القدرية، والمرجئة، والشيعة، والخوارج، فمن قدم أبا بكر وعمر وعثمان، وعلياً على[4] أصحاب رسول الله ﷺ ولم يتكلم في الباقين إلا بخير ودعا لهم، فقد خرج من التشيع أوله وآخره، ومن قال: الايمان قول وعمل، يزيد وينقص فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره، ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر والجهاد مع كل خليفة، ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره، ومن قال: المقادير كلها من الله عز وجل خيرها وشرها، يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره، وهو صاحب سنة [١].

---

[١] *وأقول:* إنَّ صاحب السنة هو من سلَّمه الله عز وجل من هذه الأهواء وكان آخذاً بالسنن التي جاءت عن النبي ﷺ وعن أصحابه على طريقة المحدثين، ومن قلَّدهم من العوام، وقد ذكر البربهاري رحمه الله أنَّ صاحب السنة هو: (من اجتمعت فيه خصال السنة) بأن يكون سليماً من الأهواء المذكورة جميعاً، والمعروف أنَّ أصول البدع خمسة وهي:

١ ـ الجهمية ٢ ـ الشيعة ٣ ـ الخوارج ٤ ـ المرجئة ٥ ـ القدرية.

والمقصود بالقدرية أصحاب الاعتزال الذين يقال لهم العقلانيون، فلم

= وأخرجه الإمام ابن ماجة في المقدمة باب اجتناب البدع، وأخرجه الإمام الترمذي في كتاب البر والصلة باب ما جاء في المراء، ، وقد حسَّن الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج١/٣٠٦ برقم ١٤٦٤.

(١) وفي نسخة الردادي: (لايحل لرجلٍ مسلم).

(٢) وفي نسخة الردادي: (حتى يعلم منه).

(٣) وفي نسخة الردادي: (انشعبت هذه الاثنان وسبعون هوى).

(٤) وفي نسخة الردادي: (على جميع أصحاب).

يذكر المؤلف رحمه الله الجهمية، ولعلَّه ممن يرى أنَّهم ليسوا من أمة محمدٍ ﷺ وقد ذكر قول عبدالله بن المبارك: (أصل اثنين وسبعين هوًى أربعة أهواء، فمن هذه الأربعة الأهواء تشعبت الاثنان وسبعون هوى) ثمَّ قال: (فمن قدم أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعلياً على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يتكلم في الباقين إلا بخير، ودعا لهم، فقد خرج من التشيع أوله وآخره ومن قال: الايمان قول وعمل، يزيد وينقص فقد خرج من الإرجاء أوله وآخره) والمعروف أنَّ الشيعة لهم فرقٌ فهو قد خرج من ذلك إذا قال بهذا القول في الصحابة، ومن قال: الإيمان قولٌ وعملٌ يزيد وينقص فقد خرج من الإرجاء كله أوَّله وآخره، لأنَّ من اعتقد أنَّ الإيمان يزيد وينقص، واعتقد الفرق بين المؤمنين ومنازلهم في الإيمان، فإنَّه حينئذٍ يكون قد خرج من الإرجاء، والمقصود بالإرجاء تأخير العمل وأنَّه ليس من الإيمان[1]، ولهذا نرى أنَّ البخاري في كتاب الصحيح قد ردَّ على المرجئة ردوداً مقنعةً لمن أراد الحق، ولسنا الآن بمثابة تفصيل ذلك فمن شاءه فليقرأ كتاب الإيمان للبخاري في صحيحه.

ثمَّ قال: (ومن قال: الصلاة خلف كل بر وفاجر، والجهاد مع كل خليفة ولم ير الخروج على السلطان بالسيف، ودعا لهم بالصلاح، فقد خرج من قول الخوارج أوله وآخره).

وأقول: إنَّ الخروج على السلطان تارةً يكون بالسيف، وتارةً يكون بالمنازعة والإثارة وكل ذلك محرم، وقد حرم الله الخروج على ولاة الأمر بجميع أنواعه سواءً كان بالكلمة بذكر مساوئ الولاة، ونشر ما يصدر عنهم من الشر، وكتم ما عندهم من الخير والفضائل يقصد بها أصحاب هذه الدعوات الإثارة عليهم، ونشر بغضهم في قلوب الناس، فيجب على كل مسلم أن يحذر هذا، وكذلك الخروج عليهم بالسيف.

والمهم أنَّ قول المؤلف: (ولم ير الخروج على السلطان بالسيف)

---

(١) أي أنَّ الإيمان عند مرجئة الفقهاء اعتقاد بالقلب ونطقٌ باللسان فقط.

ربما يكون فيه منفذٌ لمن يريد الشر، ويقول إنَّ الكلمة إنَّما هي أمرٌ بمعروف ونهيٌ عن منكر، فلا تكون خروجاً وهذا باطل، فالمحرم منازعة السلطان أي ذوي السلطان سلطانهم، والمحرم إثارة العامة عليهم والمحرم نشر مساوئهم، وكتم ما عندهم من الخير، لينتشر بغضهم في قلوب الناس هذا كله محرم عند أهل السنة والجماعة.

قَولُه: (ومن قال: المقادير كلها من الله عز وجل، خيرها وشرها يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية أوله وآخره وهو صاحب سنة).

وأقول سبق لنا أنَّ القدرية قسمان:

(أ) **القدرية النفاة**: وهم الذين يقولون أنَّ الله عز وجل لم يقدر الكفر، ولم يقدر الفسوق والفواحش، وأنَّ هذه الأعمال هي من أعمال العباد خارجةٌ عن قدر الله وهذا هو قول عامة المعتزلة، ومن لوازم هذا القول أنَّ العبد خالقٌ لأفعاله ومن لوازمه نسبة الله إلى العجز جلَّ وتقدس عن ذلك، ومن لوازمه أنَّه يقع في ملكه ما لم يشأه، ولم يرده وهذا كله لا يجوز والقائلون بهذا القول فرُّوا من شيء ووقعوا فيما هو أشدُّ منه.

(ب) **أمَّا القدرية الغلاة**: وهم الذين يقولون أنَّ العبد ليس له تصرفٌ، وأنَّ تصرفه قهري وهؤلاء هم القدرية المجبرة، ويقال أنَّهم انقرضوا. والمهم أنَّ أهل السنة والجماعة يقولون أنَّ المقادير كلها من الله خيرها وشرها، حلوها ومرها، فهو يقدر الخير كوناً ويريده شرعاً ويقدر الشر كوناً ولا يريده شرعاً قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: من الآية٧] فالقدر الكوني هو القدر العام الذي كتبه الله في اللوح المحفوظ، وهذا يشمل الكفر والإيمان والطاعة والعصيان، والبر والفسوق

والقدر الشرعي: هو ما أنزل الله في كتبه، وبلَّغه إلى الأمم على ألسنة رسله والذي يريده الله من العباد أن يؤمنوا بالكتب والرسل، وآخر الكتب القرآن وآخر الرسل رسولنا محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه وباتباع

وبدعة(١) ظهرت هي كفرٌ بالله العظيم، ومن قال بها فهو كافر بالله لا شك فيه من يؤمن بالرجعة(٢)، ويقول علي بن أبي طالب حي، وسيرجع قبل يوم القيامة، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر ويعظمون(٣) الأئمة ويزعمون أنّهم يعلمون الغيب فاحذرهم فإنّهم كفار بالله العظيم(٤). قال طعمة بن عمرو(٥) وسفيان بن عيينة من وقف عند عثمان، وعلي، فهو شيعي؛ لا يعدَّل، ولا يكلم ولا يجالس ومن قدَّم علياً على عثمان فهو رافضي قد رفض آثار أصحاب رسول الله ﷺ ومن قدَّم الأربعة(٦) على جميعهم(٧)، وترحم على الباقين، وكفَّ عن زللهم فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب [١].

الكتب والرسل تضمن النجاة، وبترك ذلك يتعرض العبد لما لا طاقة له به من العذاب، وبالله تعالى التوفيق.

[١] *أقول:* من يؤمن بهذه الترهات، وهو قول الرافضة أو الشيعة أو بعض فرقهم قولهم أنَّ علي بن أبي طالب لم يمت، وأنَّ الرعد صوته، والبرق سوطه، هذه ترهات كاذبة فالرعد موجودٌ قبل وجود علي بن أبي طالب وبعده، والبرق كذلك، وكذلك الذين يعتقدون أنَّ المهدي المنتظر في غيبة قصيرة أو طويلة، وأنّه سيبعث، وأنّه سيعاقب الذين أخذوا حقَّ

---

(١) وفي طبعة ذكرها الشيخ الردادي: (وكل بدعةٍ).

(٢) وفي طبعة ذكرها الشيخ الردادي: (والذين يؤمنون بالرجعة ويقولون علي بن أبي طالب).

(٣) وفي نسخة الردادي: (تكلموا فيه) أي في عليٍّ ﷺ وذريته، وأنّه هو وأحفاده هم الأئمة المعصومون وأنّهم يعلمون الغيب إلى غير ذلك مما هو معروفٌ عن معتقدات الشيعة الإمامية.

(٤) وفي نسخة الردادي زيادة قوله: (ومن قال بهذا القول).

(٥) وفي نسخة الردادي: (طعمة بن عمر) والصواب طعمة بن عمرو.

(٦) وفي نسخة الردادي: (ومن قدم الثلاثة) المقصود بالثلاثة أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين رضي الله عنهم والرابع هو أبي السبطين علي بن أبي طالب ﷺ والله أعلم.

(٧) وفي نسخة الردادي: (على جماعتهم).

أهل البيت كل هذه ترهات باطلة، فالمهدي المنتظر الذي يزعمونه، ويزعمون أنَّه دخل السرداب في تاريخ ٢٦٠هـ وأنَّه إلى الآن في غيبته، وقولهم عن علي بن أبي طالب أنَّه لم يمت، وقولهم هؤلاء الذين ذكرهم أو كل أئمة الجعفرية كلهم يعلمون الغيب، هذا كله اعتقادٌ باطل، ومن اعتقده كفر فمن اعتقد أنَّ فلاناً سيبعث قبل يوم القيامة فقد كذَّب الله في خبره، والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝٣١﴾ [الزمر: ٣٠، ٣١]، ويقول سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٩٥ حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ۝٩٦ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٥ - ٩٧]، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۝١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

فمن يقول بهذه الأقوال(١) لم يؤمن بكتاب الله، فكان لذلك كافراً.

إنَّ الدين الإسلامي هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

وإنَّ من مقتضيات الإيمان أنَّ الله منفردٌ بعلم الغيب، فمن أعطى علم الغيب لغيره فهو كافر بالله تعالى والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٦٥﴾ [النمل: ٦٥] والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [الأنعام: من الآية٥٩] إلى غير ذلك من الآيات، فهؤلاء الذين قالوا هذه الأقوال لا شك في كفرهم، وبالله التوفيق.

أمَّا قوله: (وبدعةٌ ظهرت) أو (وكل بدعة ظهرت هي كفرٌ بالله العظيم)

---

(١) أي ما ذكره المؤلف في الصفحة السابقة عن شيءٍ من اعتقادات الشيعة وما علقَّ عليه شيخنا من شطحاتهم في هذه الصفحة.

والسنة أن تشهد للعشرة الذين شهد لهم الرسول ﷺ بالجنة أنَّهم من أهل الجنة لا شك فيهم ولا تفرد بالصلاة على أحد إلاً رسول الله ﷺ وعلى آله فقط، وتعلم أنَّ عثمان رضي الله عنه قتل مظلوماً، ومن قتله كان ظالماً، فمن أقرَّ بما في هذا الكتاب، وآمن به واتخذه إماماً، ولم يشك في حرفٍ منه، ولم يجحد حرفاً منه فهو صاحب سنة وجماعة[1] كامل قد كملت فيه الجماعة،

فهذا القول فيه تجاوز لا يقرُّ عليه المؤلف، فليس كل بدعةٍ تكون كفراً، ولكن البدع تنقسم إلى قسمين: (أ) مكفرةٌ (ب) مفسقة.

ولا يجوز أن نحكم عليها جميعاً بأنَّها كفرٌ، فإن قصد أنَّ القول بأنَّ علي بن أبي طالب لم يمت، وأنَّه في السحاب، وأنَّ الرعد صوته، والبرق سوطه، فهذه البدعة من اعتقدها فهو كافر، ولسنا نقول بأنَّ كل بدعةٍ كفر، ولا المؤلف يقول ذلك هذا بيانٌ للاحتمال الوارد في قول المؤلف المذكور.

قوله: (قال طعمة بن عمرو، وسفيان بن عيينة من وقف عند عثمان وعلي، فهو شيعي لا يعدَّل، ولا يكلم، ولا يجالس ومن قدَّم علياً على عثمان فهو رافضي قد رفض آثار أصحاب رسول الله ﷺ ومن قدَّم الأربعة على جميعهم، وترحم على الباقين، وكفَّ عن زللهم فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب) وأقول: مذهب أهل السنة والجماعة تقديم الأربعة الخلفاء على ترتيبهم أبو بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ علي بن أبي طالب، ثمَّ بقية العشرة ثمَّ من هاجر الهجرتين، ثمَّ من هاجر إلى المدينة ثمَّ أصحاب بدرٍ، ثمَّ أصحاب بيعة الرضوان ثمَّ من أسلم وهاجر قبل الفتح ثمَّ من أسلم وهاجر بعد الفتح، ثمَّ صغار الصحابة، هذا ترتيب الصحابة وأنَّه يجب على كل مسلم أن يترضى عنهم، ويكفَّ عن زللهم هذه طريقة السلف الصالح في أصحاب النبي ﷺ أمَّا غيرهم من الشيعة، والخوارج وغيرهم فإنَّهم ضالون في حق أصحاب رسول الله ﷺ مبتدعون يجب الحذر منهم، ومن أقوالهم الشنيعة وترقيعاتهم الفظيعة، وبالله التوفيق.

---

(١) وفي نسخة الردادي: (السنة).

ومن جحد حرفاً مما في هذا الكتاب أو شك في حرفٍ منه أو شك فيه أو وقف فهو صاحب هوى ومن جحد أو شك في حرفٍ من القرآن أو في شيءٍ جاء عن رسول الله ﷺ لقي الله مكذباً فاتق الله، واحذر وتعاهد إيمانك [١].

---

[١] *أقول:* السنة أن نشهد لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة(١) كالعشرة المشهود لهم بالجنة وثابت بن قيس بن شماس(٢)، والمرأة السوداء(٣)

---

(١) كما في حديث عبدالرحمن بن حميد عن أبيه أن سعيد بن زيد حدثه في نفر أن رسول الله ﷺ قال: «عشرة في الجنة أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة، وعثمان، وعلي، والزبير، وطلحة، وعبدالرحمن، وأبو عبيدة، وسعد بن أبي وقاص. قال: فعد هؤلاء التسعة وسكت عن العاشر، فقال القوم: ننشدك الله يا أبا الأعور من العاشر؟ قال: نشدتموني بالله أبو الأعور في الجنة، قال أبو عيسى: أبو الأعور هو سعيد ابن زيد بن عمرو بن نفيل، وسمعت محمداً يقول: هو أصح من الحديث الأول» والحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب باب مناقب عبدالرحمن بن عوف ﷺ والحديث أخرج نحوه أبو داود في السنة باب في الخلفاء وابن ماجة في المقدمة باب فضائل الصحابة وغيرهم من أهل الحديث انظر معارج القبول ج٣/١١٩١ بتحقيق عمر بن محمود أبو عمر، وقال عن الحديث «وهو صحيح» اهـ.

(٢) كما في حديث عبدالخبير بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده ﷺ قال: جاءت امرأة إلى النبي ﷺ يقال لها أم خلاد وهي منتقبة تسأل عن ابنها وهو مقتول، فقال لها بعض أصحاب النبي ﷺ: جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة، فقالت: إن أرزأ ابني فلن أرزأ حيائي، فقال رسول الله ﷺ: ابنك له أجر شهيدين. قالت: ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: لأنه قتله أهل الكتاب» أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد باب فضل قتال الروم على غيرهم من الأمم

(٣) كما في الحديث المتفق عليه واللفظ للبخاري عن عطاء بن أبي رباح ﷺ قال: قال لي ابن عباس: «ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى. قال: هذه المرأة السوداء أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي. قال: إن شئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك. فقالت: أصبر، فقالت: إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف، فدعا لها» والحديث أخرجه البخاري في كتاب المرضى باب فضل من يصرع من الريح، ومسلمٌ في كتاب البر والصلة باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها.

التي كانت تصرع. أمَّا غير هؤلاء فلا نشهد لأحدٍ بالجنة، ولا نشهد على أحدٍ بالنار[(١)] ولا نقطع لأحدٍ بإحدى المنزلتين، ولكنَّا نرجو للمطيع، ونخاف على العاصي، وحقُّ الصحابة الترضي عنهم، وحقُّ الأنبياء الصلاة والسلام عليهم، وحقُّ غيرهم الترحم إذا كان من أهل الخير والصلاح، والترحم على المسلمين عموماً، هذه هي طريقة أهل السنة ويجوز أن نصلي على الآل والصحب تبعاً لرسول الله ﷺ إذا صلينا عليه، ولا يجوز أن نفرد أحداً بالصلاة والتسليم عليه، هذا في الشعار المتداول بين المسلمين، لأنَّ الصلاة والسلام من خصائص الأنبياء، والترضي من خصائص الصحابة، وسائر الناس يدعى لهم بالرحمة.

قوله: (ولا نفرد بالصلاة على أحدٍ إلاَّ رسول الله ﷺ فقط) أقول يجوز أن نصلي على الآل والصحب تبعاً كما تقدم، ولا يجوز أن نعمل ذلك مع أحدٍ منهم بالانفراد، ونعتقد أنَّ من يخصون علياً بالصلاة والسلام عليه أنَّهم مبتدعة. أمَّا إن أراد أحدٌ الدعاء فقال لأخيه وصاحبه: رضي الله عنك، فإنَّ ذلك يجوز على سبيل الدعاء في الحالات النادرة لا أن يتخذ شعاراً.

قوله: (وتعلم أنَّ عثمان قتل مظلوماً، ومن قتله كان ظالماً) لا شكَّ أنَّ ذلك هو الذي ينبغي اعتقاده في قتل عثمان، وأنَّ الخوارج الذين قتلوه كانوا ظالمين له، خارجين عليه يعدُّون من المبتدعة.

---

(١) كما في حديث أمِّ العلاء حين سمعها النبي ﷺ وهي تقول لعثمان بن مظعون رضي الله عنهما حين مرض ومات: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي عليك لقد أكرمك الله، فقال لي النبي ﷺ: «وما يدريك أن الله أكرمه، فقلت: لا أدري بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: أما عثمان فقد جاءه والله اليقين، وإني لأرجو له الخير، والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل به. قالت: فوالله لا أزكي أحداً بعده أبداً» وفي رواية: «والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي» رواه البخاري في كتاب الجنائز باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في أكفانه وفي كتاب الشهادات باب القرعة في المشكلات والتعبير باب رؤيا النساء وباب العين في المنام وقد ورد النهي عن أن يقال فلانٌ شهيد كما في صحيح البخاري في كتاب الجهاد والسير.

قَولُه: (فمن أقرَّ بما في هذا الكتاب، وآمن به، واتخذه إماماً، ولم يشك في حرفٍ منه ولم يجحد حرفاً منه فهو صاحب سُنَّة وجماعة كامل قد كملت فيه الجماعة، ومن جحد حرفاً مما في هذا الكتاب أو شكَّ في حرفٍ منه أو شك فيه أو وقف فهو صاحب هوى) وأقول: قد سبق أن قال البربهاري رحمه الله مثل هذا أو قريباً منه في كتابه هذا[١].

وقلت: ليته لم يقل هذا الكلام، فإنَّ هذا الوصف لا يجوز أن يقال إلاَّ في القرآن. أمَّا ما كتبه أحد من الناس فلا ينبغي أن يوصف بهذا الوصف لأنَّا جعلنا العصمة لكاتبه من الخطأ، وهذا غير صحيح، فقوله هذا فيه مبالغة عظيمة باطلة وقد قال الإمام مالك: (كلٌّ يؤخذ من قوله ويرد إلاَّ صاحب هذا القبر وأشار إلى قبر رسول الله ﷺ)[٢] وكان ينبغي له ألاَّ يبالغ هذه المبالغة ولا يصف كتابه بهذا الوصف الذي لا يوصف به إلاَّ كتاب الله، وأنَّه لا شك أنَّ عمله هذا خطأ، فإنَّه قد سوَّى كتابه هذا بالقرآن.

ونحن معه نقول أنَّ من شكَّ أو جحد حرفاً من القرآن أو في شيءٍ جاء عن رسول الله ﷺ من طرق صحيحة لاشكَّ فيها فإنَّه إذا كذَّب بشيءٍ من ذلك لقي الله مكذباً بذلك الأمر الذي كذَّب به.

وسنة رسول الله ﷺ لا يجوز جحدها، ولا القدح فيها، ولا ضرب الأمثال لها، ولكن لا نقول ذلك إلاَّ فيما صحَّ عنه صحةً لا شك فيها.

---

(١) انظر إليه في شرح المتن في ص ٢٠٧ من متون هذا الكتاب القيم.

(٢) قال الإمام الألباني رحمه الله في صفة صلاة النبي ﷺ ص٤٩: (نسبة هذا (ليس أحدٌ بعد النبي ﷺ إلّا ويؤخذ من قوله ويترك إلّا النبي ﷺ) إلى مالك هو المشهور عند المتأخرين وصححه عنه ابن عبدالهادي في إرشاد السالك ـ ١/٢٢٧ ـ وقد رواه ابن عبدالبر في الجامع - ٩١/٢ - وابن حزم في أصول الأحكام - ١٤٥/٦ و ١٧٩ - من قول الحكم بن عتيبة ومجاهد وأورده تقي الدين السبكي في الفتاوى - ١٤٨/١ - من قول ابن عباس متعجباً من حسنه ثمّ قال: وأخذ هذه الكلمة من ابن عباس مجاهد وأخذهما منهما مالك رضي الله عنه واشتهرت عنه قلت: (أي الألباني رحمه الله) ثمّ أخذها عنهم الإمام أحمد فقد قال أبو داود في مسائل أحمد ص٢٧٦ سمعت أحمد يقول: ليس أحدٌ إلّا يؤخذ من رأيه ويترك ما خلا النبي ﷺ. اهـ.

ومن السنة(١) ألاَّ تطيع أحداً في معصية الله ولا الوالدين(٢)، والخلق جميعاً، ولا طاعة للبشر في معصية الله، ولا يحب عليه أحداً، واكره ذلك كله لله [١].

أمَّا غير ذلك فإنَّه يحتمل الصحة وغيرها، ولو كان الأمر على ما تكلم به المحدثون في بعض الأحاديث.

فقَولُه له: (أو في شيءٍ جاء عن رسول الله ﷺ) كان ينبغي أن يقيده بما صح.

قَولُه: (لقي الله مكذباً) أي بما كذَّب به، وليس بكل ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ. قوله: (فاتق الله، واحذر، وتعاهد إيمانك) هذا حقٌّ ونحن معه فيه.

[١] ***وأقول:*** قد جاء في الحديث عن النبي ﷺ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»(٣) فمن أمرك بمعصيةٍ فلا تطعه فيها حتى ولو كان أبوك أو أمُّك.

قَولُه: (ولا يحب عليه أحداً، واكره ذلك كله) أي لا تحب أحداً وأنت ترى عليه آثار المعصية بادية، وأوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله(٤).

وأقول: إنَّ الحب في الله، والبغض في الله أمرٌ واجب لا يتم الإيمان

---

(١) وفي نسخة الردادي: (ألَّا تعين أحداً).

(٢) وفي نسخة الردادي: (ولا أولي الخير).

(٣) الحديث سبق تخريجه.

(٤) وقد أخرج الحديث الإمام الألباني رحمه الله في صحيح الجامع ج١/٤٩٧ برقم ٢٥٣٩ بلفظ: «أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحبُّ في الله والبغض في الله عز وجل» ثمَّ قال: أخرجه طب عن ابن عباس وأشار إلى تخريجه في الصحيحة برقم ١٧٢٨ عن ابن مسعود في مسند الطيالسي وك وطب وأخرجه حم وابن أبي شيبة وابن نصر عن البراء بن عازب ﷺ.

والإيمان بأنَّ التوبة فرضٌ على العباد أن يتوبوا إلى الله ﷻ من كبير المعاصي وصغيرها [١].

إلاَّ به ولكنَّه يختلف من شخصٍ إلى شخص، ومن حالةٍ إلى حالة، فمن عرفت منه الاستقامة على الشريعة، والبعد عن مخالفتها وجب عليك أن تحبه بكل قلبك، ومن كان عنده أصل الإسلام، وعنده مخالفاتٌ كبائر أو صغائر فعليك أن تحبه بقدر ما فيه من أصل الإسلام، وتبغضه على ما عنده من المخالفة، هذا هو الواجب على كل شخص، وبالله التوفيق.

[١] هذا ظاهر الأوامر الربانية كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: من الآية٨] فقد نادى الله المؤمنين باسم الإيمان وأمرهم بالتوبة إليه توبةً نصوحاً أي توبةً خالصةً لا يشوبها شكٌّ، ولا رياء، ولا يقصد منها غرضٌ من الأغراض الدنيوية القاصرة، وإنَّما يكون المقصود منها التوبة التي تجُبُّ ما قبلها وتكون نافعةً لصاحبها، وفي الآيـة الأخـرى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: من الآية٣١].

وفي الحديث عند مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة»(١) وقال النبي ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينا هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلمٌ رحمه الله في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه.

ومن لم يشهد لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة فهو صاحب بدعة وضلالة شاكٌّ فيما قال رسول الله ﷺ. قال مالك بن أنس: من لزم السنة وسلم منه أصحاب[1] رسول الله ﷺ ثمَّ مات كان مع النبيين، والصديقين، والشهداء والصالحين، وإنَّ قصَّر في العمل[2]. وقال بشر بن الحارث: السنة هي الإسلام، والإسلام هو السنة[3]. وقال الفضيل بن عياض: إذا رأيت رجلاً من أهل السنة فكأنَّما رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ وإذا رأيت رجلاً من أهل البدع فكأنَّما رأيت رجلاً من المنافقين[4]، وقال يونس ابن عبيد: العجب ممن يدعو اليوم إلى السنة، وأعجب منه المجيب إلى السنة[5]، وكان ابن عون يقول عند الموت: السنة السنة، وإياكم والبدع حتى مات[6] [١].

عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح»[7] رواه مسلم. وبالجملة: فإنَّ التوبة واجبةٌ من كل المعاصي حتى يلقى العبد ربه وهو طاهرٌ نظيف أو يحمل حملًا خفيفاً وبالله التوفيق.

[١] ***وأقول:*** في هذه الفقرة قرر المؤلف أنَّ من لم يشهد لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة فهو صاحب بدعةٍ وضلالة شاكٌّ فيما قال رسول الله ﷺ وإنَّ الواجب على العبد تصديق رسول الله ﷺ فيما أخبر به مع اليقين أنَّ كل ما قاله على طريق التشريع فهو وحيٌ من الله عز وجل وأهل السنة يثبتون الجنة لمن أثبتها له رسول الله ﷺ

---

(١) وفي طبعة ذكرها الشيخ الردادي: (أصهاري).

(٢)(٣)(٤) لم أجد تخريجه.

(٥) وفي نسخة الردادي زيادة «فيقبل» والأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢١/٣) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢٠) واللالكائي في السنة (٢١، ٢٢، ٢٣) بإسنادٍ حسن كما أشار إلى ذلك الشيخ الردادي حفظه الله.

(٦) لم أجد تخريجه.

(٧) الحديث أخرجه الإمام مسلم في أول كتاب التوبة وأخرج نحوه الإمام البخاري في كتاب الدعوات باب التوبة قال قتادة ﴿تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ الصادقة الناصحة.

وقال أحمد بن حنبل: مات رجل من أصحابي فرئي في المنام فقال قولوا لأبي عبدالله: عليك بالسنة، فإن أول ما سألني ربي عز وجل عن السنة[1]، وقال أبو العالية: من مات على السنة مستوراً فهو صديق، والاعتصام بالسنة[2] نجاة وقال سفيان الثوري: من أصغى بإذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله ووكل إليها يعني البدع[3] [١].

ويتيقنون بقلوبهم أنَّ كل ما يقوله صلوات الله وسلامه عليه من الغيبيات فهو واقعٌ كما أخبر لا يتخلف أبداً قال الله عزوجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].

ثمَّ في الآثار التي حكاها أمر بلزوم السنة، واتباعها، والإيمان بها وعدم مخالفتها، وفي ذلك إخبارٌ بأنَّ أصحاب السنة هم يعتبرون العلماء والعظماء وإن حصل من بعضهم تقصيرٌ في العمل، فاتباعهم لرسول الله ﷺ واقتفاؤهم لآثاره، وعملهم بها ظاهراً وباطناً وتعظيمهم لها سرًّا وعلناً هو دليل على أنَّهم هم أهل الحق، ومن عداهم من أهل البدع فهو على خطرٍ عظيم، وإن اجتهد في العمل، وبالله التوفيق.

[١] قوله: (وقال أحمد بن حنبل: مات رجل من أصحابي فرئي في المنام فقال: قولوا لأبي عبدالله: عليك بالسنة، فإن أول ما سألني ربي عز وجل عن السنة) أقول: الرؤيا التي ذكرت لأبي عبدالله لعلها من الرؤيا الصالحة وإنَّ الاعتصام بالسنة، والمتابعة لها، والعمل بها، والموالاة عليها، والمعاداة من أجل تركها، والحب لأصحابها، وحملتها، والبغض لمن أعرض عنها هذا من المأمورات التي تطابق عليها نصوص الكتاب والسنة، والله سبحانه وتعالى أمر بتعظيم نبيه، وتعظيم

---

(١) لم أجد تخريجه.
(٢) انظر سير أعلام النبلاء ج٥ (الزهري) رحمه الله والبداية والنهاية ج٩/سنة ١٢٤ الزهري (تخريج الشيخ أحمد الحكمي)
(٣) الأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢٦/٧، ٣٤) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٤٤٤).

ما جاء به نبيه، ومتابعته، والعمل عليه فقال جلَّ من قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنفال: ٢٤ - ٢٥] وقال جلَّ من قائل: ﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓاْ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٤٨ - ٥٠] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور: ٥١، ٥٢]، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب:٣٦] إلى غير ذلك من الآيات، والنبي ﷺ يقول: «تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلاَّ هالك» ويقول: «فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة»(١) ويقول ﷺ: «نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها، وحفظها، وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله ومناصحة أئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن الدعوة تحيط من ورائهم»(٢)

---

(١) الحديث سبق تخريجه.

(٢) الحديث أخرجه الإمام الترمذي واللفظ له رحمه الله في كتاب العلم باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع، وأخرج بنحوه الإمام ابن ماجة في المقدمة باب من بلَّغ علماً، وأخرجه الإمام أحمد في مسند المدنيين برقم ١٦١٣٨ و ١٦١٥٥٣ والإمام الدارمي في المقدمة أيضاً باب الاقتداء بالعلماء، والحديث أشار الألباني رحمه الله إلى تصحيحه في صحيح الجامع ج١١٤٥/٢ برقم ٦٧٦٦ من حديث عبدالله بن مسعود عن أبيه وجبير بن مطعم ومن حديث زيد بن ثابت رضي الله عنهم جميعاً.

ويقول: «بلغوا عني ولو آية»[١] إلى غير ذلك مما ورد في السنة أي في الحث على تعلمها، وحملها، وإبلاغها إلى الغير.

وفي ضمن ذلك وعيدٌ لمن أعرض عنها قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وتبين من هذه الآيات والأحاديث وجوب اتباع سنة النبي ﷺ والرغبة فيها، واليقين بأنَّها خير سبيل، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

وما عظَّم سنة رسول الله ﷺ أحدٌ إلاَّ عظَّمه المؤمنون، وما أعرض عنها وزهد فيها أحد إلاَّ كان حرياً أن يهينه الله، ويخزيه، ويذله، نسأل الله أن يجعلنا من المعظمين لها، المتبعين لأوامرها، والمجتنبين لزواجرها، والمصدقين لأخبارها، والمشتغلين بها في جلِّ أوقاتنا، وبالله التوفيق.

ومن هذا تعلم أنَّ هذه الرؤيا، وافقت ما أمر الله به في كتابه، وما أمر به رسوله ﷺ في سنته وقال أبو العالية الرياحي، تابعي من كبار التابعين لقي جلَّ الصحابة، وقرأ عليهم وتعلم السنن منهم: (من مات على السنة مستوراً فهو صديق، والاعتصام بالسنة نجاة) وهذا القول أيضاً يعتبر من الحث على اتباع السنة كما أنَّ قول سفيان الثوري: من أصغى بإذنه إلى صاحب بدعةٍ خرج من عصمة الله، ووكل إليها يعني البدعة، وهذا القول من الأقوال التي تزجر عن الركون إلى البدع، وأهلها، والإصغاء إلى أصحابها، فليس ذلك شأن المؤمنين، ولا طريقتهم.

---

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

وقال داود ابن أبي هندٍ: أوحى الله تبارك وتعالى إلى موسى بن عمران: لا تجالس أهل البدع فإن جالستهم تحاك[1] في صدرك شيءٌ مما يقولون أكببتك في نار جهنَّم[2] [١].

وقال الفضيل بن عياض: من جالس صاحب بدعة لم يعط الحكمة[3].

وقال الفضيل بن عياض: (لا تجلس مع صاحب بدعة، فإنِّي أخاف عليك أن تنزل عليك اللعنة)[4].

وقال الفضيل بن عياض: (من أحبَّ صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه)[5].

وقال الفضيل بن عياض: (من جلس مع صاحب بدعة في طريقٍ فجز في طريقٍ غيره[6]).

وقال الفضيل بن عياض: (من عظَّم صاحب بدعةٍ فقد أعان على هدم

---

[١] هذا القول فيه مبالغة، ولعلَّه مما أخذ من التوراة. انتهى.

---

(١) وفي نسخة الردادي: (فحاك في صدرك).

(٢) قال الشيخ الردادي وفقه الله: (أخرج ابن وضاح في البدع نحوه (ص٤٩) نحوه عن محمد بن أسلم، وأخرج الآجري في الشريعة (ص٥٧) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٥٥٦) نحوه عن خصيف بن عبدالرحمن الجزري) اهـ.

(٣) قال الشيخ الردادي الأثر: (أخرجه اللالكائي في السنة (٢٦٣، ١١٤٩) وابن بطة في الإبانة الكبرى (٤٣٩) وإسناده حسن) اهـ.

(٤) وقال: (أخرجه اللالكائي في (٢٦٢) وابن بطة (٤٤١، ٤٥١) وإسناده حسن) اهـ.

(٥) وقال: (وأخرجه أخرجه اللالكائي (٢٦٣) وابن بطة (٤٤٠) وأبو نعيم في الحلية (١٠٣/٨) وابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص١٦) وإسناده صحيح) اهـ.

(٦) وقال: (أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠٣/٨) وابن بطة (٤٩٣) وابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص١٦) وإسناده صحيح).

الإسلام(١) ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله عز وجل على محمدٍ ﷺ ومن زوج كريمته مبتدعاً فقد قطع رحمها ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع)(٢). وقال الفضيل بن عياض: (آكل مع يهودي أو نصراني، ولا آكل مع مبتدع، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصنٌ من حديد)(٣).

وقال الفضيل بن عياض: (إذا علم الله عز وجل من الرجل أنَّه مبغض لصاحب بدعة غفر له وإن قلَّ عمله(٤)، ولا يكن صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلاَّ نفاقاً(٥) ومن أعرض بوجهه عن صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيماناً، ومن انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة فلا تكن صاحب بدعةٍ في الله أبداً)(٦) [١].

[١] قَولُه: (وقال الفضيل بن عياض: من جالس صاحب بدعة لم يعط

(١) قال الشيخ القحطاني: (ورد في الحديث: (وقَّر صاحب بدعةٍ فقد أعان على هدم الإسلام) أخرجه البيهقي في الشعب مرسلًا، قال الشيخ الألباني: وقد روي موصولًا ومرفوعاً من طرقٍ كثيرة. قد يرتقي الحديث بمجموعها إلى درجة الحسن. انظر المشكاة ٦٦/١ ح ١٨٩ (وقال الشيخ الردادي: (وجاء هذا المعنى مرفوعاً عن النبي ﷺ بيد أنه ضعيف لا يصح كما بيَّنه الشيخ الألباني حفظه الله في السلسلة الضعيفة رقم ١٨٦٢) اهـ.

(٢) قال الشيخ الردادي: (أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠٣/٨) وابن الجوزي في تلبيس إبليس (ص١٦) إلى قوله: فقد قطع رحمها) وإسناده صحيح، وليس عندهما أيضاً قوله: (ومن تبسم) اهـ

(٣) قال: (أخرجه اللالكائي (١١٤٩) وأبو نعيم (١٠٣/٨) وأخرج ابن بطة (٤٧٠) الشطر الثاني منه وإسناده حسن) اهـ.

(٤) قال الردادي: (أخرج هذا الشطر: أبو نعيم في الحلية (١٠٣/٨) بإسنادٍ صحيح، وعنده رجوت أن يغفر له) اهـ.

(٥) قال: (أخرج نحوه أبو نعيم (١٠٤/٨) بإسنادٍ صحيح وأخرجه ابن بطة بلفظه (٤٢٩) بإسنادٍ لا بأس به) اهـ.

(٦) انظر كنز العمال ج٣/الاكمال من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر رقم ٥٥٩٨ و٥٥٩٩ وتاريخ بغداد (٢٦٣/١٠) والفردوس (٥٦٧/٣ ومسند الشهاب (٣١٨/١، ٣١٩) و(٥٣٦/١، ٥٣٧، ٥٣٨) ـ تخريج الشيخ أحمد الحكمي ـ.

الحكمة) هذا أيضاً من الزجر عن مجالسة أصحاب البدع، ومن بعض عقوبات من جالسهم.

وقَولُه: (وقال الفضيل بن عياض: لا تجلس مع صاحب بدعة، فإنِّي أخاف عليك أن تنزل عليك اللعنة) أقول هذا من الزجر عن مجالسة أهل البدع، فإنَّه لا يؤمن أن تنزل عليهم اللعنة بسبب بدعهم، فيكون من حضر معهم من أهل السنة له نصيبٌ من تلك اللعنة كما أنَّ من حضر مجالس الخير، ومجالس السنة، ومجالس الحق، من حضر هذه المجالس فإنَّ له نصيبٌ من خيرها، وقد جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم. قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا. قال فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم. ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون يسبحونك، ويكبرونك، ويحمدونك ويمجدونك قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً وتحميداً وأكثر لك تسبيحاً. قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلباً وأعظم فيها رغبة. قال فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار. قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها؟ قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً وأشد لها مخافة. قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم»[١] متفقٌ عليه فكما أنَّ من جالس

(١) الحديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله واللفظ له في كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل، وأخرجه الإمام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والإستغفار في باب فضل مجالس الذكر.

أهل السنة فإنَّه لا يشقى بمجالستهم بل ينال خيراً من ذلك، فكذلك من جالس أصحاب البدعة فإنَّه يناله نصيبٌ من السخط الذي ينزل عليهم، نسأل الله أن يعصمنا من البدع، وأن يجعلنا من المتبعين للسنن والمبتعدين عن البدع.

وقَولُه: (من أحبَّ صاحب بدعة أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه) هذا فيه زجرٌ أيضاً من محبة أصحاب البدع، وإنَّ محبة أصحاب البدع على ما عندهم من البدع أمرٌ يخالف ما أمر الله به، فلذلك لعلَّه يتعرض لإحباط العمل أو شيءٍ منه، ولعلَّه يتعرض لإطفاء جذوة الإيمان من قلبه، وضعف نور الإيمان فيه، وبالله التوفيق.

وقَولُه: (من جلس مع صاحب بدعة في طريقٍ فجز في طريقٍ غيره) بمعنى أنَّك تجاوز عنه وابتعد عنه. ولعل الصواب: إذا جلس صاحب بدعة في طريق فجز في طريق غيره.

وقَولُه: (قال الفضيل بن عياض: من عظَّم صاحب بدعةٍ فقد أعان على هدم الإسلام ومن تبسم في وجه مبتدع فقد استخف بما أنزل الله عز وجل على محمدٍ ﷺ ومن زوج كريمته مبتدعاً فقد قطع رحمها، ومن تبع جنازة مبتدع لم يزل في سخط الله حتى يرجع، وقال الفضيل بن عياض: آكل مع يهودي أو نصراني، ولا آكل مع مبتدع، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصنٌ من حديد) وأقول: هذا من الزجر عن معاشرة المبتدع والأكل معه، واتباع جنازته إذا مات، والنهي عن تزويجه على كريمتك والانبساط إليه، كل ذلك منهيٌّ عنه، وهو من الزجر عن معاشرة المبتدع كما قلنا.

قَولُه: (وقال الفضيل بن عياض: إذا علم الله عز وجل من الرجل أنَّه مبغض لصاحب بدعة غفر له، وإن قلَّ عمله، ولا يكن صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلاَّ نفاقاً) يعني أنَّ ممالئة السني للبدعي تعتبر من النفاق لأنَّ الأصل أنَّ صاحب السنة يجب أن يبغض المبتدع ويبغض عمله.

وقَولُه: (ومن أعرض بوجهه عن صاحب بدعة ملأ الله قلبه إيماناً ومن

انتهر صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن أهان صاحب بدعة رفعه الله في الجنة مائة درجة فلا تكن صاحب بدعةٍ في الله أبداً) معنى ذلك لا تصاحب صاحب البدعة، ولا تؤاخيه في الله وأقول إنَّ بعض هذا الكلام فيه نظر فرفعة الدرجات في الجنة لا تكون إلاّ عن توقيف، وعلى العموم فالزجر حاصل عن مصاحبة أصحاب البدع، والرضى بعملهم نسأل الله أن يجعلنا من أهل السنة، وأن يعيذنا من البدع صغيرها وكبيرها والحمد لله على الانتهاء من شرح هذا الكتاب، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.



الخاتمة

الحمد لله حمداً حمداً، والشكر لله شكراً شكراً، وأصلي وأسلم على خير خلقه محمداً ﷺ وعلى آله وصحبه صلاةً وسلاماً كثيراً دوام الليل والنهار ثمَّ *أمَّا بعد*:

إن كان لي من مقالٍ في ختام هذا الشرح البهي لشيخنا النجمي، والذي أشكر الله فيه أولاً وآخراً على ما منَّ به من إتمام تبييض هذا الشرح البديع لشيخنا، ووالدنا الشيخ/أحمد بن يحيى النَّجمي حفظه الله، والذي أجاد في شرح هذا المتن وأفاد فجزاه الله خيراً، وأسأل الله أن يثيبه على ذلك أعظم ثواب وأحمد الله تعالى على أن قمت بتبييضه، وعزو الآيات التي فيه إلى مظانِّها من السور وتخريج الأحاديث إلى مصادرها من كتب السنة، والإحالة على آثار السلف التي ذكرت في ثنايا هذا البحث إلى مراجعها من الكتب إن وجدت لها مصدراً وإن كان المقام يحتاج إلى توضيح فائدة وضحتها بقدر الإستطاعة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾ ثمَّ أكرر شكري وتقديري إلى كلِّ من كانت له يدٌ طولى في مساعدتي لإخراج هذا الشرح الرائع بأجمل هيئة، وأبهى صورة، وأبى الله أن تكون العصمة إلاَّ لرسوله ﷺ فإن وجد القارىء خطأً في هذا الكتاب فلا يبخل بتوضيحه وبيانه، فالكمال عزيز والله المستعان، وأخيراً نرجو الدعاء بظهر الغيب للماتن البربهاري بالرحمة والمغفرة من الله ولشارحه شيخنا النَّجمي ولكاتب الأسطر ولجميع من ساهم في إنجاز هذا الكتاب الجليل القدر ولبقية المسلمين بالهداية والتوفيق لما يحبه الله ويرضاه ونساله تعالى أن يختم لنا

جميعاً بخاتمة السعادة، وأن نكون من أهل الجنان والفائزين برضا الكريم الرحمن وأن ننجوا جميعاً من عذاب الله في دار البؤس والجحيم.

وصلى الله وسلم على خاتم النبيين والمرسلين وعلى أتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

سطرها: المعلم/حسن بن محمد بن منصور دغريري
٦/١١/١٤٢٢هـ

الفهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
ترجمة الماتن الإمام البربهاري	١١
- اسمه وكنيته ونسبه	١١
- موطنه ونشأته	١١
- هيبته ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه	١٢
- زهده وورعه	١٣
- تلاميذه	١٣
- بعض أقواله	١٤
- مصنفاته	١٥
- محنته ووفاته	١٥
ترجمة شارح المتن	١٩
نص كتاب شرح السنة للبربهاري	٢٦
أهمية لزوم الجماعة	٢٦
السواد الأعظم	٤٥
ليس في السنة قياس	٥٧
ربنا أول بلا متى، وآخر بلا منتهى	٦٠
الإيمان قول وعمل ونية	٨٩
السمع والطاعة للأئمة فيما يحبُّ الله ويرضى	٩٣
لا طاعة لبشر في معصية الله ﷻ	١٠٢

الموضوع	الصفحة
أحكام المسلمين في الدنيا	١٠٤
الصلاة على من مات من أهل القبلة	١١٢
التفويض	١١٧
لا نكاح إلا بولي	١٢٠
لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث	١٢٢
الإيمان بالقصاص يوم القيامة	١٢٤
لا يدخل الجنة أحد إلا برحمة الله	١٣٤
الطاعن على الآثار متَّهم على الإسلام	١٣٦
الإيمان بحديث الإسراء	١٤٠
لا يحل كتم النصيحة	١٤٦
علم الكلام سبب البدعة والزندقة	١٥٢
ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة	١٦٥
من قال: لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي	١٧٣
الخليفة المتوكل أطفأ الله به البدع	١٧٥
أصول البدع أربعة	١٨٦
التحذير من قتال الفتنة	١٩٢
علامة أهل البدع وعلامة أهل السنة	٢١٢
علامة الخارجي والمعتزلي	٢١٨
إذا رأيت الرجل مع أهل الأهواء فاحذر منه	٢٢١
من علامات الجهمي	٢٣٠
أربعة أهواء هي أصل الفرق	٢٣٧
العشرة المبشرون بالجنة	٢٤٢
بعض الآثار الواردة في وجوب لزوم السنة والنهي عن البدعة ومجالسة أصحابها	٢٤٨
الخاتمة	٢٥٧
الفهرس	٢٥٩

❁ ❁ ❁